التاريخ الخفي للإسلام

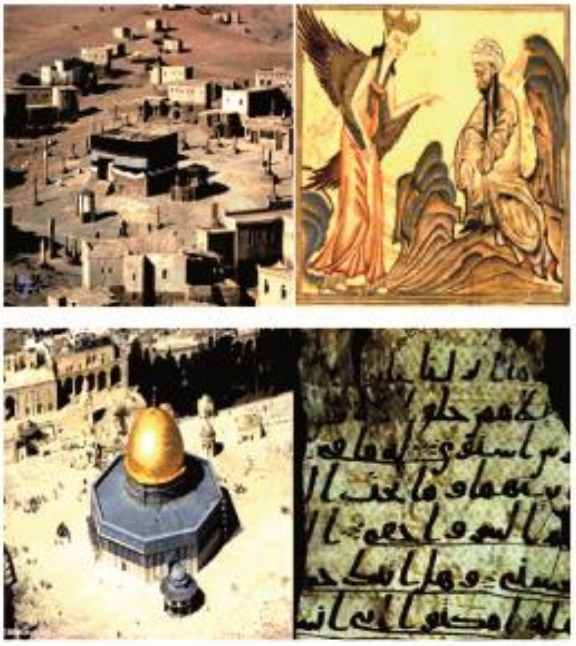

تأليف: أولاف

ترجمة: د. عزيز العساوي

Odon Lafontaine

LE GRAND SECRET DE L'ISLAM

L'histoire cachée de l'islam révélée par la recherche historique

التاريخ الخفي للإسلام

الترجمة الى اللغة العربية

بقلم الدكتور عزيز العساوي

Les autorisations au-delà du champ de cette licence peuvent être obtenues via le site : http://legrandsecretdelislam.com
et en contactant l'auteur : odon.lafontaine@gmail.com
ahmed111@hotmail.fr

CC BY ND NC

مقـدمــة الـمـتـرجـم

تعرف الدراسات والأبحاث في مجال الفكر الاسلامي، سيما فيما يخص الدين الاسلامي في الأوساط الغربية، طفرة نوعية كبيرة في السنوات الأخيرة. فهناك الدراسات التي يقوم بها مجموعة من الباحثين المتخصصين في الوثائق القديمة (الكوديكولوجيا)، والبحث التاريخي المحايد عبر وثائق تاريخية خارجة عن الرواية الاسلامية، وفي تاريخ الأديان، والتاريخ المقارن، ثم هناك الدراسات التي تتناول النص القرآني كنسق فكري ولغوي كاللسانيات والفيلولوجيا، والدراسات الرقمية التي تعتمد على أحدث المناهج العلمية (كتطبيق منهج اللوغرتمات على النص القرآني) ...

والملاحظ أن العالم الاسلامي، كعادته، يضع مجموعة من العراقيل التي تحول دون الوصول الى هذه الأبحاث. فمن جهة، السلطات السياسية والدينية تحرّمها وتمنع دخولها الى البلدان الاسلامية، ومن جهة أخرى فإن تعدد وتنوع اللغات التي تصدر بها هذه الدراسات تحول دون قراءتها من طرف العموم. أبرز هذه الدراسات صدرت باللغة الانجليزية، والألمانية، والفرنسية، وخلصت الى نتائج جد مهمة وفي نفس الوقت متكاملة، على الرغم من تنوع زاوية الاشتغال. المواطن في الوطن العربي الاسلامي لا يجيد القراءة الاّ بلغة أجنبية واحدة، وغالبا ما تكون باللغة الفرنسية (كما هو الشأن بالنسبة للدول المغاربية في شمال افريقيا) أو الانجليزية بالنسبة لدول الشرق العربي. وهذا ما يجعل القارئ في الوطن العربي الاسلامي لا يستطيع أن يكوّن رؤية عامة وشمولية لهذه النتائج العلمية. فمثلا صدرت عدة كتب قيّمة باللغة الانجليزية لباترسيا كرون ومايكل كوك تلتقي في كثير من الجوانب بما خلُص اليه كريستوف لوكسمبورغ، وصدر باللغة الفرنسية عدة دراسات عميقة كتلك التي قام بها دو بريمار، أو الأستاذ ماري كالي، ناهيك عما يصدر باللغة الالمانية.

في الوقت الراهن يجد القارئ العربي عبر الأنترنيت الكثير من الترجمات العربية لهذه البحوث، لكنها لا تمس في الغالب، الا المؤلفات باللغة الانجليزية، ككتاب "الهاجريون" أو "تجارة مكة". ومن هذا المنطلق، ولتوسيع الرؤية لدى القارئ باللغة العربية جاءت ضرورة ترجمة العمل المهم الذي قام به "أولاف" في كتابه عن التاريخ السري للإسلام، التي تحاول أن تكشف عن **الخدعة الكبرى التي حبكها بإتقان كبار الكتبة المأجورين من طرف صانعي القرارات السياسية خاصة في**

العصر العباسي، والتي لا زالت تُقرأ وتُعتمد وتُستهلك كما لو كانت فعلا هي التاريخ الحقيقي للإسلام. الهدف من هذه الترجمة كان بالأساس، هو تقديم كتب أخرى للأبحاث المعاصرة في مجال التراث الاسلامي، واغناء رصيد المكتبة العربية بالإنتاجات الفكرية المتجددة حول الدين الاسلامي. إنها مساهمة متواضعة لفك العزلة الفكرية التي يعاني منها المواطن في البلاد الاسلامية، أملا في تكسير حاجز الخوف المرضي الذي يطوقه كلما تعلق الأمر بالدين الاسلامي. المواطن في البلاد الاسلامية لا يقرأ، وأعتقد أن الباحثين والمهتمين، حين قراءة هذا الكتاب، ستتضح لهم مجموعة من القضايا الفكرية المبهمة والتي بقيت عالقة منذ زمن طويل. إن الذين درسوا الفلسفة والفكر الاسلامي كما يقدمه الارث الثقافي الرسمي في الجامعات العربية الاسلامية، سيفاجؤون بحجم الهوة التي تفصل المعارف التي لديهم وما يقدمه هذا الكاتب. لأنه يسلط الضوء على غموض النص القرآني، ويحاول الاجابة على التساؤلات الكثيرة، من قبيل لماذا لا نفهم القرآن، ما سر هذا الغموض؟ لماذا كتاب المسلمين المقدس مرتبك وغير متناسق؟ لماذا هو متقطع بهذا الشكل ولا يتوفر، في أغلب سوره، على أبسط شروط النص الأدبي (كوحدة النص مثلا)؟ لماذا يعج بالتناقضات؟ ما هو أصل العبارات والمصطلحات الغامضة، التي يكررها المسلمون دون فهم معانيها كـ: "المسجد الحرام"، "الأرض الموعودة"، الكفار، وآيات الحقد على اليهود...

هذا الكتاب لا يجيب على جميع الاسئلة التي قد يطرحها القارئ، ولكنه يلقي الضوء بشكل فريد ومتميز على العديد من المواضيع والاشكاليات المرتبطة بالدين الاسلامي. وهو بقدر ما يفاجئ القارئ بعمق اطلاع الكتاب الغربيين على ثقافتنا، بقدر ما يفتح الشهية للمزيد من البحث لمعرفة أعمق.

من أهم خلاصات هذا الكتاب هو أن الدين الاسلامي، كبقية الأديان، فكر انساني، لم يتشكل دفعة واحدة، ولكنه تكون عبر سيرورة معقدة خلال عقود طويلة. إنه مجموعة من الأفكار المتناثرة، تطلبت الكثير الزمن ومن الجهد الانساني (تخللته الكثير من الصراعات ...) لكي يتكوّن كنسق فكري لاهوتي. خلال قرنين من الزمن تمكنت الامبراطوريتين (الأموية والعباسية) من بلورة هذه الأفكار بعد ان أحرقت وهدمت ودمرت الوثائق القديمة، وكتبت لاهوتا جديدا، وتاريخا جديدا، لكي يصلنا في الصيغة التي نعرفها اليوم. وأبسط ما يمكن أن نخلص اليه من هذا الكتاب هو أن التاريخ الاسلامي رواية تفتقد لأبسط شروط الكتابة التاريخية، وأنه رواية غامضة ولا تقول

الحقيقة، بل بالعكس تحاول أن تتستّر عليها، وتموّه الحقائق وتحرف التاريخ. حين قراءتنا للرواية الاسلامية نخرج خاوي الوفاض، تلاحقنا علامات الاستفهام كلما خلصنا من قراءة فصل من فصول "السيرة النبوية" أو تاريخ الطبري... ومن هنا تأتي ضرورة الابتعاد بما فيه الكفاية، عما كُتب أيام العباسيين لفهم تاريخ الاسلام، خاصة "السيرة" والتاريخ ، والحديث ... لأن هذه الكتب كُتبت في زمن متأخر جدا عن زمن وقوع الأحداث التي شكلت بداية "الدعوة الاسلامية"، ولأن جل هؤلاء الكتاب "المؤرخون" كانوا مأجورين من طرف الخلفاء، وبالتالي فهم لم يكتبوا بغرض التوثيق التاريخي، والأمانة العلمية ولكن لخدمة المصالح السياسية للخلفاء.
هذا الكتاب يبرز كيف أن التاريخ الاسلامي الرسمي كان صناعة متأخرة لخدمة أغراض لا علاقة لها بالتاريخ. التاريخ كان يكتبه الغالب لتبرير سلطته السياسية ومشاريعه التوسعية والعدوانية، ولذلك فهو غالبا ما يقدم صورة أسطورية للأحداث.
كتاب "التاريخ الخفي للإسلام" يحاول ان يقدم تاريخا مغايرا للرواية الإسلامية الرسمية، محايدا عن منطق الغالب والمغلوب، ويبحث عن الحقيقة التاريخية من خلال الوثائق "الخارجية"، ومن خلال الأركيولوجية والنقود والرسومات وكتابات المغامرين الذين عاصروا هذه الأحداث الكبرى في تاريخ الإنسانية...
الكتاب يحاول أن يعطي بعض الايضاحات حول الإطار الفكري العام الذي نشأ فيه الاسلام، ويلقي الضوء على الجوانب الغامضة من تاريخ نشأته، خاصة العلاقة القوية التي كانت تربط محمد بإحدى الطوائف اليهودية المتطرفة، التي كانت تنشط في الهامش وتعمل في الخفاء لتنزيل مشروعها السياسي في لباس ديني. وتعتبر هذه النقطة من المحاور المفصلية في أطروحة ماري كالي. فهذه الطائفة اليهودية كانت تعتبر نفسها أفضل من اليهود ومن المسيحيين، عملت في الخفاء و"انقرضت" بشكل "مفاجئ" بعد أن تحقق حلمها، ابتداء من موت محمد. كيف تم ذلك ولماذا؟ هذا هو السؤال المحوري الذي يحاول الاجابة عنه هذا الكتاب. الاسلام كعقيدة وكفكر ليس إلا تطور بقايا ايديولوجية هذه الطائفة التي لا نعرف عنها إلاّ الشيء القليل، تمَّ تطويرها واستغلالها من طرف خلفاء الامبراطورتين الأموية والعباسية عبر القرون.
في هذا الإطار العام، تتضح الكثير من المفاهيم وتأخذ دلالاتها الأصلية، التي لا علاقة لها بما تروج له الثقافة الاسلامية. دلالات ومعاني مخالفة لما قرأناه وألفناه، خاصة كلمة نصارى التي فقدت معناها الأولي وأصبحنا ننعت بها العالم الغربي

برمته، وكذلك مفهوم الأمة، وأهل الكتاب، والهجرة، والمهاجرون، والأنصار، ورسول الله، والقيامة، الدجال، الكافرون، المشركون... هذه فقط نماذج من المصطلحات التي تشير الى المؤسسين الأصليين للإسلام المبكر التي حرّفها الكتاب المأجورين من طرف الخلفاء، بدءا من عمر الى نهاية الامبراطورية العباسية. هذا الكتاب يعطي كذلك للقارئ نماذج من التحريف الذي طال العناصر المؤسسة للعقيدة الإسلامية، ونماذج من عمليات تحويل وتحريف الوقائع التاريخية لبداية الإسلام في الخطاب الإسلامي. كذلك الدور المحوري الذي لعبته مدينة أورشليم المدينة "المقدسة" ومعبدها منذ سنة 71م، في تحريك عجلة التاريخ وظهور الدين الاسلامي في القرن السابع الميلادي (والملاحظ هو أن أورشليم بهذا الاسم باللغة العربية نادر في الفكر الإسلامي، بل نجد "بيت المقدس" و"القدس")، وهذا أكبر دليل على عملية المحو الذي تعرض له الإرث الثقافي اليهودي لكي لا يظهر أي أثر لهذه المدينة وخاصة حين يتعلق الامر بتغيير القبلة. وفي الختام يقترح الكاتب بعض المفاتيح لقراءة النص القرآني قراءة جديدة على ضوء أصول نشأته الحقيقية.

وكما أن المسيح لم يكتب الأناجيل ولم يتلقى وحيا من السماء، ولم يدعو الى دين جديد، فإن محمد هو الآخر لم يكتب القرآن، ولم يتلقى وحيا ولم يكن يسعى الى خلق دين جديد، ولم يؤسس الاسلام. فمن يا ترى ألف القرآن وأسس الإسلام، إذا لم يكن محمد؟ ولأي غاية فعل ذلك؟ هذا ما يجيب عليه "أولاف" و "ماري كالي" من خلال هذه المساهمة.

التعرف على الحقيقة الخفية الاسلام من خلال هذا الكتاب، يمكننا من معرفة اللغز الكبير الذي خلفه محمد بعد موته، وخلق الكثير من الفتن والحروب الأهلية التي لا زالت تشتعل في العالم الاسلامي الى يومنا هذا، وخاصة المعضلة الكبرى التي تتعلق بنموذج الحكم، وطبيعة النظام السياسي الذي يجب على المسلمين اتباعه. فحسب "أولاف" و "ماري كالي" فان محمد كقائد عسكري على رأس التحالف العربي اليهودي المتطرف، كان لا يسعى الى الحكم بقدر ما كان يهيئ لمجيء المسيح ولنهاية العالم وتأسيس دولة الله في الأرض (كما في حديث لمحمد، أورده الطبري يقول: "بعثت أنا والساعة كهاتين" مشيرا للسبابة والوسطى). النموذج السياسي الذي عرفه المسلمون عبر التاريخ، هو نموذج أرصاه الأمويون والعباسيون على التوالي، وهو نموذج حكم تسلطي استبدادي ودموي. فالأمويون، والعباسيون من بعدهم، صنعوا

دينا جديدا واستغلوه أبشع استغلال، ووضعوا في هرم السلطة شخصية أطلقوا عليها مصطلح "الخليفة".
بعد المرحلة التي يسميها الارث الاسلامي مرحلة التدوين، اتخذت الدولة العباسية ثلاث قرارات جدرية أسدلت بها الستار "بصفة نهائية" على الفكر والدين الاسلامين.
وهذه القرارات السياسية ذات الطابع الديني هي:
1- الايمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبالتالي لا يمكن مناقشته ولا انتقاده 2- عقيدة الناسخ والمنسوخ 3- اغلاق باب الاجتهاد. واعتمادا على تقديس شخص محمد، كما يفرضه الخطاب الإسلامي (ومعه تقديس الزمن الأول للإسلام والخلفاء الراشدين) تمكنت الدولة العباسية من التأسيس النهائي للإسلام ووضعت جميع الشروط اللازمة لتحجره. لذلك فالإسلام لم يعرف أي تغيير ملحوظ منذ الحقبة العباسية الى يومنا هذا، لا من ناحية العقيدة ولا من حيث الخطاب. لم يعمل المفكرون ولا رجال الدين في القرن 20 إلا على إعادة إنتاج وتأويل التراث اللاهوتي للحقبة العباسية.
واجهتنا صعوبات كثيرة خلال عملية الترجمة خاصة فيما يتعلق ببعض المفاهيم المحورية في هذا الكتاب، وهي ذات مرجعية مسيحية ككلمة "مسيانية" نسبة الى "الميسيا" (بدل المهداوية التي لا تفي بالمعنى المراد هنا)، كتاب العبادات والطقوس، أو الطائفة اليهودية الناصرية أو النصيرية (نسبة الى مدينة الناصرة في فلسطين) والتي ما زال النقاش مفتوح حولها ك:
Lectionnaire, judéonazaréens, messianisme
نرجو المعذرة من الإخوة المسحيين إذا نحن جانبنا الدقة في استعمال بعض المفاهيم.

cc BY ND NC

تـمهـيد

يسود إحساس غريب في الغرب وفي باقي بقاع العالم في الآونة الأخيرة، وخاصة لدى غير المسلمين، كلما تعلق الأمر بالحديث عن الإسلام. ويظهر هذا بكل وضوح في مختلف وسائل الاعلام (وبشكل أكبر عبر الأنترنيت) وتؤكده نتائج استطلاعات الرأي، حيث أبرزت مثلا أن ما يقارب ثلاثة أرباع من الفرنسيين منزعجين وغير مرتاحين من الإسلام. لقد أصبحت الاسئلة التي تطرح بخصوصه جد متعددة، مثلا: لماذا كل هذه الصراعات الداخلية المستمرة بين المسلمين والتي لا تنتهي؟ لماذا هذه المواقف غير المتسامحة للإسلام تجاه بقية الاديان الاخرى؟ ولماذا هذه الرغبة في الهيمنة المطلقة للإسلام على كل شيء؟ لماذا يجد المسلمون صعوبة كبيرة في الاندماج في المجتمعات الغربية؟ لماذا يجد المسلمون صعوبة كبيرة في التعايش مع المعاصرة؟ لماذا يضيّق الإسلام الخناق على الحريات، وينتهك الكرامة الانسانية؟ بماذا يمكن تعليل سكوت الغالبية العظمى للمسلمين تجاه ما يقع في البلدان الإسلامية؟ ولماذا هذا التغاضي على ما يقع في البلدان غير الإسلامية من فظائع على يد المسلمين؟ ولماذا هذا العنف المتواصل واللصيق بالإسلام منذ أن بدأ "ملحمته" مع محمد واستمر في السيطرة على أرجاء واسعة من العالم منذ حوالي 1400سنة؟ ثم لماذا يصعب على المسلمين مناقشة هذه المواضيع، بل يعتبرونها من المحرمات؟ ما الذي يمنعهم من طرح الأسئلة النقدية واقتراح قراءات جديدة للإسلام؟ ألا يعني هذا أن هناك شيئا خفيا داخل الإسلام نفسه، وأن هناك خدعة مُحكمة تحاول المنظومة الاسلامية إخفاءها بكل الوسائل؟

الملاحظ والمتتبع لهذه القضايا، غالبا ما يثير انتباهه الثغرات العديدة في الإسلام، كالجمع بين السياسة والدين وعدم الفصل بينهما، أو البعد التنظيمي والاجتماعي للإسلام الذي يفرض تشريعات وقوانين يتعذر معها تحقيق المجتمع المثالي الذي يحلم ببنائه في جميع أرجاء العالم. كما أنه يلاحظ بكل وضوح التخلف والفشل والأزمات في جميع البلدان التي تبنت الاسلام كنظام سياسي مبني على تطبيق "شرع الله". وفي محاولة لفهم هذه الاختلالات يمكن القول بأن التناقضات الداخلية للعقيدة الإسلامية وتضارب أحكامها يرجع لاعتبارها من طرف المسلمين وحيا الهيا، وحقائق مطلقة، على الرغم من أنها لا تتلاءم مع الطبيعة الانسانية ولا مع الفكر السليم. ولكن الأهم من كل هذا هو طرح هذه الاشكالية بشكل علمي، كالبحث التاريخي **للأصول الحقيقية للإسلام**، لأن معرفة الحقيقة الفعلية لأصول الإسلام بدون

تحيز وبدون تعصب ديني أو ايديولوجي، هو الكفيل لمعرفة الإسلام في عمقه، بعيوبه واخفاقاته وكذلك انجازاته.

الأبحاث والدراسات العلمية حول الاشكاليات المتعلقة بالإسلام ليست وليدة اليوم، لقد بدأت منذ مدة وما تزال مستمرة الى يومنا هذا، ولكن غالبا ما يتم محاربتها من طرف المسلمين. أما في البلدان غير الإسلامية فانه يتم تجاهلها في وسائل الاعلام ومن طرف الصحفيين والمؤرخين ورجال التعليم ورجال الدين. والملاحظ هو أن جل الدراسات والأبحاث التي تُقدّم عن الإسلام تعتمد بالأساس على المنظومة الإسلامية، وما يقوله الإسلام نفسه، عن أصول نشأته وتاريخه، بدون التشكيك فيها ولو لحظة واحدة. الجميع يأخذ ما يقدمه الإسلام من معارف عن نفسه باعتبارها حقائق تاريخية موثوق منها ومسلّم بها، بحيث يتم طبعها وتداولها في الكتب المدرسية وتدريسها للأطفال في المدارس... وهكذا يتم تكريسها كما لو تعلق الامر بحقائق ومسلمات علمية ثابتة.

وعلى هذا النحو يتم تقديم تاريخ الإسلام (للمسلمين ولغير المسلمين على حد سواء) وتاريخ الدعوة كما صاغه الفكر والتراث الإسلامي نفسه. ان النسخة التي يقدمها الإسلام عن نشأته وتاريخه مهمة جدا من حيث الصياغة وطريقة حبكها، لكنها مع كامل الأسف لا تحكي الحقيقة التاريخية لظهور وتشكل الإسلام. وعلى الرغم من كل الاحتياطات التي اعتمدها كتاب ومؤلفو التاريخ الإسلامي فان بقايا هذه الحقيقة التاريخية، حول أصوله وكيفية تشكله كدين وكعقيدة ثم كنظام سياسي، لازالت عالقة بين السطور. الحقيقة التاريخية غير متوفرة بشكل جلي فيما يقدمه لنا الموروث الثقافي المكتوب، ولكنها مخفية بين ثنايا السطور على شكل نصوص مشفرة ومحاطة بألغاز عديدة. بالإضافة الى هذا فإن البحث في التاريخ الحقيقي لنشأة الإسلام هو موضوع ممنوع في البلدان الاسلامية. ولفهم أعمق لهذه الحقيقة، وللنزاهة العلمية كذلك، سنعرض أولا تاريخ نشأة الإسلام وأصوله كما تقدمه لنا الرواية الإسلامية. ثم من خلال هذه الرواية نفسها ستظهر هشاشة السرد الإسلامي للوقائع التاريخية، وشيئا فشيئا سيظهر السر الخفي لنشأة الإسلام على الرغم من الجهد الكبير الذي قامت به السردية الإسلامية لتعتيمه والتستر عليه. لقد بدأ ارتباك السردية الاسلامية وتخلخلها ينكشف أمام البحث العلمي المتواصل حول الإسلام. وكما سنرى في الفصل الأخير، فان العناصر الأساسية للحقيقة الخفية للتاريخ الإسلامي توجد داخل النصوص الإسلامية نفسها والتي لم تستطع الرواية الرسمية طمسها بالكامل.

cc BY ND NC

I
مـقدمـــة

ماهي الرواية الرسمية للإسلام؟ أو كيف يقدم الإسلام نفسه؟
ما هو التاريخ المقدس للإسلام حسب التاريخ الرسمي للإسلام؟

مـحـمـــد:

العرب حسب الرواية الإسلامية هم شعب ينحدر من سلالة أبراهيم الذي تزوج بهاجر (زوجته الثانية) التي أنجبت له اسماعيل. ثم تكونت القبائل العربية وكانت تزاول مهنة التجارة عبر القوافل، وكانوا رحلا ومقاتلين. في القرن السادس الميلادي كانت هذه القبائل تعيش وفق نظام قبلي في بلاد العرب (بالضبط في الحجاز، أي الجنوب الغربي لدولة السعودية الحالية، الجانب المتاخم للبحر الأحمر). وحسب الرواية الإسلامية، دائما، كانوا وثنيين يعبدون الاصنام ولهم آلهة متعددة، وكانت لديهم عادات وتقاليد فجّة، ويعاملون النساء معاملة قبيحة الى درجة أنهم كانوا يمارسون وأد البنات. كانت بلاد العرب تسودها الفوضى والحروب والاقتتال بين القبائل المتناحرة: انها الجاهلية، زمن الجهل والظلام وتعدد الالهة....

في هذه الظروف سيظهر في قبيلة قريش بمدينة مكة نبي الإسلام: محمد. كانت مكة مدينة صغيرة لكنها ذات أهمية كبرى لأنها كانت تشكل محطة عبور القوافل التجارية. نشأ محمد يتيما منذ التاسع من عمره، حيث تكلف جده بتربيته ثم بعد ذلك عمُّه وكانا من أعيان قريش. وخلال مرافقته لعمه في رحلات القوافل التجارية بسوريا رآه راهب مسيحي اسمه "بحيرا" فتعرف على معالم النبوة فيه وهو ما يزال طفلا صغيرا. وحين أصبح شابا زاول التجارة عبر القوافل التجارية، سيرا على تقاليد قبيلته، حيث زار بلاد العرب ومجموع الشرق الأوسط. ثم تزوج خديجة التي كانت أرملة وغنية، وكانت تكبره في السن، فتكلف بتسيير تجارتها، وكان لهما أربع بنات.

حوالي سنة 610م، وبينما كان محمد يتعبَّد في غار حراء، جاءه الملك جبريل[1] بالوحي الالهي، ونزلت الآية الأولى من القرآن (سورة اقرأ) وأخبره بأنه مبعوث من

[1] قصة ظهور الملك جبريل لمحمد تشبه بشكل غريب قصة ظهور ملك سماوي لـ"ماني" مؤسس الديانة المانوية في القرن 3م .

عند الله الذي خلق الكون وآدم (أول انسان) أب جميع البشر. فالإله واحد، هو الله الذي أوحى الى ابراهيم ونوح وعيسى... "وكلم موسى تكليما"... ولكن البشر كانوا في الغالب لا يؤمنون بما جاء من الوحي، وغالبا ما كانوا ينقلبون عن ايمانهم وخاصة اليهود والمسيحيين الذين كذّبوا بعدما "جاءتهم البينة" في كتبهم المقدسة (التوراة والانجيل[2])، بل أكثر من ذلك لقد حرفوا الكتب المقدسة فأصابتهم الضلالة. ولذلك أرسل الله محمدا لكي يهديهم الى سواء السبيل، ولتكون بذلك دعوته آخر رسالة الى البشرية جمعاء، لتضع حدا للكفر والفوضى في هذه الدنيا. لقد جاءهم بالدين الجديد الذي يجمع ويصحح الاديان الاخرى مما شابها من التحريف، خاصة اليهودية والمسيحية. فالدين الاسلامي هو الدين الحق الذي اتى بالشرائع الالهية الكفيلة بخلق مجتمع مؤمن خالي من المحرمات ومن الأفعال الشريرة، وتجعل الانسان يعيش وفق شرع الله ونواميسه. وانطلاقا من هذا **فان المسؤولية الملقاة على عاتق المسلمين هي نشر الإسلام وأسلمة العالم واخضاعه للشريعة الإسلامية طبقا للإرادة الإلهية** لجعل كل سكان الارض مسلمين يعيشون في طاعة الله من طلوع الشمس الى غروبها، وفي جميع مناحي الحياة، وما بين الزوج وامراته، والصديق وصديقه، لأن الاسلام هو أساس العدل والسعادة والسلام في الدنيا والآخرة.

كان محمد رجلا أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة[3]، فأصابه الذهول لما وقع له بغار حراء، فذهب عند زوجته خديجة التي اتصلت بدورها بابن عمها ورقة بن نوفل، وهو راهب نصراني (باعتراف المصادر الإسلامية نفسها) فتعرفا على صفة النبوة فيه وآمنا به. ومنذ ذلك الوقت انطلق محمد للدعوة الى الله الواحد في مكة الوثنية حيث آمن مجموعة من المكيين بدعوته. وازداد عدد المصدقين لدعوته خاصة بعد معجزة الاسراء والمعراج، حيث سافر على ظهر البراق في ليلة واحدة ذهابا وايابا من مكة الى أورشليم (القدس حاليا)، ثم صعد الى السماوات السبعة انطلاقا من قبة الصخرة بفلسطين. خلال صعوده الى السماوات سيزور جهنم (المصادر الإسلامية تختلف في هذه النقطة) كما أنه التقى بالأنبياء وصلى بهم، الى أن وصل الى شجرة المنتهى. ثم اطلع على "أم الكتاب" أي الكتاب الالهي الموجود في اللوح المحفوظ،

[2] القرآن يشير الى الانجيل بصيغة المفرد، في حين أن هناك أربعة أناجيل (انجيل متى وانجيل لوقا، وانجيل مرقس، وانجيل يوحنا.)

[3] هذا هو المعنى الذي يعطيه جل المفسرين لكلمة "أمي" (سورة 7، آية 158،...)

ورأى هناك القرآن الاصلي الموحى اليه. كانت معجزة الهية قام بها محمد في ليلة واحدة.
ومع ذلك لم تكن مهمة محمد سهلة، لقد قاومه أعداؤه خاصة أغنياء وأعيان قبائل مكة الذين أزعجتهم تحركاته. بعد موت زوجته خديجة وعدد من المقربين إليه ازدادت حدة المضايقات لدعوته ولأصحابه القلائل، وتم طردهم من مكة، منهم من قطع البحر ولجأ الى الحبشة، ومنهم من هاجر معه الى يثرب التي تبعد عن مكة ب400كلم. كانت يثرب مدينة غنية ومحصنة، عبارة عن واحة في قلب الصحراء يسكنها خليط من القبائل العربية واليهودية. ستصبح هذه السنة (622 م) هي السنة الهجرية الأولى: إنها بداية التاريخ الإسلامي.
تمّ تغيير اسم يثرب فيما بعد لتصبح "المدينة" وأطلق على هذه الفترة اسم المرحلة المدنية في مقابل الفترة المكية للدعوة المحمدية. في بداية السنة الاولى للهجرة أبرم محمد وأصحابه معاهدة مع سكان وأعيان يثرب، عُرفت ب "صحيفة المدينة[4]"، يطلق عليها المسلمون "دستور المدينة". ثم توالى "نزول الوحي" آية بعد آية حسب الظروف والمناسبات، وبدأت مكانته تتقوى داخل المدينة الى أن أصبح قائدها الأول.
خلال هذه الفترة بدأ محمد "ينقي" دينه الجديد من بقايا الديانة اليهودية التي شابها الكثير من التحريف وخاصة بعض الطقوس والشعائر، كما غيّر قبلة الصلاة من القدس في اتجاه الكعبة التي بناها ابراهيم بمكة، فطهرها بعد أن دنسها المشركون بأصنامهم وأوثانهم وأصبحت قبلة للمسلمين.
أصبح محمد في الفترة المدنية قائدا عسكريا وأمام المؤامرات والدسائس التي كان يدبرها المكيون والمشككون لدعوته نزلت آيات تدعوه الى الجهاد والقتال ليحارب الكفار والمنافقين، فتوالت الغزوات والهجمات ضد القوافل المكية الواحدة تلو الأخرى، وتمت تصفية المعارضين والحاقدين على دعوته. ومع توالي الانتصارات وكثرة الغنائم، تغيرت وضعية المدينة بحيث أصبحت تشكل دويلة قوية ومنظمة.
ويعتبر الموروث الثقافي هذه الفترة الزمنية مرحلة ذهبية في التاريخ الاسلامي حيث أرسى محمد قواعد العدل والمساواة، وحرر المرأة من الوضعية المهينة التي كانت تعيشها كما حرم وأد البنات، ووضع حدا لجميع الممارسات الجاهلية المشينة... كان

[4] صحيفة المدينة معاهدة مفصلية في تاريخ نشأة الاسلام المبكر، تمت بين عرب قريش واليهود الناصريين. لم يبقى من هذه الصحيفة الا ما أراد ابن هشام أن يتركه في السيرة، عبارة عن هيكل عظمي بدون محتوى ولا بنود واضحة. ويمكن للقارئ الاطلاع على ما تبقى من هذه المعاهدة عبر الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/صحيفة_المدينة

CC BY ND NC

محمد يعيش حياة بسيطة متواضعة، على الرغم من تعدد زوجاته (حسب الرواية الإسلامية وصل عدد الزوجات 13 زوجة ناهيك عن العبيد والسبايا[5]). وتوالى نزول الوحي بآيات جديدة تخص تنظيم وتوجيه حياة المؤمنين الذين تزايدت أعدادهم، وآيات أخرى تدعو لمحاربة الأعداء والمنافقين. كان اليهود من أشد أعداء محمد ودعوته، لأنهم نقضوا العهود (خاصة عهد صحيفة المدينة) وعلى إثر ذلك قام سنة 627 م بطرد قبيلتين يهوديتين وتصفية القبيلة الثالثة (قبيلة بني قريظة) وسبى نساءهم وأطفالهم (دائما حسب السيرة النبوية).

في سنة 629م وقع صلح الحديبية مع المكيين، الأمر الذي مكّن محمد وأصحابه من أداء مناسك الحج، وبعد سنة واحدة من ذلك تمكن من فتح مكة سنة 630م. فقام بتطهير محيط الكعبة[6] من الأوثان والأصنام، وأعاد تزيينها ووضع الحجر الأسود بأحد جدرانها، واسترجعت مكة مكانتها السابقة كمدينة مقدسة. استمرت الفتوحات في الحجاز وبدأ "الناس يدخلون في دين الله أفواجا". كان اليهود والمسيحيون يعيشون في سلام مع المسلمين بحيث كانوا يمارسون شعائرهم وتجارتهم بكل حرية وتمكن محمد من توحيد جزيرة العرب تحت دين واحد ولغة واحدة، وتقوّى الشعور بالانتماء الى "الأمة" أي الجماعة الإسلامية المؤمنة به، الشيء الذي مهّد الطريق لمواصلة الفتوحات لتشمل الشرق الأوسط برمته.

في سنة 632م قام محمد بآخر مناسك الحج له في "حجة الوداع"، وتوفي بعد ذلك بقليل ودُفن بالمدينة في نفس السنة.

---

[5] حسب ابن هشام أحد كتاب السيرة النبوية وصل عدد نساء محمد الى 13 في حين أن ابن كثير يرى أنهن 28 امرأة. وكان يشكل استثناء لأن القرآن حدد عدد الزوجات في أربعة (القرآن سورة 4 آية3، ثم سورة33 آية 5) النساء: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا). سورة الأحزاب آية 50: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا). و لكن على الرغم من كثرة النساء فان محمد لم يخلف أولادا. وحسب الرواية الإسلامية فقد ازداد عنده طفل توفي في سن جد مبكرة.

[6] عرفت الكعبة عدة حوادث من بينها فيضانات 1620م التي اتت على أجزاء كبيرة من جدرانها، وقام السلطان مراد الرابع بإعادة بنائها سنة 1631.

cc BY ND NC

الإسـلام بعد وفـاة مـحمـد

حسب الرواية الإسلامية

تمّت مبايعة أبو بكر الصديق خليفة للمسلمين مباشرة بعد موت محمد، حيث أصبح القائد الديني والعسكري والسياسي للأمة. كان اختيار أبو بكر نتيجة للمشاورات التي قام بها الصحابة (فيما يشبه المجلس الاستشاري للخلافة) خاصة عمر وعثمان وعلي وأُبيّ ثم زيد السكرتير الخاص لمحمد (الذي سيُكَلف بجمع القرآن فيما بعد).
تابع أبو بكر الفتوحات الواحدة تلو الأخرى سيرا على نهج محمد، لكن مهمته لم تكن سهلة بحيث واجه أولى الصعوبات الكبرى للأمة من طرف الرافضين لخلافته، عرفت بحرب الردة. لم تدم مدة حكم ابو بكر الاّ سنتين ليخلفه عمر بن الخطاب، الذي يعتبر من أكبر الفاتحين في التاريخ الإسلامي، وسيمتد حكمه من مصر الى تونس، ومن الشام الى إيران مرورا بالعراق. فتح عمر دمشق سنة 634م، ودخل العرب الى مدينة القدس في فترة حكمه ما بين 637م و638م بعد أن حررها من قبضة بيزنطة، وقام ببناء مسجد مكان الهيكل اليهودي القديم سمي "مسجد عمر"، ثم أعاد بناءه عبد الملك ابن مروان فيما بعد في نهاية القرن السابع الميلادي وسمي مسجد قبة الصخرة.
خلال هذه الفترة (أي بعد وفاة محمد) تابع الصحابة ما بدأه محمد، فكانوا يحفظون القرآن ويتّبعون سنته وينشرون تعاليم الإسلام، ولكن ظروف الحرب والفتن خلقت أوضاعا غير مستقرة فخاف المسلمون من اندثار القرآن نظرا للأعداد الكبيرة للصحابة الذين لقوا حتفهم في هذه الحروب المتتالية، الأمر الذي كان يهدد كيان الأمة ووحدتها وهذا ما دفع أبو بكر ومن بعده عمر بتكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن. بعد اغتيال عمر بن الخطاب سنة 644م تمت مبايعة عثمان بن عفان خليفة للمسلمين، وأصبح الخليفة الثالث للمسلمين من سنة 644م الى 656م. وحسب الرواية الاسلامية قام عثمان بعمل جبار وإنجاز كبير يتمثل في جمع كل المصاحف الموجودة في الامبراطورية الإسلامية آنذاك وتوحيدها في مصحف واحد، وأمر بحرق كل المصاحف الأخرى، ليصبح مصحف عثمان هو الكتاب الرسمي للدولة ولجميع المسلمين. ثم أرسل خمسة نسخ الى جميع أنحاء البلاد الإسلامية، لكي تصبح النسخة العثمانية هي الرسمية المعتمدة للإمبراطورية، خاصة في المدينة ودمشق والكوفة

والبصرة ومكة. طبعة القاهرة للقرآن لسنة 1923م اعتمدت على نسخة المصحف العثماني.
بعد مقتل عثمان سنة 656م خلفه علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول وأحد كبار الصحابة حسب الرواية الإسلامية. عرفت فترة حكمه أكبر الحروب الأهلية بين المسلمين، يطلق عليها التاريخ الإسلامي "الفتنة الكبرى". ثم قتل علي سنة 661م وكان بذلك آخر "الخلفاء الراشدين" الذين يعتبرهم العالم السني نموذج المسلم المثالي وقدوة للخلفاء المسلمين. مقتل علي ستزيد مشاكل الأمة تعقيدا بسبب الحروب الأهلية اللامتناهية، والطموحات السياسية للفرقاء، والصراعات الدموية حول السلطة، كان من نتائجها تقسيم الأمة الإسلامية الى سُنَّة وشيعة بالإضافة الى العديد من الفرق المتناحرة الأخرى. كانت السُّنة تريد الحسن بن علي خليفة للمسلمين، ولكن معاوية كانت له الكلمة الفصل في هذا الصراع واستفرد بالحكم بالقوة. الشيعة من جهتها كانت تريد إماما ذو شرعية دينية ومن سلالة محمد، فهم يحبذون الامامة بدل الخلافة. ومع موت الحسن سنة 670م اختارت الشيعة أخوه الحسين كثالث امام لهم (حسب الرواية الإسلامية قتل الحسن مسموما بإيعاز من معاوية بعد تسع سنوات على عزله من طرف هذا الأخير). نتج عن الصراع بين الشيعة ومعاوية شرخا كبيرا في صفوف المسلمين، وانشقاقات أخرى، من بينها ظهور الخوارج وهم ورثة المجموعة التي قتلت عثمان إبّان الفتنة الكبرى.
لقد فرض معاوية نفسه بالقوة، وحوّل عاصمة الخلافة من المدينة الى دمشق، كما غيّر طريقة الحكم، حيث اصبحت الخلافة بالوراثة، بعدما كانت تتم عبر اختيار الحاكم بين المسلمين، فخلفه ابنه اليزيد بن معاوية سنة 680م. أسس معاوية بذلك نظام الحكم الملكي للخلافة الأموية لأول مرة في تاريخ المسلمين. في عهد اليزيد سيتم تصفية الحسين ابن علي، واستمر حكم الأمويين زهاء قرن من الزمن، حيث سينتهي سنة 750م على إثر الصراعات السياسية والدينية التي أشعلت فتيل الحروب الأهلية الثانية.
وعلى الرغم من كل هذه الظروف غير المستقرة، استمر الجهاد واستمرت الأمة في معاركها المقدسة ضد المشركين من الفرس وبيزنطة وأمازيغ شمال افريقيا وجنوب اسبانيا، ووصلت الفتوحات الى جنوب فرنسا وآسيا الوسطى. لكن، وفي خضم هذا التوسع كان الاقتتال والصراعات الداخلية مستمرة هي الأخرى، كانت السبب في نهاية الحكم الأموي على يد أبو العباس الملقب بالسفاح الذي أنشأ الحكم العباسي سنة

750م، وحوّل عاصمة الخلافة الإسلامية من دمشق الى بغداد وتميزت فترة حكمهم بالتأثير القوي للعنصر الفارسي في الامبراطورية الإسلامية. ثم انتقلت الخلافة بعدهم الى المغول في القرن 13 ثم الى العثمانيين في القرن 14.

خريطة التوسع الإسلامي:

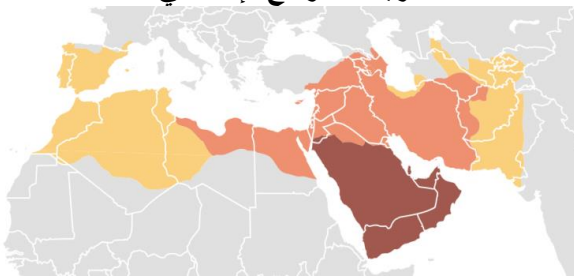

التوسع من فترة محمد 622- 632م، وفترة الخلفاء الأربعة 632-661م، الى فترة الدولة الأموية 661-750م.

ويظهر من خلال ما تقدم أن التاريخ الأول "للأمة" الإسلامية كان مسرحا للاضطرابات والفوضى: عرف مقتل ثلاثة خلفاء لمحمد، ومقتل الحسن والحسين، ثم الحروب الأهلية اللامتناهية، والحروب المقدسة ضد "المشركين"، ناهيك عن العنف والبطش الذي طبع الحكم خلال هذه الفترة من طرف جميع الخلفاء الذين كانوا ينفردون بالسلطة ويمارسون حكما مطلقا. لم يظهر من الإسلام إلّا العنف والصراعات المتتالية والحروب الأهلية، على الرغم من أن التاريخ الإسلامي الرسمي يجتهد من خلال أدبياته لتقديم الدين الإسلامي كدين سلام، إلّا أنه في واقع الأمر لم يأت إلاّ بالخراب. وتحكي الرواية الإسلامية أن كلام الله (القرآن) بقي محفوظا ولم تصله شرارة الحروب الأهلية، وأن كلام نبي الإسلام وأفعاله بقيت محفوظة، وأن السنة التي تعتمد على قوة السند بقيت متواترة عبر أصحابه بحيث وصل عدد الأحاديث، ما بين الصحيحة والضعيفة، الى ما يزيد عن مليون ونصف مليون حديث. الرواية الإسلامية في مُجْملها مبنية على هذه الأحاديث، ورواة الحديث هم أصل التاريخ الإسلامي الأول. فلا توجد كتب تاريخ مكتوبة من طرف مؤرخين عايشوا هذه الأحداث. القرآن لم يجمع إلاّ بعد موت محمد، والسيرة النبوية لابن هشام

CC BY ND NC

لم تكتب إلاّ في القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي) ونسخة ابن اسحاق التي يقول ابن هشام أنه استلهم منها لا توجد منها ولو نسخة واحدة، والأحاديث لم تدوّن الا بعد قرنين من وفاته. هذه المنظومة الفكرية والعقائدية للإسلام التي تتكون من القرآن والسيرة والأحاديث، كلها تدور في فلك شخص محمد، الذي يُشكِّل في نفس الوقت النموذج الذي يجب على المسلم أن يقتدي به في تطبيق كلام الله وإرادته. وما يطلق عليه المسلمون الشريعة الإسلامية، تكوّنت واكتملت كمتن وكمنظومة عقائدية في القرن العاشر الميلادي/ الثاني هجري. ويعتقد المسلمون أن تطبيق الشريعة الإسلامية "بالشكل الصحيح" هو وحده الكفيل ليجعل الانسان يعيش في السعادة والرفاهية، لأنه السبيل الذي رسمه الله لهم ولبقية البشر في جميع بقاع الأرض.

ركائز العقيدة الإسلامية

1- الله: هو الاله الواحد خالق الكون وسيُّده، فهو المُسير للحياة ولكل شيء في كل زمان ومكان. كل ما يلحق بالإنسان (خيرا أو وشرا) سواء كان مسلما أو غير مسلم، هو من ارادة الله. كما أن جميع الظواهر، التي يدرسها العلم والعلماء، هي من تخطيط إلهي.

2- اول الأنبياء حسب الإسلام، هو **ابراهيم** الذي تلقى الوحي الالهي لهداية الناس، وبما ان الانسان كان دائما جحودا متمردا فان الله قد أرسل مجموعة من الأنبياء لإعادة البشر "الى سواء السبيل"، وليذكرهم بأن حكمة الله تقتضي التسليم والخضوع للإرادة والحكمة الالهية. والديانات التوحيدية الكبرى تنقسم الى ثلاثة، لكل واحدة منها كتابها المقدس ونبيها المرسل، وهم: موسى لليهودية، وعيسى للمسيحية، وآخرهم محمد نبي الاسلام.

ا- **الشعب اليهودي** هم أبناء ابراهيم من سلالة يعقوب، أرسل الله إليهم النبي موسى، وآتاه كتابا مقدسا: التوراة، وهي وحي إلهي يحتوي على الشريعة اليهودية، أي الأحكام الالهية التي يجب على اليهود اتباعها. والتوراة تعلن مجيء المسيح المخلص، ولكن اليهود حرفوها وتنكروا لتعاليمها ونبوءاتها.
ب- **المسيحيون** هم شعب ينتمي الى الشعب اليهودي (فهم من سلالة ابراهيم) أرسل الله إليهم المسيح وآتاه كتابا مقدسا وهو الانجيل، وفيه يتنبأ بمجيئ محمد كآخر الأنبياء ويمنحه الله كتابا وهو خلاصة الكتب المقدسة السابقة. ولذلك فهو يحتوي على التعاليم الالهية الوحيدة التي بإمكانها هداية الناس أجمعين. وعلى هذا الأساس فإن محمد

رسول الله لجميع الخلق، وعلى الجميع الخضوع لتعاليمه الالهية. وللإسلام موقف خاص من السيد المسيح. فهو عيسى ابن مريم الذي لم يصلب "ولكن شُبِّه لهم" ورُفع الى السماء: "وما قتلوه وما صلبوه" ولكن الله أخذه عنده ليبعثه في آخر الزمان لكي يطهر الأرض من الكفر ومن الظلم.

د- **العرب** هم أبناء ابراهيم من سلالة اسماعيل، وهم شعب اختاره الله وأرسل إليهم نبيا من عندهم اسمه محمد، ومنحه كتابا مقدسا هو خلاصة كل الكتب السماوية الأخرى: التوراة والإنجيل. وبما أن محمد هو آخر الرسل وخاتم الأنبياء، فان القرآن هو كتاب لجميع الديانات الأخرى التي حرفت كتبها، ويجب على الجميع الامتثال الى تعاليمه السماوية. انه الكتاب المقدس الذي يحتوي على التعاليم الالهية الحقة والنقية التي لم يطلها التحريف، وما على المسلمين إلاَّ اتباعها والسير على سنة رسوله للعيش وفق إرادة الله.

3- المسلمون هم الشعب الذي اختاره الله وأعطاه خاتمة الرسائل وأفضلها، وهم بذلك مدعوون لتنفيذ الارادة الالهية ولقيادة العالم بأسره، فنشر "كلمة الله" فريضة على كل مسلم. هذا العمل يبدأه المسلم انطلاقا من ذاته، بتطبيق أركان الإسلام الخمسة (الشهادة والصلاة، وصوم رمضان، والزكاة والحج الى مكة لمن استطاع اليه سبيلا). هذه الأركان تجعل الانسان مسلما، لأنه يسلِّم أمره لله في جميع تصرفاته وحركاته، في خضوع تام للإرادة الالهية. إن تطبيق هذه الأركان والالتزام بها هو الطريق الوحيد الى السعادة والعيش السديد في الحياة الدنيا والآخرة "في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا". لكن عدم الامتثال لهذه التعاليم يجلب للإنسان العقاب في هذه الدنيا، تطبيقا للشريعة الإسلامية، والعذاب الأليم في الآخرة. وعلى هذا الأساس فالمسلمون مطالبين بالامتثال للعقيدة الإسلامية ونشرها لتطهير الأرض من المشركين والكفار، لأنهم لا يتّبعون التعاليم الالهية ويعيثون في الأرض فسادا.

4- الايمان **بيوم القيامة** (اليوم الآخر): عند السنة هو اليوم الذي سيعود فيه المسيح الى الأرض، وينفخ في الصور، وعند الشيعة هو اليوم الذي يعود فيه الامام الثاني عشر ليطهر الأرض من الظلم والعدوان وينشر السلام في الأرض.

هذا هو مجمل الدين الإسلامي وملخص عقيدته، حسب الثقافة الإسلامية ذاتها. وهو عموما يشكل نسقا نظريا متكاملا ومنظما، يحكمه منطق داخلي صارم، كما أنه رؤية للعالم ذات طابع شمولي تسعى الى اخضاع الأرض للمنظومة الإسلامية.

وهذه الرؤية للعالم هي نسق نظري عقائدي من أجل عالم مثالي، لا يجب التشكيك فيها لأن في "ذلك إثم"، والشك في بلاد الإسلام من عمل الشيطان والكفرة.

يحاول هذا الكتاب مساءلة هذه العقيدة وانتقادها، والنبش في أصولها الحقيقية، ومحاولة تقديم تاريخ آخر مغاير لها، تاريخ الأحداث والظروف الحقيقية التي نشأ

CC BY ND NC

وتطوَّر فيها الإسلام، خلافا لما تقدمه الرواية الإسلامية. انها رؤية جديدة تحاول كشف المستور، وتفكيك الرموز لمعرفة السر الخفي والمبطّن لهذا التاريخ.
ويمكن تلخيص المنظومة الإسلامية على الشكل التالي:

المنظومة الإسلامية مبنية على مسلمات تبرر بواسطتها المشروع الإسلامي الذي يهدف لإخضاع العالم بالفتوحات، وتطبيق الإسلام لإنقاذه من الشر والظلم (الكفر):

انها الارادة الالهية

هذه المنظومة المثالية هي ارادة الهية أعطاها الله للمسلمين عن طريق الوحي فهو:

كلام الله (القرآن) الذي أوحاه لمحمد.

إنه المنهج السليم الذي يبيّن للمسلم التقي الطريق السوي الذي يجب اتباعه لأنها:

سنة نبي الإسلام محمد، فهو القدوة والمثال.

دين الإسلام جاء ليقضي على جميع الضلالات، من أجل عالم نقي خالي من الشر والظلم. جاء ليوحد الجميع في دين واحد ويقضي على الشرك والكفر (بما فيها الديانة اليهودية والمسيحية). ثم ان الانسان منذ بدء الخليقة الى اليوم لا يتبع الا الضلالة ويبتعد عن سواء السبيل وعن الارادة الالهية على الرغم من تعاقب الأنبياء والرسل. وعليه فان:

المسلمين هم وحدهم الذين يتبعون الدين الحق ويطبقون ارادة الله

وحين تعم التفرقة والفتن بين المسلمين وتخرب بيوتهم فمردُّ ذلك الى أنهم لم يطبقوا شريعة الله، وابتعدوا عن حكمته ولم يمتثلوا اليها. وحين يلجأ غير المسلمين (الكفار والملاحدة) الى انتقاد الإسلام والمسلمين فمردُّ ذلك الى أنهم فقط لا يفقهون شيئا من سماحة هذا الدين. ومن يكفر بالله فلا هادي له، فتلك ارادة الله، وفي ذلك حكمة ربانية.

الإسلام له جواب جاهز لجميع الأسئلة والانتقادات التي قد تتبادر الى الذهن، وهذا الجواب هو:

يجب معرفة الإسلام حق المعرفة، وتطبيقه على أحسن وجه، لأن الابتعاد عن تعاليمه الحقيقية هو أصل جميع الفتن بين المسلمين.

cc BY ND NC

II

التاريخ الخفي للإسلام

كما جاء في المقدمة فان العالم (بما في ذلك العالم الاسلامي نفسه) لا يعرف الإسلام الا من خلال المنظومة الإسلامية وكما تقدمه الرواية الإسلامية، على أساس أنه هو التاريخ الحقيقي، باعتبار ذلك حقيقة تاريخية مسلم بها ولا جدال فيها. وهذا ما يقدمه "المتخصصون في الإسلام" في القنوات العالمية عن نشأته وتطوره... ولكن في السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من الدراسات الجديدة أحدثت تصدعا كبيرا في هذه المسلمات التي تقدمها الرواية الإسلامية. فبفضل تقدم العلوم ظهرت اكتشافات أركيولوجية، ومقاربات لغوية جديدة، وعلم دراسة المخطوطات والنصوص القديمة (الكوديكولوجيا) وتم تسليط الضوء على الرافد الآرامي باعتباره الوسط الطبيعي لنشأة الإسلام، كما ظهرت دراسات محايدة وصارمة للنص القرآني، وأبحاث أخرى متعددة.

من بين هذه الدراسات هناك أطروحة في مجال تاريخ الديانات تمت مناقشتها في جامعة استراسبورغ الفرنسية من طرف ادوار ماري كالي[7] تلميذ انطوان موسالي، وكلاهما كانا يعملان في مجال الأبحاث والدراسات حول الشرق الأوسط[8]. أطروحة الأستاذ كالي اعتمدت على النتائج التي توصلت اليها الدراسات التالية:

- دراسات فرنسية حول الإسلام لكل من بلاشير، ودوبريمار...، ودراسات انجليزية لباترشيا كرون، مايكل كوك، ماري تيرز ارفوا، جيرد بوين، كريستوف لوكسمبورج...
- دراسات متفرقة في مجال التاريخ والجغرافية والأركيولوجية واللسانيات، ثم دراسات تيولوجية لاهوتية.
- دراسات التقاليد والديانات خاصة تلك المرتبطة بالتقاليد والنصوص الإسلامية وكذلك اليهودية والكنائس الشرقية.
- ثم مقاربات جديدة حول جدور المسيحية على ضوء مخطوطات البحر الميت.

---

[7] تم نشر هده الأطروحة (من 1000صفحة) تحت عنوان "نبي المسيح" او "المسيح ونبيه"، وهو الآن يحظر كتابا آخر حول الجدل بين المسيحية والإسلام. وللمزيد من المعلومات يمكن زيارة الموقع الالكتروني التالي http://www.eecho.fr/

[8] مراجعة دراسات جوزيف عزي في هذا المجال

Joseph Azzi, Monseigneur Dora-Haddad, le père Magnien (de Jérusalem).

cc BY ND NC

هذا الكم الهائل من الدراسات العلمية والجادة مكّن الأستاذ ماري كالي من تقديم أطروحته حول نشأة الاسلام في إطار مقاربة شمولية تعتمد على وقائع وشهادات ودلائل متعددة كلها مذيلة بالمراجع والوثائق والكتب... وبناء على ذلك يقترح طرحا جديدا لفهم بدايات تشكل الإسلام، مُبيّنا أصوله الحقيقية، والحيثيات التاريخية التي مكنته من أن يتطور لكي يصبح ديانة متكاملة كما نعرفه اليوم. وبهذا الطرح الجديد يساهم الكاتب في فهم أعمق لهذا الدين وكيفية تشكله عبر التاريخ.
في هذا الكتاب سنقدم أهم عناصر هذه المقاربة الجديدة معززة بأهم الدراسات والأبحاث الأخيرة التي تزكيها. إليكم قصة أكبر الألغاز في تاريخ البشرية، **لغز التاريخ الخفي للإسلام** والذي يختلف تماما عما تقدمه الرواية الإسلامية الرسمية. ولفهم هذا اللغز لا بد من العودة الى التاريخ اليهودي المسيحي.

الوحي الالهي لفترة ما بعد المسيح
اسرائيل سنة 30م

يتعلق الأمر بتاريخ اسرائيل 30 سنة بعد المسيح.
حسب التاريخ الذي تقدمه التوراة فان الشعب الذي كان يعيش في اسرائيل هو الشعب العبري كما **كونته وصقلته** الديانة اليهودية. وفي التقليد الاسرائيلي فان ابراهيم لبى نداء ربه وانطلق من بلاد الرافدين في اتجاه أرض أعطاها الله اياه: انها الأرض الموعودة، أرض اسرائيل. هذا الوعد الالهي مرتبط كذلك بالنسل الابراهيمي. ولذلك يعتقد الشعب العبري أنه من سلالته وبالتالي فهو الوريث الشرعي للأرض الموعودة.
فإبراهيم في اعتقادهم هو اليهودي الأول، وجد اليهود أجمعين: الجد من الناحية العرقية ومن الناحية الدينية، ثم الجد الثاني هو اسحاق. ومنذ ابراهيم والشعب اليهودي يعيش في اخلاص تام لهذا "العهد"[9]. وحسب التوراة فان الله قد اختار ابراهيم وجعله أول نبي لبني اسرائيل.
ومع تسلسل التاريخ والتطور التدريجي للأحداث تكوَّن الدين اليهودي عبر عدة مراحل أصبح معها الاله العبراني في رأيهم هو الاله الوحيد الخالق الأبدي والحامي

[9] Alliance

لكل شيء والذي يرفض تعدد الآلهة وعبادة الأوثان... هذا التصور التاريخي المؤسِّس لديانة بني اسرائيل يدور حول شخصيات محورية كموسى وداوود وإلياس ودانييل... كلهم كانوا من المؤسسين والمنذرين والمعلمين والمنقذين والهادين للشعب الاسرائيلي. ومع مرور الزمن تم تجميع وترتيب التعاليم والقوانين والعبر التي أتوا بها في نصوص موحدة ومتناسقة. والتوراة من بين أهم هذه النصوص، وتضم خمسة كتب تشرح تاريخ العالم منذ الخلق الأول، ثم تاريخ الشعب اليهودي والشريعة التي كان يعيش على مقتضياتها منذ القدم. وهي في عمومها تتحدث عن القيم الأخلاقية، وعن العلاقة مع الله، وخصائص اليهودي وعلاقته مع غير اليهودي[10]. نجد كذلك في التوراة تنظيم مقنن للحياة اليومية لليهود وكيفيّة الحفاظ على الطهارة. التوراة حسب التقليد اليهودي وحي إلهي أوحاه الله الى موسى حين صعد الى جبل سيناء خلال عملية خروج اليهود من مصر، ولذلك فهي تحتل مكانة عظمى في قلب الحياة اليهودية، وجل اليهود يعرفونها ويحفظونها عن ظهر قلب (مع بقية الكتب الأخرى كالزبور وكتب الأنبياء). وقد تم الحفاض على هذا التراث بالتواتر، عبر الأجيال داخل الأسرة والمجتمع عن طريق اللغة الآرامية، وهي اللغة التي كتبت بها التوراة والتي عن طريقها يمكن فهم نصوصها[11]. ومن أهم التعاليم التي تنص عليها التوراة وتحتل أهمية قصوى في اعتقاد العبرانيين هي **تقديس الهيكل**: معبد أورشليم (القدس حاليا).

تقديس الهيكل مبدأ محوري في الديانة اليهودية ولدى الشعب اليهودي، لأنه بيت الله، فهو في اعتقادهم المكان الذي يتواجد به الله وجودا فعليا في الأرض[12]. وداخل الهيكل كانت تمارس العبادات وتقدّم القرابين والأضاحي، ومن الواجب على كل يهودي أن يحج اليه والقيام بالطقوس اللازمة به، على الأقل مرة واحدة في السنة خلال مناسبة الحج. ويعتقد اليهود أن في قلب المعبد يوجد تابوت العهد (صندوق محصن يحتوي على ألواح موسى التي تحمل تعاليمه العشرة).

تعرّض الهيكل لعدة هجمات وعمليات هدم عبر التاريخ، وفي كل مرة يعاد بناؤه من جديد. كان آخرها وأضخمها هو الهيكل الذي بناه هيرود الأكبر، وقد شيّده على أنقاض هيكل سليمان على جبل المعبد أو جبل المروة. ويعتقد اليهود أن هذا الجبل

---

[10] كالاعتقاد بأن مجرد ملامسة غير اليهودي تدنس الانسان اليهودي، وهو اعتقاد مكّن الشعب اليهودي من الاحتفاظ بنقاء "العرق اليهودي" والارث الديني لهم في العالم القديم المليء بالحروب والثورات.

[11] Targoums

[12] كلمة هيكل Templeأو معبد لا توجد في اللغات السامية الأخرى، واستعملت مكانها كلمة بيت الله بدل معبد.

هو المكان الذي حاول فيه ابراهيم ذبح ابنه اسحاق وتقديمه قربانا لله. كان الهيكل يتكون من عدة وحدات، يوجد في وسطها قلب المعبد الرئيسي، وهي بناية ضخمة من حيث الحجم، على شكل T. كان الكهنة يدخلون اليه من الوجهة الأفقية، وفي نهاية الاتجاه العمودي يوجد مكعب كبير محجوب بستار عند المدخل: انه **"أقدس الأقداس"**. هذا المكعب مكان فارغ، ويعتقد اليهود أنه المكان الذي يسكن به الله فعليا في الأرض (انه بيت الله) ولذلك فهو **محرم** على الجميع تحت طائلة الموت لكل من حاول الدخول اليه، باستثناء كبير الكهنة الذي يدخله مرة في السنة. في حين كانت الطقوس والقرابين والصدقات تتم خارج الهيكل. كان الهيكل يشكل احدى عجائب ذلك الزمان ومفخرة للشعب العبراني برمته.

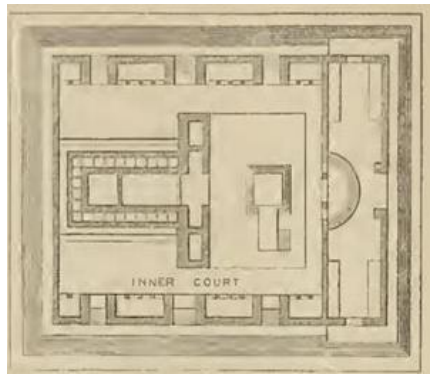

رسم هندسي للهيكل

صورة الهيكل القديم كما بناه هيرود الأكبر

عرف الشعب العبري عدة انتكاسات عبر التاريخ وتم تشتيته في باقي بقاع العالم، لكنه شكّل مجموعة مهمة من الجاليات في كل من مصر وبلاد الفرس والروم. كانت العودة الى أرض الميعاد تراود أحلامهم: العودة الى الأرض التي وعد الله بها ابراهيم وسلالته. في القديم كانت هذه الجاليات تتمركز في الحواضر الكبرى المعروفة آنذاك وبلغ تعدادها ما بين 2 الى 3 مليون نسمة وهو ما يعادل نصف الشعب العبري في تلك الفترة الزمنية. كانت فكرة الأرض الموعودة من أقوى الروابط والمقومات العاطفية والوجدانية لدى هذه الجالية.

في سنة 30م عرفت اسرائيل أعظم الانتكاسات حيث تشتت السلطة السياسية اليهودية وانقسمت الى عدة دويلات أو امارات يحكمها عدة ملوك لفترات متقطعة. (انظر خريطة تشتت مملكة هيرود الأكبر بعد موته في الملحق)

فالسامرة مثلا كانت توجد في الوسط، وكان العبريون يعتبرون السامريين "يهود من الدرجة الثانية"، أو يهود مهرطقة، بمعنى أنهم يهود من أصول غير صافية بالنسبة لليهود المثاليين أي سكان أورشليم التي يوجد بها الهيكل. والسامرة كانت لها نظرة استعلائية لبقية الشعوب العبرية الأخرى. كما كانت هناك عدة مماليك يهودية في باقي أرض اسرائيل. بالإضافة الى هذا التمزق عرفت اسرائيل فترات احتلال منذ عدة قرون من طرف قوات أجنبية كالآشوريين والبابليين والفرس والاغريق والرومان.

كانت الامبراطورية الرومانية تعتمد في حكمها لإسرائيل على وسطاء أو عملاء، كرجال الدين المتواطئين معهم خاصة في منطقة يهودا التي كان يسيرها الحاكم الروماني بونس فيلاطوس[13]. خلال الحكم الروماني سادت فترات من السلام، سيما وأنه كان يمنح اليهود حرية التعبد والاعتقاد في وحدانية إلههم، وممارسة الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بهم (وذلك على الرغم من أن شريعتهم تحرم أداء الضرائب للرومان). بل أكثر من هذا، فاليهود كانوا أحرارا في روما يمارسون شعائرهم بدون حرج وبدون مضايقات.

خلال كل هذه العهود ضل اليهود، خاصة سكان منطقة يهودا، يطمحون الى التحرر والاستقلال والوحدة الوطنية، يحمسهم في ذلك ماضيهم الحافل (زمن حكم الملوك الكبار أمثال داوود وسليمان) ويؤجج حلمهم في الأرض اليهودية الموحدة المبنية على القوانين والشرائع الالهية. ولتحقيق هذا الحلم كانت اليهود غالبا ما تستلهم من نصوص الكتب المقدسة وتأولها، خاصة النصوص المتعلقة بأرض الميعاد التي وهبها الله لبني اسرائيل، وتجعل بقية الشعوب في خدمة بني اسرائيل والشعب اليهودي: شعب الله المختار. في هذه الظروف تضخم الاعتقاد في شخص **المسيح المخلص** (من سلالة داوود) لينقدهم من بطش الأعداء، كما بشّر بقدومه الأنبياء السابقون في كتبهم المقدسة. المسيح حسب هذا الاعتقاد هو في نفس الوقت **ملك ونبي**

[13] Ponce Pilate

سيأتي ليحرر الشعب اليهودي ويطبق شرع الله ويعيد بناء الهيكل ويعيد اشعاعه في العالم كله[14] كما كان في الماضي.
لقد أذكت هذه التأويلات نار الاحتجاجات وتسببت في عدة ثورات، فظهر عدة أشخاص يدّعون أنهم هم المسيح المذكور في نبوءات الكتب المقدسة. والتاريخ اليهودي مليء بأحداث الانتفاضات ضد موجات الاحتلال المتعاقبة على اسرائيل كثورة المكابي[15]، في القرن الثاني قبل المسيح، أو ثورة يهودا الجليل في سنة 6 ميلادية والتي خلفت ما يزيد عن مقتل 2000 شخص من أتباع هذا الأخير، حيث تم صلب أعداد كبيرة منهم. ومنذ مجئ الامبراطور تيبير[16] ساد جو من الهدوء النسبي والحذر.

[14] على سبيل المثال انظر الفصل 60 من كتاب Isaie
[15] Révolte des Maccabées أو Judas le Galiléen
[16] Tibère

CC BY ND NC

المسيح، رسالته، تلامذته
وانحرافات بعض أتباعه

معرفة التاريخ الخفي للإسلام تتطلب مزيدا من المعطيات الإضافية، ولكي تتضح الصورة أكثر سنورد معطيات أخرى تتعلق بالديانة المسيحية، نظرا لتأثيرها القوي على مجريات التاريخ، وكذلك على التمثلات النفسية والثقافية للشعوب التي عاشت في ذلك المحيط.

لقد ظهر رجل كان له أثر قوي غيّر مجريات الأحداث التاريخية بالنسبة للشعب اليهودي وفي العالم بأسره. انه المسيح الذي ظهر في اسرائيل وانطلق لنشر دعوته لمدة ثلاث سنوات[17]. كان المسيح راهبا يهوديا يعرف جيدا التوراة والكتب اليهودية المقدسة، وكان يلقنها في الكنائس اليهودية ولكن بطريقته الخاصة: **كان يقدِّم لهم قراءة جديدة ومختلفة للتوراة**. كان المسيح يتحدث عن الاله بشكل مغاير عما ألفه عامة الناس، وكان يقدم نفسه على أنه ابن الله، ويمسح الذنوب باسم الله، كما كانت له عدة معجزات. ثم جمع حوله مجموعة من الرجال والنساء أصبحوا فيما بعد تلامذته ورسله، واستطاع بذلك أن يكون له تأثير عميق على العامة. من أهم المواضيع التي كانت تتناولها تعاليمه **مشكلة الشر** وكيفية القضاء عليه أو التخلص منه. بهذا التصور الجديد تمكن المسيح من تجاوز التعاليم والدروس الموجودة آنذاك في "سوق الأفكار"، فتغلغلت أفكاره في الجوارح النفسية لمستمعيه[18]. **إمكانية الخلاص النهائي من الشر** هي الفكرة الجديدة والمحورية للمسيح لأنها ستضع قطيعة جدرية مع التصور السائد آنذاك والذي يعتقد أن الشر شيء طبيعي ومكون أساسي للأشياء. لقد وضع حدا للتصورات الدائرية لتاريخ المجتمعات القديمة التي كانت ترى نفسها سجينة العود الأبدي للشر: فتح المسيح أبواب الانعتاق الفردي والجماعي في هذه الدنيا وامكانية التخلص النهائي من الشر، نحو رحاب السعادة الشخصية والجماعية. فالخلاص في رأيه نوعان: هناك خلاص على المستوى الشخصي وذلك من خلال علاقة الانسان مع الاله الرب أو عن طريق المسيح. ثم هناك خلاص جماعي يُبنى من خلال العلاقة مع الآخر. ومن أقوله المأثورة:

---

[17] المعلومات عن المسيح مأخوذة من العهد الجديد وكتب المؤرخ
Jean-Christian Petitfils, Jésus (2011, Fayard) et de La Vie Authentique de Jésus Christ de René Laurentin (1996, Fayard)

[18] كانت تعاليم الديانة العبرية محصورة في فكرة الطهارة والنجاسة وكذلك فكرة الخلاص....

"طوبى لصانعي السلام"
" طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات"
"طوبى للجياع والعطاش إلى البر، فإنهم يُشبعون"

ويبقى السؤال المعلق هو: هل كان هذا الشخص هو "المسيح" الذي كان ينتظره الشعب العبري أم لا؟ كان البعض منهم يريد أن يجد فيه الملك المنتظر الذي سيخلص اسرائيل من الاحتلال ويعيد أمجادها السياسية الماضية. والبعض الآخر كان يرى أن مهمته لا تقتضي منه اعادة الحكم الى سلالة داوود، بل يجب أن تقتصر على الجانب الديني، وذلك لمواجهة كبار الرهبان المكلفين بتسيير بالهيكل. سيما وأن تسيير الهيكل قد سيطرت عليه أسرة من الدجالين (حفدة الأسمونيين) الذين تواطؤوا مع المستعمر الروماني، في الوقت الذي بدأت فيه قبيلة ليفي-رهبان اسرائيل- المكلفة بالعبادات تنسحب شيئا فشيئا لفائدة طائفة "الفريزيين". كان المسيح يشجب أجواء الفساد التي طالت تسيير المؤسسة الدينية للهيكل، والمؤطرين الدينين للعبادات. كان يتحدث عن العقيدة والدين اليهودي بطريقة لم يعهدها اليهود من قبل، بحيث كان يبتعد عن التأويلات الرسمية للكهنة. لقد فتح الباب على مصراعيه أمام للجميع لاعتناق الدين، بما فيهم الأجناس الأخرى غير اليهودية ولغير المؤمنين بعدما كان حصريا على العرق العبري، متجاوزا بذلك المفاهيم العتيقة للدين المرتبطة بالطهارة كما كانت تتصورها العقيدة الرسمية للديانة اليهودية. لقد أحدث المسيح ضجة كبرى بهذه الأفكار الجديدة في الوسط اليهودي، خاصة لدى "حراس المعبد" طائفة الفريزيين، كما كثُر حديث العامة عن معجزاته. أمام هذا الوضع ازداد تخوف حراس المعبد وكذلك أصحاب الاتجاه الرسمي للدين اليهودي بحيث أصبحت الأفكار الجديدة التي أتى بها تهددهم جميعا، فاتفقوا على تنحيته جسديا حفاظا على مصالحهم. فالاعتقاد من طرف الجمهور بأنه فعلا هو المسيح المنتظر يعني أن الجميع يجب أن يخضع له ويمتثل لتعاليمه وأوامره. وهو ما يعني بكل بساطة أن السلطة السياسية والدينية يجب أن تأُول اليه. فأُحبِكت مؤامرة لقتله، وكان صك الاتهام هو علاقته بالإله، فتم القبض عليه وحُكِم عليه بالموت صلبا. تم التنسيق مع السلطات الرومانية الحاكمة، لتطبيق حكم الاعدام عليه. لقد قام الرومان بتعذيب المسيح أشد عذاب ثم

صلبوه (وهو حكم كان لا يطال إلاَّ العبيد) يوم الجمعة 7 أبريل سنة 30م[19]. لكن على الرغم من الموت وبشاعة الحكم والتعذيب فان تلامذة المسيح استمروا في الظهور الى العلن رغم هروبهم اثناء المحاكمة، وما دفعهم الى الظهور والاستمرار في نشر تعاليمه لليهود ولغير اليهود هو حدوث شيء غريب لا زال يحير الجميع. هذا الحدث الغريب يعتبر **مفتاح التاريخ** ومفتاح القرون التي أتت فيما بعد.

ففي يوم الأحد، اليوم الثالث من إعدامه، شاع خبر مفاده أن المسيح ظهر حيا لعدة أشخاص. ثم بعد ذلك، خلال أربعين يوما، أشخاصا آخرون وقع لهم نفس الشيء، كما أنهم لاحظوا أن قبر المسيح كان فارغا، فالتابوت مفتوح وليس بداخله أحد. ساد تخوف كبير لدى السلطات الدينية المكلفة بحراسة الهيكل فروجت إشاعة مفادها أن الجنود الرومان المكلفين بحراسة القبر قد قاموا بإخفاء جثة المسيح. واستمرت هذه الاشاعة لعدة عقود الى غاية الحرب اليهودية الأولى ما بين سنة 60 و70م. أصبحت السلطات الدينية قلقة جدا سيما وأن الأحداث المتتالية كانت تجد لها صدى في كتبهم المقدسة وخاصة فكرة "البعث من بين الموتى"[20] للمسيح، ثم النبوءة التي مفادها "أن المسيح سيكون منبوذا من طرف عِلّية القوم اليهودي"[21].

كانت المؤسسة الدينية التي تسيرها آنذاك الطائفة الفريزية قلقة جدا نظرا للدور الكبير الذي لعبته في هذه الأحداث التي أدت الى موت المسيح، سيما وأن الجميع كان على علم بالفساد المستشري في محيط الهيكل وخاصة لدى المكلفين بتسييره مما قد يترتب عنه امكانية سحب الثقة **وانعدام الشرعية الدينية** لهذه الطائفة.

وعلى الرغم من المحاكمة الظالمة والتعذيب الذي لحق بالسيد المسيح فان تلامذته لم يدعوا الى العنف والانتقام ضد السلطات الدينية. فلا بطرس ولا يوحنا ولا بقية الرسل فكر في الانتقام من الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في قتل المسيح. بل بالعكس كانت كلماتهم كلها تدعو الى المحبة والاخاء: "لقد رفضتم القديس والعادل (...) أمير الحياة، لقد رفعه الرب من بين الموتى، ونحن نشهد على ذلك (...) كان سلوككم سلوكا جاهلا كسلوك شيوخكم(...) فآمنوا خيرا لكم"[22]. كانوا يقولون للذين تسببوا في قتله "ان إله آبائنا قد رفع المسيح اليه، رغم أنكم قمتم بقتله وصلبه. ان الله رفعه

---

[19] قام المؤرخون انطلاقا من المعلومات المتوفرة في الأناجيل بتحديد اليوم الذي صلب فيه المسيح، وهو يوم الجمعة حيث كان اليهود يستعدون للاحتفال بعيد الفصح الذي يوافق 14 من شهر نيسان حسب التاريخ اليهودي أي 7 ابريل سنة 30 ميلادية

[20] انجيل متى 28، 12-14

[21] الزبور 22 ، 2 و 8 و 9...

[22] من خطاب بطرس للشعب 3، 14-19

بيمينه كأمير وكمنقذ، لتؤمن اسرائيل ويغفر الذنوب". لم تعترف السلطات الدينية أو السياسية بهذه الأخطاء خوفا من انهيار سلطتهم، بل بالعكس من ذلك، كان ردهم هو الاحتقار والحقد على تلامذة المسيح. لكن هذا لم يمنع اليهود من اعتناق أفكار وتعاليم المسيح بأعداد كبيرة بحيث أصبحوا يشكلون مجموعة دينية جديدة، وأطلقوا على أنفسهم لقب المسيحيين أي تلامذة المسيح.

بدأت المجموعة المسيحية الأولى تعقد اجتماعاتها في أورشليم تحت سلطة يعقوب أحد أقرب تلامذة المسيح، لأن بقية تلامذته أجبروا على مغادرة المدينة ابتداء من سنة 37م، نظرا للاضطهاد الذي تعرضوا له من طرف سلطات الهيكل (سيما وأن يعقوب أحد اخوة يوحنا تمت تصفيته حوالي سنة 41م)[23]. كما أن السلطات الدينية اليهودية طلبت من السلطات الرومانية اتخاد تدابير من الحيطة والحذر تجاه المجموعة المسيحية ومنع أنشطتها[24]. ونظرا لتشتت تلامذة المسيح، أصبح من الضروري تجميع تعاليم المسيح وتدوينها، وتوحيد شعائرها حسب الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية، فتكلَّف القديس "مَتَّى" بهذه المهمة وتكللت أعماله بكتاب "إنجيل متى". في نفس الوقت كان لهذا التشتت جانب ايجابي لأنه مكّن المجموعة المسيحية الأولى من زيارة اليهود الموجودين في المهجر، والتنسيق الجيّد مع المسيحيين عبر الأماكن المتواجدين فيها ونشر تعاليم المسيح بها. ولقد أظهرت بعض الدراسات الأركيولوجية أن بعضهم وصل الى الصين في تلك الحقبة. وهكذا بدأت الجالية اليهودية تستقبل **"البشرى الجديدة"** (وهو أصل كلمة انجيل) وتعتنقها شيئا فشيئا الى أن أصبحت مفتوحة لغير اليهود الذين أقبلوا عليها بكثرة. في حين بقيت الكنيسة الشرقية (التي لازالت تستعمل اللغة الآرامية، لغة المسيح) متشبثة بجدورها اليهودية. وإذا كانت هذه البشرى قد اعتمدت كثيرا على الجالية اليهودية في العواصم الكبرى في انتشار التعاليم المسيحية، فان قوة هذه التعاليم تكمن بالأساس في قوة وعمق الجواب الجدري الي تقدمه المسيحية لمعضلة الشر والظلم، وهوما تؤكده كتابات المسيحيين الأوائل. فحسب الدين اليهودي فان الانسان لم يخلق لكي يموت، ولكن بخطيئة آدم (الانسان الأول) فان الله قد عاقب الجنس البشري كله بالموت والاندثار. هذا ما يعلمه العهد القديم: "عمت الموت على البشر أجمعين لخطيئة

[23] يعقوب الأصغر أو يعقوب العادل في الثقافة المسيحية هو أحد أفراد عائلة المسيح أو تلامذته

[24] بحيث أصدرت الحكومة الرومانية قرارا يقضي باعتبار المسيحية "هرطقة ممنوعة" وبقي هذا القانون ساري المفعول الى حدود سنة 313 أي فترة حكم الامبراطور قسطنطين

ارتكبها انسان واحد". في حين فتحت تعاليم المسيح الأمل في حياة أخرى بعد الموت، وحررت الانسان من عقدة الخوف من الموت. بهذه الأفكار تقدم المسيحية جوابا يمكّن من التغلّب على أعظم شر يلاحق الانسان وهو الموت والزوال. لقد فتح هذا الجواب آفاقا جديدة سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي، كما حرك الوجدان الداخلي العميق للإنسان. إلاَّ أن هذه الرؤية الجديدة سرعان ما تم استغلالها في نفس الوقت لتحقيق مآرب شخصية، وتم تحوير أهم الأفكار التي جاءت بها بحيث أصبح لها وجها آخرا مفاده أن مخلص العالم ليس هو المسيح وإنما هم البشر أنفسهم. ونتج عن هذه الفكرة تيارات جديدة (كالغنوصية، والمسيانية[25]) كان لها تأثير عميق على مجريات أحداث التاريخ الانساني وخاصة في ظهور الإسلام، كما سنرى فيما بعد.

لكن قبل التطرق لهذه النقطة سنعرض لمجموعة من الأحداث المأساوية الأخرى التي كان لها وقع عميق على النفوس في تلك الفترة. ففي سنة 40م تقلَّد هيرود أكريبا الحكم وبدأ يتبجح بلقب "الملك-المسيح" تسبب له في موت مهين جدا بعدما قام بإعدام يعقوب أخ يوحنا. وقد يكون هو من كتب بثلاث لغات في مدخل الهيكل عبارة: "المسيح، الذي لم يحكم وصُلب من طرف اليهود لأنه تنبأ بهدم المدينة وخراب الهيكل". كان الصراع حول السلطة أنداك لا يزال محتدما بين التيار الذي يتمسك بالفكرة القائلة أن المُلْك يعود لسلالة داوود والتيارات اليهودية الأخرى التي تدافع على الشرعية الشعبية. في هذه الظروف تطورت ونمت المسيحية بشكل ملحوظ بفضل تعاليم المسيح التي حوّلت أعدادا كبيرة من اليهود الى المسيحية، بالإضافة الى أعداد كبيرة من الاغريق والرومان والوثنيين، وهو ما يعني أن جميع المعتنقين للمسيحية أصبحوا يهودا عبر اعتناقهم لدين المسيح. مبدأ الديانة اليهودية القاضي بفصل اليهود عرقيا عن غير اليهود تم نسفه في العمق. في ضل هذه الأوضاع المتأزمة بدأت الاضطرابات تشتد في اورشليم. وبعد موت الحاكم الروماني للمدينة سنة 62م استغل الكاهن اليهودي الأعظم الفراغ السياسي آنذاك وقام بمحاكمة أحد الوجوه البارزة للمسيحية، وهو يعقوب الذي كان أسقفا لأورشليم، في محاكمة صورية أمام المحكمة التي تعتمد القوانين اليهودية، فتم تعذيبه حتى الموت ورميه

---

[25] المسيانية (كمقابل لكلمة messainisme) هو الاعتقاد في وجود مخلص خارق، أو ذو طبيعة الهية سيأتي في يوم من الأيام لإنقاذ البشر (المؤمنين به) من بطش الحكام المتسلطين، أو من الشر والظلم بجميع أنواعه وتحقيق العدالة والسعادة الأبدية. وهناك نماذج متعددة للمسيانية: كالمسيانية العلمانية أو المادية ... وهي مجموع النظريات التي تعتقد أنها تمتلك **مفتاح التاريخ**، ولها الوصفة "السحرية" لتحقيق السعادة الشاملة عن طريق **التغيير الجدري**....

من برج عالي. وعلى إثر هذه الأحداث تم عزل الكاهن الأعظم من طرف الحاكم الروماني الجديد لأورشليم، في حين أصبح يعقوب نموذج الانسان المسيحي ولقب بيعقوب العادل.
ساهمت هذه الأوضاع المأساوية بشكل قوي في ظهور عدة حركات ذات توجهات سياسية- دينية، وأخرى ذات طابع مسياني متطرف، وعرفت البلاد تدهورا ملحوظا لم يتمكن أسقف أورشليم من معالجتها، وبقي مكتوف الأيدي أمام هذه الأوضاع التي تأزمت بشكل كبير.

تحطيم هيكل أورشليم

الحلم بالاستقلال واقامة مملكة خاصة باليهود يمنحها الله القوة للسيطرة على العالم بأسره، بدأ يتقوى ويحمِّس وجدان العديد من المجموعات اليهودية ويدفعهم للثورة ضد الرومان. سلطات المعبد هي الاخرى كانت تساهم في ذلك باستعمال الأموال والذهب، الشيء الذي أدى الى انفجار الأوضاع، واشتعلت نيران الثورة التي تسمى "بالحرب اليهودية الكبرى" في سنة 66م، تلتها حملات قمع عنيفة من طرف الرومان. ولم تتمكن وحدات الجيش الروماني من القضاء على جميع جيوب المعارضة إلا فيما بعد، وبشكل تدريجي، وحاصرت مدينة أورشليم من جميع الجهات في سنة 68م. خلال فترة الحصار طلب الرومان من اليهود الذين لا يساندون الثوار بالانسحاب من ساحة المعارك، فلبَّى جل المسيحيين هذا الطلب وغادروا المدينة وهم يتذكرون قول المسيح:**"ومتى رأيتم اورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه قد اقترب خرابها"**[26]. ابتداء من أبريل سنة 70م بدأ الجيش الروماني يسيطر على المدينة، سيما وأن الثوار كانوا يشكلون مجموعات غير منظمة. وكما هو الحال بالنسبة للجماعات المتطرفة، فقد دخلت الجماعات اليهودية في صراعات وتطاحنات داخلية مميتة زادت من حدة تشرذمهم. خلال 5 أشهر من المعارك تمكّن الرومان من السيطرة الكاملة على المدينة، في حين تحصَّن ما تبقى من الثوار بداخل الهيكل الذي اشتعلت به النيران من كل جانب. وحسب الرومان فان النيران قد شبت

[26] انجيل لوقا 20 ،21

بشكل عرضي. انهزم الثوار اليهود وخفَّت شرارة الحرب باستثناء بعض جيوب المقاومة خاصة في حصن "مسادة"، التي تمت السيطرة عليه ثلاث سنوات فيما بعد. بعد أن عاد الهدوء، تمكّن اليهود المسيحيون وبقية السكان الذين لم يشاركوا في الثورة من العودة الى المدينة التي لم يطلها الدمار أو التخريب، عكس ما وقع **للهيكل الذي تم تحطيمه وتخريبه بالكامل**. كان الهيكل يمثل رمزا قويا للحركة الوطنية لليهود، ولذلك فان الرومان رفضوا إعادة بنائه. كان لهذه الثورة نتائج سلبية على اليهود، بحيث فقدت المماليك والحكومات اليهودية امكانية الاستقلال السياسي والحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به في السابق، وأصبحوا خاضعين للحكم الروماني بشكل كامل. ويعتبر هدم الهيكل وتخريبه فاجعة كبرى لدى اليهود الذين لا زالوا يتذكرونها ويبكونها الى يومنا هذا، الى درجة انه أصبح طقسا من الطقوس التي يقومون بها أمام **حائط المبكى**. تحطيم الهيكل كان كارثة عظمى تستأثر بحيز كبير داخل الوجدان اليهودي، ولا تزال تحرك الجماعات والتيارات العبرية المتطرفة، وفي نفس الوقت تمدها بالوقود الاساسي الذي يذكي الصراعات الداخلية فيما بينها.

لكن ما هو مصير المسيحيين على ضوء هذه الأحداث؟ بالنسبة للمسيحيين، كانت الهزيمة وخراب الهيكل مناسبة لطي صفحة الفكرة القديمة التي مفادها أن للإله مكان مقدس في الأرض، وأن له بيتا مقدسا. كانت هذه الأحداث مناسبة لتأسيس **عهد جديد** كما بشر به المسيح ونقله تلامذته: العهد الجديد يجب أن ينفتح على الإنسانية جمعاء، وألَّا ينحصر في اثنية معينة ولا في مكان محدد. كان للمسيحيين من أصل يهودي دور كبير في نشر هذا التصور الجديد – العهد الجديد، الذي لا يميز بين البشر على أساس العرق والطهارة والنجاسة بل ينفتح على الجميع.

السؤال الثاني: ما هو مصير اليهود غير المسيحيين الذين غادروا أورشليم بعد تحطيم الهيكل؟ لقد تبخر لديهم الحلم بتأسيس مملكة يهودية، وأصبحوا يعيشون تحت رحمة القوة الرومانية، وحرموا من المعبد ومن ممارسة طقوسهم وعباداتهم، كما حرموا من الكاهن الأعظم، وما تبقى من رجال الدين، إما قتلوا أو فروا خارج فلسطين. في ظروف اليأس والتشتت كانت تعاليم وأفكار العهد الجديد تراود معظمهم. لم يبقى أمامهم سوى الكتب المقدسة وامكانية ممارسة شعائرهم فيما بينهم، ضمن مجموعات صغيرة ومتفرقة، أو الانضمام لطوائف وحركات دينية-سياسية متطرفة. وهذا ما أدى الى **الحرب اليهودية الثانية** التي كانت عبارة عن انتفاضات أخرى متقطعة، وقلاقل متتالية. وعلى الرغم من الدعم والمساندة الذي كانت تتلقاه من لدن الجاليات

اليهودية المتعددة فإن كل الانتفاضات كانت تنتهي دائما بهزيمتهم أمام القوات الرومانية. كانت الهزائم دائما في الموعد كما هو الأمر في ثورة 115 – 117م، وثورة الجليل سنة 132م. في هذه الثورات والحروب المتتالية كان العنصر المسياني حاضرا بقوة وكان يؤجج الوضع حيث ظهر شخص اسمه "بار كوشبة" ادعى أنه "الميسيا" وكان له أتباع يعتبرونه المسيح الحقيقي الذي سيقود اليهود نحو الخلاص من السيطرة والجبروت الروماني، وتشييد المملكة اليهودية. وساد الحقد والكراهية والعدوان على اليهود الذين اعتنقوا المسيحية الى درجة أن "بار كوشبة" قام بصلب البعض منهم. اتسمت هذه الحروب اليهودية الثانية التي كانت تمولها الجاليات من الخارج، بعنف كبير، وكان لها عواقب وخيمة بحيث واجهها الرومان بعنف أقوى ودمار أكبر لأراضيهم ومساكنهم، وقاموا بطرد اليهود بشكل نهائي من مدينة أورشليم ودمروها بالكامل عام 135م (ثم أعادوا بناءها على طريقة المعمار الروماني، وشيدوا معبدا جديدا لعبادة كوكب "المشتري"على أنقاض الهيكل اليهودي). أصبحت أورشليم مدينة رومانية في كل معالمها، وممنوعة عن اليهود تحت طائلة الحكم بالإعدام. هذا الوضع الجديد قسم اليهود الى مجموعتين كبيرتين:

* المجموعة الأولى يمثلها التيار الفريزي وهو التكتل الأكثر أهمية، وكانت تتمركز حول منطقة "يابنه" ابتداء من نهاية القرن الأول، ثم في بابل بعد الحرب اليهودية الثانية. بدأت هذه المجموعة تتأقلم مع الوضع القائم وتبتعد تدريجيا عن الارتباط الديني بفكرة الهيكل والكاهن الأعظم ورجال الكهنوت. وظهرت على إثر ذلك الكنائس اليهودية، والرهبان الذين عوضوا وظيفة الكاهن الأعظم، في حين توجه الاهتمام نحو القوانين اليهودية وتفسيرها. ومن هنا ظهرت الحركة الاصلاحية الحاخامية التي رفضت شخص المسيح وتعاليمه، واتهمت المسيحيين بتزوير النصوص الدينية. ووصلت قمة الحقد لدى هذه الجماعات الى إقامة صلوات خاصة بلعن اليهود الذين اعتنقوا المسيحية. ويبقى الدور الأكثر أهمية الذي قامت به هذه المجموعات الفريزية هو كتابة وتدوين هذه الشرائع والقوانين اليهودية (التوراة الشفوية) بعدما كانت تعتمد على الحفظ بالتواتر، وتوجت هذه العملية بكتابة "المشناه" التي أعطت بدورها كتب التلمود[27] (تلمود أورشليم والتلمود البابلي).

هذه الكتابات تم تصنيفها وتدوينها في القرن الرابع والخامس الميلادي وأضيفت الى التوراة، فشكلت بذلك مجموع الكتب الدينية اليهودية المقدسة. ولكن التلمود أصبح

[27] التلمود هو شرح وتفسير "المشناه".

أكثر أهمية من التوراة التي تم حجبها من التداول (سنرى فيما بعد الدور الخطير الذي لعبه هذا المنع).

* المجموعة اليهودية الثانية هي مجموعة غير معروفة بشكل واضح، وتمحورت حول بعض الأسر "الدينية" التي لم تدعم الحرب اليهودية الأولى ولجأت عند الجالية اليهودية المتواجدة بمنطقة القرم[28]. وإذا كانت علاقة هذه المجموعة مع مملكة الخزر (جنوب روسيا الحالية) فيها نقاش بين المؤرخين[29] فان الأكيد هو أنها كانت دائما ترفض اعتبار التلمود كتابا مقدسا. هؤلاء الخزر كوّنوا مملكة عمّرت الى حدود القرن 13م، وشملت عدة شعوب من بينها الخزر من أصول منغولية، ولكن إمبراطورتيهم كانت تسيرها أسر يهودية وهو ما يفسر أن معظم الخزر قد اعتنقوا الديانة اليهودية الرسمية. اليهود الأشكناز ينحدرون من هذه المجموعات (كثير منهم نزحوا الى اسرائيل في الوقت الحالي).

ما يمكن أن نخلص اليه هو أن اليهودية لم تكن تشكل حقيقة واحدة ولا متجانسة عبر التاريخ العبري، كما أنه لا يمكن فهمها بمعزل عن شخص المسيح ولا عن الأحداث التي جاءت في زمنه وما بعد ذلك.

لم تكن اليهودية والمسيحية هما التياران الوحيدان اللذان تَشَكَّلا كنتاج لهذه الأحداث التاريخية المتلاحقة السالفة الذكر، فانطلاقا من تعاليم المسيح وتباشير تلامذته، وظروف الخراب والموت المرتبطة بالحروب اليهودية المتتالية، كل هذه المعطيات نتج عنها أفكارا وخطابات وتيارات متعددة متطرفة ستعمل على تحوير تعاليم المسيح واستغلالها من أجل تحقيق أغراض أخرى بعيدة كل البعد عنها.

ما بعد ظهور المسيحية

كما رأينا فيما قبل، فان "البشرى" التي أتى بها المسيح ونشرها تلامذته، كان لها وقع عميق في نفوس البشر. وهذا ما دفع بجماعات متعددة لاستغلال خطابها ومحاولة الانفراد بها خاصة في فترة تاريخية مليئة بالحروب والاقتتال والخراب، (انتهت بتحطيم الهيكل) وأصبح فيها الانسان يبحث عن معرفة الغاية والمعنى من كل هذه

[28] La Crimée

[29] ظهر مؤخرا كتاب لـ "شلومو ساند" تحث عنوان "كيف تم اختراع الشعب اليهودي" ، وهو كتاب زاد من شرارة واحتدام النقاش حول هذه الفكرة.

الأحداث الأليمة. وبدأت فكرة المنقذ والمخلص تظهر من جديد وسيتم افراغها من المعنى الذي تعطيه المسيحية "للمسيح- يسوع"[30] وتحريفها بحيث سيصبح **المخلص ليس هو يسوع بنفسه وانما هو أي شخص يمكن أن يحل محله ويأخذ منصبه أو اسمه**. هذه من أهم الظواهر التي نتجت عن الأحداث بعد صلب المسيح وموته حيث ظهرت جماعات كثيرة تريد كل واحدة منها الاستحواذ على رسالته، معتبرة أن قراءتها لرسالته هي الصحيحة، وتتهم تلامذة المسيح بتزوير معناها الأصلي. مسلسل هذه التأويلات أدى الى ظهور مجموعتان ستستحوذان على المشهد التاريخي في تلك الفترة. المجموعة الثانية هي التي سنتطرق لها بالتفصيل لأنها تعنينا بشكل خاص نظرا لارتباطها الجوهري بنشأة الاسلام.

لكن لا بد من أن نقول بعض الشيء عن المجموعة الأولى.

المجموعة الأولى كانت مكونة من تيارات غنوصية (الغنوص كلمة من أصل يوناني وتعني "المعرفة"، لكن تم استعمالها من طرف المسيحيين الاغريق للدلالة على المجموعات التي حورت الرسالة الأصلية للمسيحية). وحسب أسقف مدينة ليون الفرنسية (متوفى عام 177م) يمكن ارجاع هؤلاء جميعا الى أصل واحد انطلاقا من فهمهم لرسالة المسيح، فهم على العموم يسعون الى "التحقيق الذاتي" أو "الخلاص الذاتي": أنا مخلص نفسي. واعتبارا من هذا فان المسيح حسب هذه المجموعة هو أول من فتح الباب للخلاص الذاتي. الفكرة الأساسية لهذا التصور هو أن الانسان، عن طريق الغنوص، يمكن الاتصال بالله بشكل مباشر، خارج الزمن وبدون الارتباط بتاريخ شعب معين. فالمسيح في رأيهم قد وعد المؤمنين بأن يملأهم بروح إلهية، بروح الحرية "روح القدس". نتج عن هذه التأويلات تيارات غنوصية متعددة ومتشعبة ومتضاربة (الى حد التناحر والتصارع) ولا يجمعها إلا بعض الأفكار التي كانت تؤمن بها، تشبه المعارف، وتارة بعض الممارسات والأعمال السحرية، ولكنها كانت تلتقي في معظمها حول مفهوم الحرية كغاية قصوى للإنسان في هذه الدنيا (على سبيل المثال كانت بعض الفرق الغنوصية تعتبر أن التحرر الجنسي عاملا للتحقيق الذاتي للإنسان). من الناحية التنظيمية كانت هناك مجموعات فكرية

[30] ورد اسم المسيح في القرآن 11 مرة.

ايديولوجية محكمة التنظيم[31] في حين هناك مجموعات أخرى متعددة تخضع فقط لسلطة "معلم روحي".

المجموعة الثانية التي نتجت كانحراف وتحريف للمسيحية هي الحركة **المسيانية الشمولية**[32]، التي كانت ترغب في تحقيق الخلاص الفوري والشامل "الآن وعلى أرض الواقع". لقد أخذت هذه الحركة المسيانية عدة أشكال عبر التاريخ[33] كتلك التي كانت تحلم بتحقيق و**إقامة دولة الله في الأرض**. وهي فكرة نتجت عن تحريف رسالة المسيح وبشرى تلامذته. ومهما تعددت وتنوعت تمظهرات هذه المجموعات فإنها كانت في معظمها تلتقي حول الفكرة الأساسية التي مفادها **أنها تلقت وحيا أو لديها برنامجا يؤدي الى الخلاص والسعادة ونهاية الشر والظلم**، وبالتالي فهي تمتلك **"مفتاح التاريخ"**. إن تأويل هذه المجموعات شكَّل أخطر تحريف لهذه التعاليم وبشرى تلامذته، ووضعت قطيعة مع ما كان المسيحيون يبشرون به. **لأن المسيح وتلامذته لم يضعوا برنامجا أو وصفة سياسية لتحقيق مجتمع مثالي في هذه الحياة.** ثم ان المسيح حين كان يبشر بالخلاص الجماعي كان يعني به عودته يوم البعث، وعلى المؤمنين أن يتهيؤوا لهذا الموعد. ومن هذا المنطلق فجل الأفعال التي يقوم بها المسيحيون المؤمنون من أجل التقدم والسلام ما هو الا تطلّع ومحاولات على أمل الوصول في المستقبل الى مجتمع متحرر من "سلطة الشر". فمن وجهة نظر رسل المسيح والمبشرين بدعوته فان الله وحده هو القادر على تخليص الانسان من الشر. الثقة في هذه الارادة الالهية هو السبيل الوحيد الى الخلاص، وليس الانسان مهما عظمت نواياه الجميلة والنبيلة بخصوص هذا العالم. وهذا بالضبط ما كانت ترفضه الحركات المسيانية ولا تؤمن به، فكانت لا تنتظر تدخل الارادة الالهية للقضاء على جميع أنواع الشر، لأن الارادة الالهية قد لا تأتي وقد لا تتحقق، وبالتالي فان الخلاص الذي تؤمن به يجب العمل من أجل تحقيقه وليس الانتظار الى ما لانهاية.

المجموعات المسيانية الأولى ظهرت مباشرة بعد تحطيم هيكل أورشليم، وهو الحدث الذي كان له بالغ الأثر على ايمان اليهود الذين عايشوا هذه الفاجعة. كان احباطهم

---

[31] يمكن اعتبار المجتمع الاستهلاكي الحالي نموذجا لهذه التنظيمات نظرا لتضخم النزعة الأنانية وعدم التفكير في الأجيال اللاحقة...

[32] Le messianisme global

[33] قد تكون القومية اليهودية التي كانت وراء الحروب مع الرومان احدى التجليات الأولى للمسيانية (لكنها لم تكن تتوفر على جميع مقوماتها، بحيث كانت تنقصها فكرة "مفتاح التاريخ"). عدة تيارات مسيانية تطورت عبر التاريخ كالحركات اللامعمدانية في القرن 16م، وحركة الأنوار، والأفكار التي كانت وراء الثورة الفرنسية، ومشروع "أمريكا العالم"، ثم الشيوعية والمذاهب التي نتجت عنها، كذلك النازية، وأيديولوجية التقدم ... ونفس الشيء بالنسبة للإسلام كما سنرى فيما بعد.

كبيرا أمام عدم تدخل المسيح المنقذ لوقف مظاهر الخراب التي عمت، على الرغم من أن كل الظروف كانت مواتية لظهوره، وكان قد أعلن أنه سيأتي لإعادة بناء الهيكل[34]. وبدأت تتساءل: لماذا سيأتي المسيح يوم البعث ولا يأتي الآن وقد توفرت جميع الشروط لذلك؟ فالهيكل قد تم تحطيمه، كما تم ابعاد جميع الكهنة عنه، فماذا ينتظر؟ والرومان قد عاقبوا الثائرين، والسلطات الدينية استغلت الهيكل لإشباع رغباتها وتحقيق أغراضها الذاتية وصلبت يعقوب العادل وآخرين، فلماذا لا يأتي لإنقاذنا الآن؟

كل هذه الاسئلة كانت تغلي داخل وجدان اليهود وكانت تشكّل الوقود الأساسي للطموحات والأفكار المسيانية الجديدة.

لقد قتل الكثير من العبريين خلال الحروب اليهودية الاولى، لكن معظمهم تمكن من الفرار والنجاة من الموت. كما أن الرومان في سنة 68-69م قد سمحوا لليهود الذين لا يساندون الثوار، مغادرة أورشليم قبل الهجوم عليها. كان من بين هؤلاء، يهود من مختلف المناطق اعتنقوا المسحية بقيادة "سيمون"، ويهود آخرون من مدينة أورشليم يؤمنون كلهم "بالمسيا"[35]. لقد **هاجروا جميعا نحو الشمال في اتجاه هضبة الجولان في سوريا**.

تحطيم الهيكل من طرف الرومان في سنة 70م لعب دورا كبيرا في عملية الفرز داخل هذه المجموعة اليهودية- المسيحية الأولى المكوّنة من خليط متنوع: حيث تمكن المسيحيون الحقيقيون من العودة الى أورشليم ونواحيها، في حين رفض آخرون العودة بصفة نهائية، فكانت لحظة الفراق والقطيعة النهائية للمسيحيين عن اليهود الذين فضلوا الحياة في المنفى، وأرجأوا حلم العودة الى "يوم الحساب". لقد تطورت هذه الآمال لكي تعطي فيما بعد تصورا أكثر عنفا ووحشية. فضدا على تعاليم المسيح وتلامذته ورسله (كان لايزال بعضهم على قيد الحياة آنذاك) بدأوا في التخطيط لبرنامج الخلاص من نوع خاص، يسعى الى خلاص العالم بأسره انطلاقا من أرضية دينية وسياسية في نفس الوقت. وتمركز التفكير في خطة حربية تتمحور في مجملها حول اعادة بناء الهيكل، متقمصين في ذلك الدور الجديد الذي أعطوه للمسيح. كانت الطائفة الأولى التي آمنت بهذا الدور المسياني الشمولي هم اليهود المسيحيين الذين

---

[34] انجيل مرقص: 14 ، 58 ، انجيل متى 26 ، 61، انجيل يوحنى 2 ، 19 ، ويضيف يوحنى بأن فكرة اعادة بناء الهيكل كان المسيح يعني بها "هيكل جسده" في القيامة، وهذا ما يعتقده المسيحيون (هذه الفكرة لا توجد في انجيلي متى ومرقص). ووجود أفكار من هذا القبيل يعني أن هناك انتظارات بخصوص اعادة بناء الهيكل بناء فعليا من طرف المسيح نفسه.

[35] حسب الكتابات التاريخية للمؤرخ Eusèbe de Césarée

لم يعودوا الى أورشليم بعد سنة 70م، حيث طوروا تصوهم لفكرة الخلاص ووضعوا أنفسهم في موقع "المنقذ-المخلص". لقد أصبح الخلاص ذو بعد شمولي يسعى الى الهيمنة على العالم بأسره ويُفرَض على الجميع بالقوة. **أصحاب هذا التصور الحربي المقاتل للخلاص** هم **اليهود النصارى**[36] **أو اليهود الناصريون (أو النصيريون).**

من هـم اليـهـود النصـــارى؟

الناصريون أو النُّصَيْريون

تمكَّنت الدراسات التاريخية الحديثة من اعطاء تعريف دقيق لهذه المجموعة وأظهرت التأثير القوي الذي لعبته في القرن الأول الميلادي في المحيط الذي تواجدت فيه. كان تأثيرها قوي جدا وله تجليات متعددة. فهذه المجموعة ذات هوية عرقية يهودية (تتكلم الآرامية كبقية العبرانيين) وكان أفرادها يطلقون على أنفسهم الناصريون (فهم يهود ناصريون). لقد كتب الرومان على خشبة الصليب "المسيح الناصري" وكان بذلك أول من حمل هذه التسمية، وحمل تلامذته هذا اللقب لفترة قليلة. أصبح هذا الاسم فيما بعد يطلق على مجموعات يهودية – مسيحية. ومع مرور الزمن تحول الى لقب ضبابي وغامض، كان يستعمله الكتاب الغربيون القدامى بدون تحديد، ولذلك فان تحديد معنى هذه التسمية أصبح ضرورة ملحة للتمييز بين هذه المجموعات المتعددة والمختلفة عن بعضها البعض. وفي رأي ماري كالي فان التسمية الملائمة والأكثر دقة هي **اليهود-النصارى** او **الناصريون** للدلالة على الهوية الأصلية لهذه المجموعة. فهُم يهود، لهم تصور مسياني حربي شمولي لا علاقة له بتعاليم المسيح، ولم يرووا في هذه التعاليم سوى وسيلة لتحقيق حلم سياسي-ديني. لقد تمكنت هذه الطائفة خلال اقامتها بسوريا من تطوير هذه العقيدة المسيانية وانفردت بها، وأصبحت في اللاحق من الزمن السبب الرئيسي في الأحداث الدموية المتتالية التي غيرت وجه التاريخ برمته.

---

[36] Les judéonazaréens نسبة الى مدينة "الناصرة" بفلسطين. فهم : يهود نصارى أو ناصريون أو نُصيريون. (وهذه التسمية لا زال حولها نقاش)

تعتمد هذه العقيدة المسيانية على أسلوب محكم بشكل دقيق، يرتكز على منهج متكامل من التبريرات: فأفراد هذه الطائفة، اليهود-الناصريون، يعتبرون أنفسهم هم **اليهود الحقيقيون**، وهم الأتباع الحقيقيون للمسيح، وبالتالي فهم الورثة الشرعيون الحامون لأعراف الدين اليهودي الحقيقي ولقوانين الآباء والأجداد، المحفوظة في الكتب المقدسة وفي التوراة على وجه الخصوص. كانوا يقدسون الهيكل بشكل فريد، على الرغم من أنه قد تحطم، كما يقدسون فكرة "الأرض الموعودة"، وفكرة العرق اليهودي الخالص، وفكرة "الشعب المختار"، ويعتبرون أنفسهم أنهم هم المعنيون بهذا الاختيار الالهي لوحدهم على بقية المجموعات الأخرى. فهم يعتقدون أنهم اليهود الحقيقيون ويمثلون الامتداد الحقيقي للعرق اليهودي الصرف على عكس اليهود الفريزيين الذين قاموا بالإصلاحات الفكرية الحاخامية السالفة الذكر. كانت لهم رؤية خاصة للمسيح: انه ذلك الشخص المذكور في الكتب المقدسة الذي ينتظره اليهود لتطهير الأرض المقدسة واعادة أمجاد المملكة اليهودية السابقة، ونشر الدين الصحيح (وذلك بطرد السلطات الفاسدة التي تكلفت بتسيير شؤون الهيكل والمتواطئة مع الاحتلال الروماني) وإعادة بناء الهيكل من جديد (وهو الأمر الذي لم يتمكن من تحقيقه). ويمكن تلخيص هذا البرنامج الذي يعطونه للمسيح في جملة واحدة: تحقيق الخلاص الشمولي للعالم برمته بقوة السلاح. كانت الطائفة اليهودية الناصرية تعتقد أن المسيح تم سجنه ومحاكمته ظلما وعدوانا، **ولكن الرومان لم يتمكنوا من قتله لأن الله تدخل ورفعه عنده الى السماء لكي يعود مرة ثانية** في الوقت المناسب على رأس جيش لإتمام المهمة التي من أجلها وجد، وهي الخلاص النهائي وتحقيق مملكة الله على الأرض. ودليلهم في ذلك هو أن الظروف لم تكن مواتية ليقوم المسيح بهذه المهمة، وأن الرومان قاموا بالخطوة الأولى وهي تطهير أورشليم من "اليهود الخونة" الذين لم يتمكنوا رغم كل محاولاتهم من طرد الرومان، لذلك فان الله قد عاقبهم لأنهم ليسوا يهودا حقيقيين.

ومن جهة ثانية كانوا يعتبرون أنفسهم هم المسيحيون الحقيقيون في مقابل أولئك الذين اتبعوا رسل المسيح، ولكنهم يرفضون صلب وقتل المسيح وقيامه، كما أنهم ينكرون طبيعته الالهية. فهم يعتقدون أن المسيح رفع الى السماء ولذلك فهم ينتظرون عودته من جديد انطلاقا من تأويلات لما كتبه رفاق المسيح وتلامذته، خاصة تلك التي تقول إن "المسيح قام من بين الأموات" وتعطيها معنى مادي وحربي، وتتصور عودته بشكل فعلي كقائد عسكري ليعيد بناء الهيكل على أرض الواقع.

كانوا يتهمون اليهود الذين اعتنقوا المسيحية بالانحراف عن تعاليم المسيح الحقيقية لأنهم أخطأوا القراءة والتأويل. الشهادات المكتوبة التي تؤرخ لتلك الحقبة تشير الى أنهم كانوا يعتمدون في قداسهم على انجيل مَتَّى[37] المكتوب باللغة الآرامية (كباقي الكنائس الآشورية-الكلدانية في الشرق الأوسط الى يومنا هذا) بعد أن قاموا ببعض التعديلات على نصوصه لكي تتلاءم مع أطروحاتهم وتوجهاتهم العقدية. فلا يوجد في "إنجيل متى" ولا في الأناجيل الثلاثة الأخرى شيء يشير الى عودة المسيح بهذا الشكل لإتمام العمل الذي بدأه قبل أن يرفع الى السماء، خاصة فيما يتعلق بإعادة بناء الهيكل وقيادة جيش مسلح من المؤمنين الحقيقيين "المختارين" لمحاربة وهزم قوى الشر، وخلاص العالم، واقامة مملكة الله العادلة، والسعادة الأبدية في الحياة الدنيا.
كل ما يذكره "العهد الجديد"، المكون من الأناجيل الأربعة، هو "الأمل" في عودة مجيدة للمسيح، وهي ليست عودة مادية في هذا العالم، ولكن بشكل علوي لكي يتمكن الجميع من رؤيته، وهي مع ذلك تبقى رؤية صعبة المنال. الطائفة اليهودية الناصرية تنكر الصفة الالهية للمسيح وتتهم اليهود الذين تمسّحوا بأنهم **مشركون** لأنهم أضافوا الابن و"الروح القدس" الى الله الواحد، وكانوا يرددون عبارة "**أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له**"[38]. والفرق شاسع بين ما كان يدعو إليه المسيح وتلامذته، وما آلت اليه تعاليمه لدى المجموعة اليهودية الناصرية. كما تظهر عبارتهم التشابه القوي مع الشهادة عند المسلمين[39].
اليهود الناصريون كانوا يعتبرون أنفسهم هم اليهود الحقيقيون والمسيحيون الحقيقيون في نفس الوقت، وينتقصون من شأن اليهود الحاخاميين ومن المسيحيين بجميع أطيافهم وبأناجيلهم الأربعة. كانوا يعتقدون أنهم أسماهم وأكثرهم قيمة، ولهم الأحقية الشرعية دون غيرهم في الانتماء الى ابراهيم: فهم الأصفياء.
خلال اقامتهم في هضبة الجولان وكذلك بشمال حلب بسوريا، كانوا يعيشون في الهامش، كاختيار منهم لتجنب الناس غير الطاهرين النجس غير المؤمنين. فكانوا بذلك يتقمصون عيش الشعب اليهودي خلال هجرته من بلاد مصر تحت قيادة موسى، ويعتبرون ذلك هجرة جديدة الى الصحاري كمرحلة أولى يتم خلالها التطهّر

---

[37] آباء الكنائس كانوا يسمونه "انجيل اليهود الناصريين" أو "انجيل العبرانيين"
[38] كانت هذه العبارة (الشهادة) موجودة في القرن الثاني الميلادي في "المواعظ" على لسان القديس بطرس، كما توجد مكتوبة على الأبواب القديمة في سوريا التي يرجع عهدها الى القرن 3 و 4 الميلادي (أي قبل الاسلام)
[39] تشكل هذه العبارة التي كان يستعملها اليهود الناصريون الجزء الأول من الشهادة الإسلامية حيث أضيفت اليها "محمد رسول الله" التي عوضت عبارة "وحده لا شريك له"

قبل العودة الى أرض الميعاد والدخول الى الهيكل. فامتنعوا عن شرب الخمر في انتظار عودة المسيح، واستبدل رهبانهم الخمر بالماء أثناء قداسهم. وهذه الممارسة ميزتهم عن المسيحيين، وهو ما اعتبرته الكنيسة المسيحية هرطقة من طرف الناصريين كما جاء ذلك على لسان كليمون الاسكندري[40].

هذا التطهير الذاتي ما هو إلاَّ مرحلة أولى من مجموع طقوس المجموعة اليهودية الناصرية[41] استعدادا لتطهير العالم وتخليصه من الشر والظلم. كانت وصفتهم من أجل خلق عالم كامل ومجتمع مثالي تتضمن كمبدأ أساسي استرجاع أرض الميعاد ومدينة أورشليم المقدسة وتطهيرهما حتى يتمكن الأصفياء من الدخول الى الأماكن المقدسة، واعادة بناء الهيكل في أجواء الطهارة والنقاء اللازمين لذلك، وبالتالي اداء المناسك الدينية اليهودية الأصيلة والحقيقية. وفي هذه الظروف ستكون كل الشروط جاهزة لعودة المسيح الذي سوف يقودهم بجيوشه لتطهير العالم من الشر والظلمات، وذلك رغما عنه إن اقتضت الضرورة ذلك.

ويظهر من خلال هذه المنظومة الفكرية التي نسجها اليهود الناصريون أن العالم ينقسم الى فئتين: فئة تعمل من أجل الخلاص، وفئة تعاكس هذا المشروع، فئة الطاهرين تقابلها فئة كلها نجس. وانطلاقا من هذه الرؤية الأيديولوجية فان الأخلاق هي الأخرى تعتمد على تقاطب حاد بين ثنائية الجميل والقبيح: فكل ما يساند هذه الأيديولوجية فهو صحيح وحقيقي وجيد وأفضل وكل ما يعارض هذه الأيديولوجية فهو خطأ وقبيح ومقيت وشر ودنس وبالتالي يجب محاربته وازاحته بشكل جدري من الوجود لأنه يعاكس تحقيق الخير والخلاص، حتى ولو تعلق الأمر بانحراف بسيط عن هذه الأيديولوجية يجب معاقبته. فالنساء مثلا يعتبروهن سببا للفتنة لأن بإمكانهن ان تستغوين المطهرين، وتتسببن في انحرافهم عن الطريق السوي (أي عن ايديولوجيتهم) ومن هنا جاءت ضرورة مراقبتهن والحط من قيمتهن[42]. كما أن كل محاولة للانشقاق أو الانحراف عن الايمان الطاهر كما تتصوره هذه المجموعة يجب

---

[40] Clément d'Alexandrie

[41] أفضل استعمال كلمة ناصري والمجموعة الناصرية أو الناصريون Les judéonazaréens لتفادي الخلط بين هذه الطائفة اليهودية المتطرفة وكلمة النصارى أو النصراني التي يحاول التقليد الإسلامي خلق الغموض حولها ويعمم هذه الكلمة ويطلقها بكثير من التعتيم على المسيحيين، كذلك لتجنب خلط هذا المفهوم مع "العلويين النصيريين". لذلك استعملت مصطلح الجماعة أو الطائفة اليهودية الناصرية لكي تتلاءم مع المفهوم الذي يعطيه الأستاذ كالي لهم وتمييزهم عن بقية الجماعات. مسيحيو الشرق يحملون في مظاهراتهم لافتات يكتبون عليها: "نحن مسيحيون ولسنا نصارى"

[42] نجد هذه المواقف العدائية التي تحط من قيمة المرأة في مخطوطات قمران في وثيقة تحت عنوان "فخ المرأة" أو "فخاخ المرأة". مخطوطات قمران تبين البيئة الفكرية لهذه الطائفة اليهودية الناصرية.

محاربتها والقضاء عليها بكل حزم وبدون تردد. هذا التصور المسياني محرك أساسي، وهو بمثابة وقود يغذي "منظومة من التبريرات" يمكن تلخيصها كما يلي: "أنا مؤمن طاهر أعيش في عالم وسخ وغير طاهر يستدرجني نحو النجاسة، إذن فأنا ضحية هذا العالم، وبالتالي يجب تطهيره. وما دام هذا العالم يقاومني فهذا دليل قاطع على أنه نجس وأنني من الطاهرين". تصور وسلوك من هذا القبيل هو من أهم مميزات فصام الشخصية (السكزوفرينيا)، أي عدم تقبل الواقع كما هو[43] والعيش في عالم خيالي تعمل فيه هذه الأيديولوجيا على تكبيل معتنقيها، فتنتج عنهم سلوكيات مرضية تؤدي الى العنف تجاه الآخرين.

اليهود الناصريون (كان ينعتهم المسيحيون بالأبيونيين[44] خلال القرون الميلادية الأولى) كانوا يراقبون العالم من حولهم ويفسرون ما يجري فيه انطلاقا من مبادئ عقيدتهم: فكل ما كان قبلهم هو ماضي من الظلمات لأنه يرفض الأنبياء والرسل، في حين أن المستقبل هو العالم المثالي، لأن الدين الحق (عقيدتهم) سينتصر ويتم بناء الهيكل ويعود المسيح. وبين الماضي والمستقبل فان الحاضر ما هو إلاَّ زمن الانتظار، وهو مليء بأعداء الدين، ومسرحا للحروب والصراعات التي لا مصير لها غير الزوال. وما كان يقع آنذاك أمام أعينهم من حروب طاحنة بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية كان يقوي أكثر إيمانهم بصحة أيديولوجيتهم. ثم ان اليهود الحاخاميين قد صدموا هذه الطائفة اليهودية الناصرية لأنهم قاموا بإصلاحات في العقيدة وأضافوا الى التلمود كتابات انسانية ورفعوا من شأنها الى درجة القدسية كالتوراة. وفي رأيهم فقد تجرأ هؤلاء الاصلاحيون وتجاوزوا كل الحدود بأن اضافوا وغيّروا وحرفوا في هذه الكتب لكي يحجبوا كتبا أخرى قديمة تحتوي على نصوص تنذر بمجيء المسيح، ولذلك فهم بها **كافرون**[45].

حين طرد الرومان اليهود من مدينة أورشليم، تمكَّن بعضهم من العودة اليها فيما بعد، الا أن معظمهم حوَّل وجهته الى بلاد فارس حيث كانت جاليتهم تشكل كتلة جد مهمة منذ القرن الثالث الميلادي، كوَّنت "انتلجانسيا" قوية كانت تمارس تأثيرا كبيرا على

---

[43] هذا نوع من "التعالي عن الواقع" وعدم تقبله، استعمله المنشقون في الاتحاد السوفياتي لوصف المتعصبين للأيديولوجيا الشيوعية، وهو نفس السلوك لدى جميع المسيانيين كما تمت الاشارة الى ذلك: فكلهم يسعون الى تحقيق عالم مثالي تقوده طبقة معينة تمتلك مفتاح التاريخ وترى أنه من واجبها تطهير العالم واخضاع الآخرين.

[44] يجب التعامل بحدر مع هذه التسمية لأن مصطلح أبيوني عرف عدة تطورات عبر التاريخ. ولذلك فان ماري كالي يفضل استعمال "الطائفة اليهودية الناصرية" بدلا من الأبيونيين

[45] كفر بالعبرية تعني حجب وغطى، وهو نفس المعنى في اللغة العربية التي أعطت كلمة "كافر" وجمعها "كفار" والتي تحولت في الفكر الإسلامي لكي تعني "غير المؤمن" والشرير والفاجر والظالم...

حكام الفرس وتدفعهم لمهاجمة الامبراطورية الرومانية-الاغريقية، والهيمنة على الشرق الأوسط بكامله. في نفس هذه الفترة كانت الامبراطورية الرومانية قد اعتنقت الدين المسيحي بشكل كبير. كانت الطائفة اليهودية الناصرية ترى في هذا المشهد اقتتالا بين منحرفين: البيزنطيون المسيحيون من جهة (لأنهم مهرطقون في رأيهم) واليهود الحاخاميون الذين يدفعون الفرس للحرب من جهة ثانية. وهذا في رأيهم دليل قاطع على أن الارادة الالهية تقود هؤلاء الى الاقتتال والزوال لتفسح بذلك الطريق للطاهرين الحقيقيين للعودة المظفرة (أي عودة اليهود الناصريون إلى أرض الميعاد). وما كان يزكي هذا الايمان المسياني بأنهم الوحيدين المؤهلين لتحرير أورشليم وقيادة العالم، هو أن الانتفاضات المتتالية لليهود باءت كلها بالفشل (منذ ثورة 351 -352 في الجليل، ثم ثورة 360- 362م بقيادة "جوليان"، وكذلك كل محاولات اعادة بناء الهيكل كتلك التي قام بها الامبراطور الروماني جوليان الذي احتضن اليهود الحاخاميين...)

محاولات تحرير مدينة أورشليم (القدس حاليا)
استقطاب وتجنيد العرب

قامت الطائفة اليهودية الناصرية بعدة محاولات لاسترجاع وتحرير مدينة أورشليم على الرغم من قلة المقاتلين في صفوفها. لا زال التاريخ يحتفظ بآثار هذه المحاولات، ومن بين أبرزها محاولة زينب (أو زنوبة) ملكة تدمر في سوريا ما بين سنة 269-272م. هذه الملكة استغلت ظروف الحرب التي أنهكت الامبراطوريتين الفارسية والرومانية على حد سواء، خاصة بعد هزيمة الامبراطور الروماني فاليريان أمام الفرس سنة 260م فدخلت في حرب ضد خلفه الامبراطور كاليان[46] وهزمته حين حاول محاربتها وكبح جماحها. القصاصات التاريخية تخبرنا كيف تمكَّن أحد أفراد هذه الطائفة اليهودية الناصرية يدعى "بول دانتيوش"، أن يستقطب ملكة تدمر عقائديا وكسبها لصالح قضية تحرير أورشليم. تتحدث وثائق تلك الفترة عن عملية تهويد الملكة زينب من طرف هذه الطائفة الأبيونية أو اليهودية الناصرية[47]وكانت الكنيسة

[46] Gallien

[47] هذا موثق في الكتابات التاريخية لكل من:
Eusèbe de Césarée, Filastre de Brescia, Athanase, Photius Théodoret de Cyr.

المسيحية المعاصرة لتلك الفترة تستنكر الدعاية التي كان يقوم بها "بول دانتيوش" وطردته من الكنيسة المسيحية بسبب هرطقته. هذه المحاولة لاستقطاب ملكة وتجنيدها لاسترجاع الأرض باءت بالفشل، لكن الطائفة اليهودية استوعبت الدرس واستخلصت العبر، وكَبُر أملها في اعادة الكرَّة مرة ثانية لتحقيق الهدف، سيما إذا تمت الاستعانة بمقاتلين آخرين خاصة من جيرانهم العرب. فالعرب كانوا معروفين بقدراتهم القتالية العالية نظرا لسرعة حركيّتهم الحربية، ومعرفتهم الجيدة لساحات القتال قد تمكنهم من هزم القوات النظامية للإمبراطورية الرومانية. وهذا الاحتمال وارد، سيما وأن هناك تجارب قام بها الرومان لجلب مقاتلين عرب للقتال في صفوفهم وشرائهم بتعويضات مالية مغرية. فماذا لو تم جلبهم واستمالتهم بطرق أكثر اقناعا وأعمق تأثيرا؟ ماذا لو تم ذلك عن طريق الاستقطاب العقدي للعمل سويا **في إطار تحالف مذهبي** قوي من أجل هدف واحد؟

في القرن السادس الميلادي كانت المجموعة اليهودية الناصرية قد استقرت منذ مدة طويلة بسوريا. الحفريات الأركيولوجية والدراسات التاريخية تمكَّنت من معرفة الأماكن التي كان يستقر بها هؤلاء، كما أن الدراسات التي تتعلق بالأماكن[48] تبيّن أن عدة أماكن سورية لازالت تحتفظ بآثار تواجد هذه الطائفة وتحمل أسماء تحيل اليها ولازالت مستعملة الى يومنا هذا، كبلدة الناصرية ووادي النصارى وجبل النصيري وكلها تحيل الى الأماكن التي كانوا يتواجدون بها قديما. كما أن الحفريات التي أقيمت بهضبة الجولان خاصة بقرية "الفرَج" تظهر مدى تعايش هذه الطائفة مع القبائل العربية الرحل، وأن علاقاتهم لم تكن محصورة في إطار التبادل التجاري فحسب، بل كانت تمس العقائد والطقوس والعبادات والمناسك. طبعا في ظل هذا الظروف بدأت الطائفة الناصرية تتخلى تدريجيا عن بعض معتقداتها خاصة تلك التي تمنعهم من الاختلاط بالأجناس الأخرى للاحتفاظ بالنقاء العرقي. كانت المصلحة العليا تقتضي ذلك من أجل اقناع القبائل العربية المجاورة لهم للدخول في عقيدتهم وتبني مشروعهم المسياني[49] الهادف الى تحرير مدينة أورشليم و"أرض الميعاد".

لقد أصبح مبدأ النقاء العرقي أقل أهمية بالنظر الى المشروع الأسمى، والأهم ليس من حرر أورشليم، سيما وأن الظروف الجيوسياسية لا تسمح بالمزيد في ضياع

[48] La toponymie

[49] لقد أظهرت الحفريات تواجد آثار كتابات بالخط العربي لفترة ما قبل الإسلام خاصة في سوريا والأردن. وهو ما تبينه أبحاث بريمار في كتابه "أسس الإسلام" وكذلك مقال "الآرامية في القرآن ودلالاتها" للكاتب روبير كير

الوقت. فالنقاش في هذه المواضيع أصبح ثانويا مقارنة بالهدف الأسمى، فضعف الامبراطورية البيزنطية يستعجل المرور الى مرحلة الانقضاض عليها وتقويضها. فلن تفوّت الطائفة اليهودية الناصرية هذه الفرصة التاريخية لأن كل الظروف مواتية تماما للقيام بذلك. كانت القبائل العربية آنذاك حديثة العهد باعتناق المسيحية (في القرن 5 و6 الميلادي)، وليست لديها رؤية واضحة ودقيقة بخصوص أرض الميعاد، فقط بدأت تتخلى عن بعض عاداتها القبيحة كالغزوات العشوائية التي تحكي عنها القصاصات التاريخية القديمة. من جهة أخرى كانت بيزنطة تعتمد على هذه القبائل العربية لمراقبة تراب الامبراطورية، كما كانت تستأجرهم كقوات مساعدة[50] في حملاتها الحربية. من بين هذه القبائل العربية المتعددة التي أثارت الانتباه، تلك التي كانت تعيش في شمال سوريا على بعد 30 كلم في الشمال الشرقي لمدينة اللاذقية. في سنة 1920م كانت لاتزال بقايا وأنقاض "مربط القوافل" التي كانت تستقر بها القبائل العربية الرحل التي كانت تشتغل في مجال التجارة عبر القوافل. انها منطقة خاصة بقبائل قريش تسمى "خان قريش" أو مربط قوافل قريش. لا زالت الخرائط القديمة لسوريا تشهد على ذلك كتلك التي أنجزها الفرنسي"روني دوسو"[51] سنة 1927م. معقل قبيلة قريش كان يحمل اسم "خان القريشي" الذي يتواجد بالقرب من النهر الذي يسمى النهر القريشي[52] (انظر الخريطة في الملحق)، وهو لا يزال يحمل نفس الاسم الى يومنا هذا. وتشير قصاصات نارسي دونيزيب[53] التي تعود لسنة (485م) أن قبائل قريش كانت متواجدة في الشرق قبل ان تستقر بشمال سوريا، وتضيف أن الجميع كان يشتكي من وحشية الغزوات وأعمال السرقة التي كانت تقوم بها ومن الدمار الذي يخلفه القريشيين، ويصفها بأنها "أقبح وأفظع من المجاعة". اعتناق هذه القبائل تعاليم الدين المسيحي هذّب نسبيا سلوكها فتمكنت من ولوج عالم التجارة خاصة تجارة الحرير، وبدأت تتعامل وفق أعراف التجارة ومبادئها، وهو ما يفسر استقرارها ومربط قوافلها بالقرب من ميناء اللاذقية. في نفس الوقت كان اعتناقهم للمسيحية فرصة لدخول الطائفة اليهودية الناصرية على الخط، حيث تمكنت من استقطابهم واستدراجهم عقائديا لفائدة ايديولوجيتهم.

---

[50] كما تشير اليه دراسات YehudaNevo (Crossroads to Islam)

[51] René Dussaud

[52] النهر القريشي ويطلق عليه كذلك "راس قريش" بالقرب من اللاذقية كما تظهر ذلك الخرائط البريطانية القديمة لسنة 1843 - 1851

[53] Narsaï de Nisibe

يمكن تلخيص الكيفية التي تمكَّنت بها الطائفة اليهودية الناصرية لكسب العرب لنصرة قضيتهم وتبني أطروحاتهم كالتالي[54]:

"نحن الناصريون، يهود أبناء وحفدة ابراهيم من ابنه اسحاق، وأنتم العرب كذلك حفدة ابراهيم من ابنه اسماعيل[55]. وبالتالي فنحن جميعا ننحدر من نفس الجد الموقر أبو الأنبياء والمؤسس الأول للدين الحق. نحن اذن أبناء العمومة، إننا اخوة وننتمي الى نفس المجموعة: لنفس الأمة، نشترك في الانتماء الى الدين الحق ونتبع نفس التعاليم المذكورة في التوراة التي أوحاها الله الى موسى (التوراة كما احتفظ بها اليهود الناصريون، وهي مختلفة عما كان متداولا لدى اليهود الحاخاميين)، ونمتثل لتعاليم المسيح كما هي في الانجيل (والانجيل عندهم بصيغة المفرد، للإشارة الى الإنجيل الأول، أي انجيل "متى"، والتي أدخلوا عليه تغييرات كثيرة كما رأينا سابقا). واعتبارا لكل هذا، فان مشروع استرجاع الأرض الموعودة وتحرير أورشليم واعادة بناء الهيكل هو مشروعنا جميعا. وعليه فأنتم العرب ستبايعوننا نحن اليهود لأننا أبناء العمومة واخوتكم في الدين الحق وسنقودكم ونقوم جميعا بتخليص العالم بأسره. سنهيئ الظروف الضرورية لعودة المسيح الى الأرض ليحررها ويصبح قائدنا المسلح ويخلصها من الشر، وسنصبح من أصفيائه في مملكته الفاضلة: سنكون جنوده، نحن أبناء اسحاق وأنتم أبناء اسماعيل"[56].

هذا هو خلاصة الطرح المسياني الواعد الذي قدمته الطائفة اليهودية الناصرية للعرب: المبايعة تم التحالف والانخراط التام في المشروع كان جد مغري للعرب، لأنهم من جهة سيصبحون من العرق النقي السامي يمكنهم من دخول مملكة المسيح، ومن جهة أخرى ستكون لهم مكافآت دنيوية كبيرة من الغنائم[57] والسبايا خلال الحرب من أجل تحرير مدينة أورشليم المقدسة وأرض الميعاد.

ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من بلورة عملية الدعاية بإحكام، وهو ما دفع بهذه الطائفة (التي كانت تتكلم اللغة السريانية – الآرامية) في البداية الى شرح وتبسيط كتبهم الدينية للعرب، ثم بعد ذلك تكوين المبشرين العرب (عبارة عن ائمة)، الأمر

---

[54] سنرى في الفصل 3 كيف احتفظ القرآن ببعض البقايا لهذه الفكرة

[55] انطلاقا وانسجاما مع هذه الفكرة تمت صناعة وفبركة السلالة العربية التي تنحدر من اسماعيل، وهي فكرة غير موجودة تماما في الفكر اليهودي وكتاباتهم. الكتاب اليهودي الوحيد الذي يشير الى هذا الأمر هو كتاب للطائفة اليهودية الناصرية ولا تعترف به اليهودية الحاخامية، (وهو كتاب يشبه ما يسمى في الفكر الإسلامي "علم الأنساب") Le livre des Jubillés

[56] كما تشهد على ذلك سورة البقرة آية 127 : وإذ يرفع ابراهيم القواعد واسماعيل..."

[57] هناك عدة آيات قرآنية تشير الى الغنائم والسبايا كعملية مشروعة ومحببة في سبيل الله (وسيتم التطرق اليها بالتفصيل فيما بعد) القرآن لا يزال يحتفظ على هذه الدعوات الى الانخراط في المشروع عبر الجهاد والوعود بالغنائم، والسبايا.

الذي استدعى ترجمة هذه النصوص الى اللغة العربية ليسهل تلقينها للعرب. وفي نفس الإطار أنتجوا كتابات وشروحات تشبه دلائل وملخصات لأهم كتبهم حول التوراة وإنجيلهم، ولعاداتهم وتقاليدهم، وشروط الطهارة والختان....[58]

كانت الضرورة تستدعي وجود مذكرات مكتوبة، سيما وأن جل التعاليم كانت في تلك الفترة تعتمد على التلقين بالحفظ. هذه المفكرات الجديدة هي عبارة عن نصوص مترجمة باللغة العربية لفصول دينية[59]سريانية من الكتب المقدسة كانت تستعملها هذه الطائفة في إقامة شعائرها العقائدية. كانت هذه المذكرات تحتوي على شروحات وتأويلات للنصوص الدينية، كما هو معمول به لدى المسيحيين. فهي تحتوي على مقتطفات مختارة من العهد القديم والعهد الجديد -كما تفهمه هذه الطائفة- وعلى الشعائر الدينية حسب التقويم اليهودي (مثلا يوم السبت والأحد أيام عيد وعطلة). هذه المذكرات أو كتب العبادات يطلق عليها بالسريانية "قورونو"[60] أو **"قريانا"** (وهي التي أعطت فيما بعد كلمة قرآن باللغة العربية). وانطلاقا من هذا تكونت مجموعة من الكتابات وخطب الوعظ وبعض والتراتيل المقدسة تم تجميع بعضها في "مدكرات" مكتوبة (سنرى كيف أصبح لهذه الصحف و"الأوراق" أهمية بالغة فيما بعد). لقد كانت تحتوي أساسا على الدعاية للأيديولوجية الناصرية وكانت تستهدف بالنقد العقيدة المسيحية لدى العرب حيث كانت تتهمهم بالشرك وتعتبر أن المسيحيين يجعلون لله شركاء، أي عقيدة التثليث[61].

نأتي الآن الى الشخص الذي يقدمه التراث الإسلامي كنبي الإسلام وأعظم الرسل المعروف ب "محمد"، المحبوب وحبيب الله، القائد العسكري للعرب. فالتاريخ لا يذكر اسمه الحقيقي. و"محمد" هو فقط لقب ربما أطلقه أصحابه أو التراث الإسلامي عليه كما سنرى فيما بعد.

فهذه الشخصية لا نعرف عنها الشيء الكثير، ولكن عموما نعرف أنه ولد في القرن السادس الميلادي من قبيلة قريش العربية التي كانت مستقرة في نواحي اللاذقية بسوريا، ولا أحد يعرف بدقة كافية هل كان مسيحيا أم تم استقطابه من طرف الطائفة

---

[58] الختان عند اليهود هو "علامة" عن العهد مع الله (ابراهيم حسب التقاليد اليهودية كان أول المختونين) وهو نفس التقليد الذي احتفظت به الطائفة اليهودية الناصرية، وورثه عنهم المسلمون دون وجود أية آية في القرآن تدعوهم لذلك.

[59] Lectionnaires

[60] Qor'ôno

[61] انظر مقال ماري كالي بالإنجليزية :
« The Hidden Origins of Islam » Edouard Marie Gallez.

اليهودية الناصرية، لكن المعروف هو أن عملية الانخراط في أيديولوجيتهم تمت في أواخر القرن السادس الميلادي. التاريخ والرواية الإسلامية تحتفظ فقط ببعض الشخصيات الدينية لمحيط محمد (كورقة ابن نوفل وبحيرا) بعض هؤلاء كان له ارتباط "ببصرة" وهي مدينة في طريق يثرب (المدينة) بواحة العرب في الجنوب الصحراوي لسوريا. كان يعيش بيثرب أكبر تجمع لليهود الناصريين في هذه المنطقة. زيد ابن ثابت، المعروف في التراث الإسلامي كشخصية متعلمة تجيد الكتابة والقراءة، تقول الرواية أنه تلقى تعليمه بيثرب على يد معلمين يهود وتفرَّغ للقراءة والكتابة بالسريانية والعبرية، وهذا ما أهله لكي يلعب دورا مهما للغاية في تقريب المجموعات والطوائف اليهودية الناصرية مع القبائل العربية.

وكما هو الحال بالنسبة للقريشيين، فإن محمد، حسب الرواية الإسلامية، اشتغل بالتجارة وكان في بداية الأمر مكلفا بتسيير تجارة خديجة التي كانت أرملة ومن أثرياء هذه الطائفة، تم قام بتزويجهما الراهب ورقة ابن نوفل. ولا زالت الذاكرة الإسلامية تحتفظ لورقة ابن نوفل ذو الديانة اليهودية الناصرية، بالتقدير الكبير نظرا للدور المحوري الذي لعبه في تأطير محمد. ولكن الرواية الإسلامية لا تذكر إن كان "ورقة" عربيا أو يهوديا[62]. وحسب السيرة الحلبية فإنه كان يعلن باسم الطائفة اليهودية الناصرية: **"نحن سادة العرب وقدوتهم"**[63]. وقد يكون ورقة ابن نوفل من أم عربية وأب من هذه الطائفة، الأمر الذي مكَّنه من أن يقرب بينهم ويكون جسرا حقيقيا بين المجموعات اليهودية والقبائل العربية. وحسب الرواية الإسلامية فإن زواج محمد بخديجة لم يعمِّر أكثر من أربع أو خمس سنوات، وكان له منها أربع بنات. لقد أصبح محمد بعد ذلك شخصا أرملا وغنيا لما ورثه من تجارة خديجة، مما أهله أكثر للدخول في أكبر مغامرة في حياته.

المحاولة الفاشلة لغزو أورشليم

الفرصة التاريخية التي منحتها الظروف التاريخية للقبائل القريشية ومعلموهم اليهود الناصريون هي الفترة التي دخلت فيها الامبراطوريتين الفارسية الساسانية

[62] حسب سيرة ابن هشام "كان ورقة (...) نصرانيا عارفا للكتب النصرانية المقدسة، ودرس علم الرجال، كما كان ذو معرفة جيدة بالنصرانية. وكانت معرفته لها بنفس درجة معرفة أهل الكتاب لها". وكتَب البخاري نفسه "كان القس ورقة يكتب الكتاب العبري. كان يكتب الإنجيل باللغة العربية، ما شاء الله أن يكتب".

[63] السيرة الحلبية.

والرومانية البيزنطية في حروب واقتتالات لا متناهية للسيطرة على الشرق الأوسط والتي عرفت بعض الانتصارات الميدانية للفرس، وظهر بشكل جلي من خلالها تضعضُع وضُعف القوات البيزنطية. كان اليهود المتحمسين والحالمين بالدولة اليهودية الوطنية يشجعون الامبراطورية الساسانية في ذلك. فقامت الجيوش الفارسية بالهجوم نحو فلسطين مستعينين ببعض الفرق العربية المرتزقة والصعاليك (بمفهوم الثقافة الإسلامية) في محاولة لاسترجاع "الأرض المسلوبة". فتقدمت هذه الجيوش نحو سوريا وتمكنت في سنة 613م من السيطرة على دمشق وحمص ومدينة أباميا الرومانية (المعروفة بقلعة المضيق). في هذا الظرف بالذات فكرت الأمة العربية-اليهودية الناصرية الناشئة في القيام بمحاولة أولى لاسترجاع مدينة أورشليم. وللتذكير فان المسيحيين الذين كانوا يقطنون في اورشليم كانوا يمنعون اليهود المهاجرين، ومن ضمنهم افراد الطائفة اليهودية الناصرية من الحج إليها. فكوَّنت "الأمة الناشئة" قوة عسكرية مختلطة من قبائل قريش العربية ومن اليهود الناصريين، وانضموا الى الجيوش الفارسية تحت قيادة الجنرال الفارسي روميزانيس (الملقب ب شاهرباراز). كان معظم سكان فلسطين آنذاك مسيحيون، من بينهم أعدادا مهمة من اليهود الذين اعتنقوا الدين المسيحي، وأقلية من اليهود الحاخاميين الذين لا يحبذون التواجد البيزنطي في المدينة، وكانوا متواطئين مع الفرس عبر جاليتهم اليهودية المتواجدة في بابل، فقاموا بعدة انتفاضات ضد السلطات البيزنطية وساعدوا القوات الفارسية للدخول الى المدينة. وفي أبريل من سنة 614م تمت محاصرة مدينة أورشليم بمساعدة اليهود المنتفضين، وسقطت المدينة في أيدي القوات الفارسية-اليهودية-العربية، تعرض فيها المسيحيون المقيمون بها لمجازر فظيعة ومذابح جماعية رهيبة. كانت حصيلة المعارك والمذابح، التي صاحبتها عمليات التخريب والدمار وإحراق الكنائس والأماكن المقدسة، لدى المسيحيين ما بين 17000 و60000 قتيل حسب المصادر[64]، كما تم ترحيل وإبعاد ما لا يقل عن 35000 مسيحي خارج المدينة.

بعد هذا الانتصار، قام الفرس بتكليف اليهود المحليين بتسيير شؤون المدينة، حيث تمكنوا من ممارسة عباداتهم وشعائرهم بحرية، وتقديم القرابين على أنقاض ما تبقى من الهيكل. لكن اليهود المحليين كانوا يتوجسون من هؤلاء اليهود الناصريين

[64] أظهرت الاكتشافات الأركيولوجية الجديدة عن بقايا آلاف الجثث البشرية تعود لهذه الفترة في مسبح ماميلا وتشهد على تلك المجازر.

cc BY ND NC

العائدين من المنفى ومعززين بفيالق من العرب القادمين مع القوات الفارسية. كانوا يعرفون أن مقاصدهم وغاياتهم ليست الغنائم والأموال، وأن دخولهم الى أورشليم كان وراءه مشروع إعادة بناء الهيكل وتهيئ الظروف لعودة المسيح. لقد حاولوا فرض هذا التصور على اليهود الحاخاميين الشيء الذي نجم عنه شجارات وقلاقل بين الطرفين. انحاز الجنرال الفارسي الى كفة الحاخاميين المحليين لأنهم ساعدوه في الدخول الى أورشليم والسيطرة عليها، فقام بطرد اليهود الناصريين وحلفائهم العرب، وتم ابعادهم عن فلسطين. كانت العلاقة بين الطرفين جد متوترة الى درجة الحقد، الشيء الذي دفع اليهود الناصريين باتهام الحاخاميين بتزوير ما في الكتب المقدسة والانحراف عن مقاصدها حين أضافوا التلمود اليها وبذلك فهم في رأيهم قد "كفروا" وانكروا ما جاء في التوراة.

لكن كيف يمكن العودة الى سوريا في ظل هذه الانتكاسة التي عرفتها الفيالق العربية ومؤطروهم اليهود الناصريين؟ كيف للقريشيين العودة الى قراهم وقوافل تجارتهم وحياتهم البدوية، في الوقت الذي تضاعف الحماس الديني-العسكري على ضوء ما عايشوه خلال الحملات العسكرية بقيادة الفارسيين؟ كيف يعودون وقد لامسوا أورشليم المدينة المقدسة عن قرب، لقد كانوا قاب قوسين من تحقيق الانتصار والحلم الكبير وعودة المسيح؟ القريشيون في سوريا، الذين لم يشاركوا في هذه المغامرة، كانوا يكتفون بالتجارة وبحياة هادئة، إلاَّ أنهم لم يكونوا على استعداد لقبول هؤلاء العرب المقاتلين العائدين من فلسطين، خاصة وأن نجم شخصية "محمد" بدأ يسطع، وأصبح مركزه العسكري والديني يتصاعد في صفوف العرب المتحالفين تحت راية اليهود الناصريين، سيما وأن اعدادا كبيرة من القبائل العربية المجاورة قد التحقت بهذه الأحلاف.

لقد استطاع محمد أن يلعب دورا محوريا في ذلك التحالف، وتمكن من استعمال مكثف لآلة الاستقطاب الأيديولوجي لبقية العرب المسيحيين عن طريق القس ورقة ابن نوفل ومعززا بمجموعة من الخطباء والوعاظ الذين تبنوا الفكر اليهودي الناصري. لقد أدرك اليهود الناصريون آنذاك قوة الاستقطاب الأيديولوجي لهؤلاء العرب. فازداد حماسهم وتضاعف تفاؤلهم في الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه المقاتلون العرب على ضوء الانتصارات التي حققوها في الحرب مع البيزنطيين، وبالتالي ضرورة الاعتماد عليها بشكل جوهري في تحقيق الحلم الكبير الذي يراودهم. ومن المحتمل جدا أن تكون هذه الفترة بالذات هي التي حمل فيها القائد

العسكري العربي الذي قاد تحالف الفريقين لقب واسم "محمد". المسلمون يرون في لقب "محمد" معنى: المحمود، الذي يستحق الثناء... ولكن معنى هذا اللقب كان موجودا قبل هذه الفترة، وهو موجود في العهد القديم (الزبور 118، 26 بمعنى **"المبارك، الذي يأتي باسم الله"، والتي يمكن ترجمتها بالعربية "محمد رسول الله"**). ويحبذ الأستاذ ماري كالي معنى آخر: "الشخص المفضل" الذي فضله الله على الآخرين"، وهذا هو اللقب الذي حمله النبي اليهودي "دانييل "[65]كما أوردته كتب النبوءات اليهودية. دانييل كان آخر أنبياء اليهود قبل المسيح. ولذلك لُقب القائد العسكري الذي قاد التحالف بالشخص المحمود الذي يبشر بمجيء المسيح.

الـــــهـــــجـــرة

خلال الحروب الطويلة والمتتالية بين الامبراطوريتين سيتمكن البيزنطيون خلال هجوم مضاد من أجل استرجاع مناطق نفوذهم وهيمنتهم ابتداء من سنة 620م حيث وصلت قواتهم الى شمال سوريا، فشعر القريشيون واليهود الناصريون الذين شاركوا في الحرب الأخيرة في فلسطين ضد الرومان بخطورة الوضع عليهم وامكانية انتقام البيزنطيين منهم. الأمر الذي دفعهم الى التفكير في تغيير أماكن تواجدهم للحفاظ على أرواحهم وتجارتهم. لقد كانوا مجبرين على المغادرة، فأقنعهم اليهود الناصريون بالهجرة لدى بني عمومتهم اليهود الذين يقطنون بعيدا عن شمال سوريا وفي مأمن من البيزنطيين وجيوشهم، في الصحراء العربية وبالضبط في واحة "يثرب" حيث تقطن عدة طوائف يهودية[66]. فهاجرت هذه المجموعة المكونة من العرب واليهود الناصريين الى يثرب، وسيلقبون ب "المهاجرين". فيما بعد، سيتم تغيير اسم يثرب

---

[65]كانت الغاية التي يسعى اليها المسلمون حين أضفوا معنى جديدا للقب "محمد" بمعنى المختار والأهل والمؤهل، هو جعل الأناجيل تتحدث عن مجيء محمد نبي العرب. في حين أن الأناجيل المسيحية تتحدث عن مجيء الروح القدس. كما أن كتب المانوية (نسبة الى نبيهم ماني) تقدم نبيهم في القرن الثالث بنفس المعنى (الأحمد أو المحمود) أو المبشر بقدوم المسيح. وهذا ما سيفعله المسلمون حين ترجموا "المبشر" أو "البشير" ب "أحمد". ولكي يبقى الإسلام في نفس خط الديانات التوحيدية التي تعلن عن النبي الذي سياتي فيما بعد قام المسلمون خلال عملية تأسيس العقيدة الاسلامية في فترات لاحقة ومتأخرة ببلورة تصور خاص للديانات التوحيدية الثلاثة على شكل مسلسل تعلن فيه اليهودية عن مجيء المسيحية، والمسيحية تبشر بقدوم الاسلام، كما لو أن الأمر يتعلق بسيرورة تصحيحية للديانة الابراهيمية يحتل فيها الاسلام قمة هرم هذه الديانات، كأسمى ديانة ابراهيمية. ولذلك قام بتحريف معنى "أحمد" و "حمّد" وهو معنى أقرب الى "المبتغى" و "المرغوب فيه"، ليتماشى مع التصور الرسمي.

[66]المراجع التاريخية القديمة وثقت لتواجد اليهود في هذه الواحة (مثلا في كتابات بلين أو بطليموس). يشير الباحث الفرنسي بريمار في كتابه "أسس الإسلام" الى أن هؤلاء اليهود غير معترف بهم كيهود من طرف اليهود الحاخامبين، وهو ما يعزز الفرضية بأن هؤلاء هم اليهود الناصريين المتطرفين الذين كانوا يقطنون بيثرب في تلك الفترة.

لتصبح "المدينة"[67]، وهو نفس اسم المدينة التي توجد في فلسطين، التي انطلقت منها انتفاضات اليهود "المكابيين" ضد الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد.
هذا **الهروب** الى يثرب سيتم قراءته وتأويله في السنين اللاحقة لإعطائه معنى آخر ذو حمولة دينية قوية، واعتباره **الحدث المؤسس** للأمة العربية-اليهودية الناصرية الناشئة: فهو ليس هروبا، لأن الطاهرين والأصفياء لا يهربون ولكنهم فقط يستعدُّون! ويمكن قراءة هذا الحدث من خلال المكانة الروحية التي تحتلها الهجرة في وجدان اليهود. فهي تحيل الى الهجرة الكبرى التي قام بها اليهود بزعامة موسى حين غادروا مصر الفرعونية في اتجاه الأرض الموعودة. كما يمكن قراءة الهجرة (بالمعني التوراتي) كعملية طهارة في الزمان (هجرة) وفي المكان (الصحراء) كاستجابة لنداء إلهي تمنح الشرعية لامتلاك الأرض الموعودة. سيضفي الموروث الثقافي هالة من التقديس على "خروج" المجموعة العربية-اليهودية ويعتبره بداية عهد جديد: **إنها بداية التاريخ**، وسيعتمد التقويم الهجري على هذا الحدث، وبداية السنة الهجرية.
كانت الهجرة ثم الاستقرار في يثرب-المدينة مناسبة لتعزيز قوتها، كما كانت فرصة للتحالف مع اليهود المقيمين بيثرب، تشهد عليها وثيقة "ميثاق صحيفة المدينة"[68].
فبدأت عملية الاستقطاب الايديولوجي للقبائل العربية المسيحية المجاورة ليثرب، لتحرير أورشليم وعودة المسيح وتحقيق المشروع المسياني الكبير. ولم يقتصر الاستقطاب على الاستمالة بالطوع بل تجاوزه الى حد استعمال قوة السيف لإخضاع القبائل المترددة والمشككة. والتاريخ الإسلامي (خاصة سيرة ابن اسحاق-ابن هشام) يشير الى هذه الأحداث ومعارضة القبائل العربية المسيحية التي كانت بعضها تسيرها وتقودها نساء، وهي شهادة من داخل التراث الإسلامي على الوضعية الجيدة التي كانت تتمتع بها المرأة ببلاد العرب المسيحية في تلك الفترة. كما أن هناك مراجع تاريخية أخرى خارجية عن التراث الاسلامي، غير معروفة لدى العموم، معاصرة لهذه الأحداث التي عرفتها يثرب والتي توثق للحملات الدعائية لمحمد على رأس هذه المجموعة المخضرمة. هناك كتاب للمؤرخ البيزنطي سيبيوس مكتوب

---

[67] انظر الكتاب الأول من سفر المكابيين Livre des Maccabées

[68] تبدأ صحيفة المدينة كما يلي: هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.". للإشارة لا توجد صحيفة المدينة كوثيقة كاملة. كل ما يمكن للباحث أن يعثر عليه هو تجميع لفقرات متفرقة ومتناثرة في الكتابات الإسلامية (خاصة من السيرة). كما تجدر الاشارة الى أن الوثيقة لا تشير ولو مرة واحدة الى القبائل اليهودية التي تمت "تصفيتها ذبحا" حسب الرواية الإسلامية: بنو النضير بنو قينقاع وبنو قريظة [المترجم].

بالآرامية[69] يشير الى هذا الحدث التاريخي وخاصة لقاء محمد باليهود الناصريين بيثرب ما بين سنتي 625–627م. يقول سيبيوس: "في هذه الفترة كان هناك شخص اسماعيلي (أي عربي) يُدْعى "امحمد" أو "مهميت"[70]، يعمل في التجارة. وكان يقدم نفسه باعتباره مبعوثا لهم بأمر إلهي، ليرشدهم الى الطريق الحق ودين الاله الابراهيمي. لقد كان عميق الدراية بتاريخ موسى... [وكان خطابه كالتالي]: إن الله أقسم بأن الأرض قد وعدها لإبراهيم وسلالته، فأنتم أبناء ابراهيم وحفدته. إن الله سيحقق من خلالكم وعده لإبراهيم، ولذلك لا تعبدوا الها آخر غير إله إبراهيم (بمعنى ارفضوا عقيدة الثالوث المسيحية) واستعدوا لاسترجاع أرضكم التي وهبها الله لأبيكم إبراهيم"[71]. وثيقة سيبيوس والوثيقة المسماة "عقيدة يعقوب" ثم كتابات تيوفران، تعد من الوثائق القليلة والنادرة لأشخاص عاشوا في فترة محمد وأرخوا لها. وهي وثائق متوفرة اليوم للباحثين الذين يدرسون هذه المرحلة التاريخية، (في حين أن المصادر الإسلامية التي تحاول التأريخ لمرحلة محمد لم تكتب الا بعد قرنين من موت هذا الأخير) وهي في عمومها تقدم شهادات تتعارض بشكل جدري مع السردية الإسلامية. وسنتطرق لأسباب هذا التعارض فيما بعد.

ثم توالت الخطوات وتمكن محمد والطوائف اليهودية الناصرية من ضم القبائل العربية من أجل تحقيق الهدف المنشود، فكوَّنوا قوة عسكرية مهمة وقاموا بمحاولات لغزو فلسطين، لكن المحولات الأولى لم تعط النتائج المرجوة عدا بعض الغنائم القليلة[72]. كانت محاولة 629م من أكبر المحاولات المثيرة والمحفوظة في الذاكرة: ففي قصاصة تيوفران نجد وصفا دقيقا لهذه المحاولة حيث قام محمد بإرسال جيش وفرسان عرب مرة أخرى لاسترجاع "الأرض الموعودة". كان الامبراطور البيزنطي في تلك الفترة قد تمكن من طرد الفرس من فلسطين وسوريا كما استرجع مدينة أورشليم، لكن قوته أصابها بعض الفتور من جراء هذه الحروب الطاحنة مع الفرس. فأدرك محمد أن هذه الظرفية التي استنزفت قوة الامبراطوريتين معا هي الفرصة المواتية للهجوم نحو فلسطين. ثم بدأ تحركاته الهجومية من الصحراء

---

[69] الكتاب التاريخي لسيبيوس موجود باللغة الانجليزية والفرنسية ويمكن تحميله بالمجان عبر الأنترنيت.

[70] Mahmet

[71] توجد أصداء دعوات الاستقطاب هاته في القرآن مثلا في سورة مريم آية 40 "إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون" ، ثم سورة 5 المائدة 21 : "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم" ...

[72] نجد أخبار هذه المحاولات في قصاصة يعقوب حيث يقول "بدأت مملكة العرب التي نسميهم "المهاجرون" في السنة 11 من حكم هيرقل ملك بيزنطة، وفي السنة 30 من حكم الامبراطور الفارسي كوسريوس (أي في 621م) بدأ المهاجرون في محاولات للتوغل داخل الأراضي الفلسطينية" Chronique de Jacques d'Edesse

العربية انطلاقا من البحر الميت مرورا ببحر الأردن مقلدا بذلك التوراة وقصة الهجرة اليهودية من مصر، إلاَّ أنه اصطدم بالقوات البيزنطية معززة بقوات عربية إضافية في مدينة مؤتة[73]. كانت هزيمة الجيش الذي قاده محمد هزيمة مدوية بكل المقاييس حيث قتل فيها ثلاثة من كبار جنرالات محمد، وتخلخل جيش الأمة الناشئة، ورجع محمد مهرولا الى يثرب-المدينة حيث حاول بمعية رجال الدين تهدئة النفوس ومحاولة تحفيز الجيوش أكثر[74].

ورغم كل المجهودات المتواصلة لم يتمكن محمد من دخول فلسطين "الأرض المقدسة" حيث وافته المنية[75] سنة 629م (معركة مؤتة) أو 634 م (معركة غزة). المسلمون يقولون إنه توفي في سنة 632م (على الرغم من عدم وجود يقين بهذا الخصوص)[76]. بعد هذه المعارك آلت القيادة العسكرية لأحد الجنرالات يحمل اسم "أبوبكر" (ومن المحتمل أن يكون أبو بكر أحد المنافسين لمحمد وكذلك لعمر). إن الروايات الإسلامية شحيحة جدا وبشكل ملفت للنظر حين تتطرق لشخصية أبي بكر التي تقدمه " كأول خليفة" لمحمد، ولكن لا نجد له أثر في المراجع القديمة المعاصرة له، عدا تلك التي ترجع الى القرن الثامن الميلادي. بعد ذلك تابع اليهود الناصريون جهودهم لتعبئة واستقطاب القبائل العربية لتحقيق مشروعهم، معتمدين في ذلك على الوعاظ والخطباء العرب. لكن بعد موت محمد عمت الإقتتالات والتناحر والصراعات بين مختلف الأمراء، وبدأت ذكرى محمد تتلاشى بعد موته، وبدأ تأثيره يخفت شيئا فشيئا في صفوف الجيوش، وخاصة بين القبائل العربية التي تم إخضاعها وإدماجها بالقوة في المشروع الحربي. كانت القبائل العربية لازالت تحتفظ بذكرى قساوة محمد وشدة تعامله معها[77]. لكن هذا لم يمنع التحالف العربي الناصري من

---

73 تعتبر معركة مؤتة سنة 629م التي سردها المؤرخ تيوفران من الأحداث التاريخية النادرة لحياة محمد والتي يذكرها التاريخ والرواية الإسلامية بشكل موثوق فيه. وتكون بذلك هذه الحرب هي الحدث الوحيد الذي تتفق حوله الرواية الإسلامية والقصاصات غير الإسلامية. ولكن التقليد الإسلامي لا يولي أهمية كبرى لهذه الواقعة ذات الأهمية التاريخية الكبرى، وذلك لأنها تحيل الى هزيمة محمد وجيوشه في هذه المعركة، وهو ببساطة، ما يتعارض مع "المنطق الإسلامي". ويبقى السؤال الجوهري هو: **لماذا ذهب محمد لغزو فلسطين سنة 629م؟** خاصة وأن الرواية الإسلامية تقول إن كل جهود محمد في تلك الفترة كانت موجهة لتوحيد القبائل العربية في مكة!

74 يؤرخ القرآن لهذه المعركة ويعطي عنوانا كاملا لها وهي سورة الروم التي تبدأ ب "غلبت الروم..." ، وكذلك سورة الفيل (لتحفيز الجيوش)

75 لا يوجد اتفاق في الروايات الإسلامية بأجمعها حول تاريخ موت محمد، فقط تشير أنه مات مسموما وأن أرملة يهودية قد سممته.

76 كتب توماس بريسبيتر (Thomas le Presbytre) سنة 640م: كان محمد قائدا للجيش في معركة غزة سنة 634م. ولكن لا نعرف هل كان الأمر يتعلق بمحمد نفسه أم أن لقب "محمد" حمله شخص آخر في هذه المعركة.

77 الرواية الإسلامية نفسها تعترف بشدة قساوته تجاه معارضيه ومنتقديه (بل هناك تقديس لهذه القساوة)

الاستمرار في التدافع نحو "الأرض المقدسة". فبعد موت أبي بكر في سنة 634م (وهو تاريخ غير مؤكد[78]) خلفه "عمر"، أحد القادة العرب (ربما أحد منافسي محمد) على رأس الجيوش العربية وكان مؤطرا من طرف اليهود الناصريين كمستشارين سياسيين له.

في هذه الفترة أنهكت الامبراطورية البيزنطية جراء حروبها مع الفرس وتفشى وباء الطاعون طوال القرنين السادس والسابع الميلادي الذي أودى بحياة الكثير من جنودها، في حين مكنت هذه الظروف الجيوش العربية اليهودية من دخول سوريا، وهي أرض يعرفونها جيدا ولهم فيها حلفاء سابقين. كان لا يزال يستوطن بها يهود ناصريون، وبعض قبائل قريش التي لم تهاجر معهم في الدفعة الأولى رغم أنها كانت تؤمن بمشروعهم. رجوع هؤلاء المهاجرين منتصرين غيّر كثيرا مجريات الأمور، حيث بدد شكوك المتخلفين، فانضموا الى الجيوش، منهم من دخل طواعية ومنهم من أجبر على الانضمام بالقوة. ستصبح هذه الفئة الثانية هي **الأنصار:** "أنصار الله".

تمت السيطرة على سوريا بالكامل سنة 636م دون أية مقاومة من طرف هرقل الامبراطور البيزنطي، وأمام هذا الزحف فضل أن يتحصن وراء الأسوار التي كانت دائما تحمي الامبراطورية الرومانية من الغزوات.

تغيَّرت موازين القوى، وتقوت وضعية العرب واليهود الناصريين في سوريا، فاتجه المهاجرون والأنصار لغزو فلسطين، وحين اقتربوا من مدينة أورشليم حاصروها. لقد سلم هرقل تسيير أورشليم للمسيحيين، وبعد عدة معارك طاحنة وارتفاع عدد الضحايا، لم تستطع المدينة الاستمرار في المقاومة، سيما وأن معسكرات الجيوش العربية - اليهودية الناصرية كانت لاتزال متمركزة بين بيت لحم وأورشليم منذ 634م، وكانت تمنع المسيحيين من القيام بشعائرهم كما أشار الى ذلك البطريرك "سوفرون" في خطبة قداس عيد ميلاد المسيح. ولكيلا تتكرر مجزرة 614م تم فتح أبواب المدينة للجيوش التي كانت تحاصرها. تاريخ دخول العرب واليهود الناصريين الى المدينة غير مضبوط ويتأرجح ما بين 635-638م، ونعتقد أنه تم في سنة 637م.

ومن دون شك كان هذا الحدث في غاية الأهمية، عنوانه: **المهاجرون يستأثرون**

---

[78] يرى بعض المتخصصين أن محمد قد مات سنة 634م وأن عمر قد تلاه مباشرة. في حين ان أبو بكر كان فقط أحد كبار الجنرالات ولم يرقى الى مرتبة "خليفة محمد" (وأن الكتابات المتأخرة هي التي أضفت عليه صفة "الخليفة" خلال عملية إعادة كتابة التاريخ من طرف المسلمين) كان القصد من تحريف المعطيات التاريخية هو طمس ومحو ذكرى محاولات محمد لغزو "الأرض المقدسة" وأورشليم، ولتجنب التساؤلات المشروعة والمنطقية من قبيل : لماذا كانت جهود محمد متجهة بهذا الشكل نحو فلسطين والأرض المقدسة؟

بأورشليم. إنها بداية تحقيق المشروع المسياني، والوصول الى الهدف النهائي: إعادة بناء الهيكل وعودة المسيح...

لكن المسيح لم يأت !

مباشرة بعد دخولهم مدينة أورشليم، توجه المهاجرون نحو ساحة الهيكل، وكانت عبارة عن خراب نتيجة الحروب المتتالية بين البيزنطيين واليهود، وبقي هذا المكان طي النسيان منذ ذلك العهد[79]، محاولين تنزيل المشروع الذي من أجله خاضوا كل هذه الحروب. يقول أحد المعاصرين لتلك الأحداث: "حين دخل العرب الى مدينة أورشليم كان بينهم أشخاص من بني اسرائيل يدلّونهم عن مكان الهيكل"[80] وكانوا جد متحمسين لإعادة بناء الهيكل. هناك شاهد آخر من نفس الفترة اسمه تيودور وصف هذا المشهد كما يلي: "بمجرد وصولهم، سارعوا مهرولين الى المكان الذي يطلق عليه "الكابيتول" أو ساحة الهيكل، آخذين معهم بعض الأشخاص، منهم من تبعهم طواعية ومنهم من أجبر على المضي معهم، تم باشروا عملية تنظيف المكان لبناء ذلك الشيء اللعين الذي يسمونه "ميتزية" (مكان التعبد أي مسجد)"[81].

بقي رئيس الكنيسة آنذاك (سوفرون) مكتوف الأيدي أمام هذا الوضع، حين شرع هؤلاء المتطرفون في بناء الهيكل دون أن ينتظروا وصول "عمر" القائد العسكري، الذي بقي بالمدينة، ولم يأتي الى أورشليم الاّ في حدود سنة 638م. ومع ذلك فإن التاريخ الإسلامي يعزو هذا البناء الى عمر. ونقرأ في كتاب "أسرار الحاخام بن يحيى" ما يلي: "وظهر ثاني الملوك من نسل اسماعيل (ويعني بذلك عمر) لإصلاح حُطام الهيكل"[82]. لقد أعادوا بناء الهيكل طبقا للنموذج الأصلي القديم بالأحجار والرخام والخشب (يشير صوفرون أن هؤلاء قد وظفوا في عملية البناء أحد المتخصصين في حجارة الرخام، والذي تم طرده من الكنيسة على إثر مشاركته في ذلك) كما تم بناء مكعب كبير بنفس المقاييس التي كانت للمكان الذي كان يعتبر من "أقدس الأقداس" [الحَرَم] في قلب الهيكل، وحمل هذا المكان اسم "مسجد عمر"،

---

[79] باستثناء الفترة ما بين 614-629م التي كانت فيها أورشليم تحت حكم فارسي-يهودي، فإن هذه الساحة كانت تُستَعمل كمطرح للنفايات [وهي نفس المعطيات التي توردها الرواية الإسلامية حين تسرد دخول عمر إليها]

[80] هذه الاشارة مأخوذة من "رسالة أكاديمية أورشليم الى الجالية المصرية" (ترجمها الى الفرنسة الباحث والمؤرخ الفرنسي بريمار، انظر كتابه "أسس الإسلام")

[81] نفس المرجع السابق ل : بريمار

[82] هذا النص تورده باتريشيا كرون ومايكل كوك في كتابهما "الهاجريون" نقلا عن كتاب يهودي يعود تاريخه الى القرن الثامن الميلادي

cc BY ND NC

وهذا الاسم هو الذي حل محل الهيكل اليهودي الناصري فيما بعد. وما نراه اليوم ليس ذلك المكعب الذي بني ايام عمر ما بين سنتي 637- 638م، ولكنه البناء الذي سيشيده فيما بعد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على الصخرة التي تعلو جبل موريا. بالنسبة لليهود جميعا، هذه الصخرة هو المكان الذي حاول فيه ابراهيم نحر ابنه اسحاق قربانا لـ الله (ويطلقون عليه اسم المربط أو مكان "التقييد"). إنها قبة الصخرة التي نراها اليوم ذات شكل هندسي متعدد الزوايا وليس مكعبا.

نعود الآن الى الأحداث التاريخية التي تلت عملية بناء الهيكل: تماشيا مع معتقداتهم **رفع اليهود الناصريون الهيكل** وبدأوا في ممارسة عبادتهم وطقوسهم، كما أكثروا من الصلوات يتوسلون ويتضرعون أملا في عودة المسيح الى الأرض. ولكن مع مرور الوقت لم يحدث أي شيء: **المسيح لم يأت!** فحاول الرهبان اليهود الناصريون تهدئة الأجواء مع المحاربين العرب وقواتهم العسكرية الذين كانوا هم الآخرون ينتظرون أن تتحقق نبوءة حلفائهم اليهود بخصوص عودة المسيح وإقامة مملكة الله على الأرض. لكن لم يتحقق أي شيء من كل هذا، فتيقنوا أنها فقط خدعة أحبكت لهم. في سنة 640م أدرك العرب أن المسيح لن يعود، وليس هناك مملكة للأصفياء أو الأخيار، وأن هذه القصة برمتها ما هي الا مصيدة، وأنهم ضحايا مكيدة أحبكت لهم نسجها اليهود منذ ما يزيد عن 40 سنة كانت كلها تضحيات وهجرة وقتال وحروب، وأن كل هذه المجهودات كانت من أجل وعود كاذبة. إنها بداية الأزمة داخل الأمة: "فالموت والهلاك لليهود الناصريين، الذين أدخلونا في هذا الفخ. ليس لديهم ما يقدمونه للعرب الذين حاربوا من أجل مملكة الله، ليس لديهم مسيح يعود من أجلهم، ولا شيء يقدمونه لهم مقابل كل هذه التضحيات". وكنتيجة حتمية لهذه الوضعية فإن كل الانجازات والانتصارات فهي للعرب وحدهم.

كانت الامبراطورية البيزنطية آنذاك قد ضعفت بشكل كبير، وفي سنة 640م تمكن عمر من السيطرة على الشرق الأوسط بكامله. وتمكن العرب من تقزيم الامبراطورية في شمال افريقيا وأصبحت حدودها تنحصر فقط في تركيا الحالية. وبهذا الانجاز سيضرب عمر عصفورين بحجر واحد حيث سيستحوذ على مجموع مكتسبات الحروب وفي نفس الوقت يصبح القائد العسكري والديني للأمة. في هذه الظروف بالذات بدأت تظهر الارهاصات الأولى للإسلام، ولكنها لم تأخذ صورتها الكاملة كعقيدة مكتملة إلا بعد 100 سنة من ذلك. كما أنها لم تفرض نفسها كدين إلا بعدما تمت بلورتها في نسق متكامل، الشيء الذي تطلب قرنين من الزمن.

cc BY ND NC

III

زمن الخلفاء الأولين
كيف يمكن تبرير هذه السلطة التي حصل عليها العرب؟

تاريخ الخلفاء الأولين تاريخ يصعب تفكيكه وترتيبه وفهمه بشكل واضح، وذلك لسبب بسيط وهو أن معظم الوثائق المتعلقة بتلك الفترة تم إتلافها عن قصد. لقد تم تدمير معظم الوثائق إن لم نقل كل الوثائق الإسلامية التي تؤرخ لفترة محمد الى حدود القرن 9م. الغاية من عملية الاتلاف المقصود هو إعادة كتابة التاريخ في فترات متأخرة للوقائع وتدوين أسطورة مثالية للأحداث، وتقديمها كعصر ذهبي للزمن الأول للإسلام. وهذا ما يفسر ارتباك الرواية الإسلامية لتسلسل الأحداث. هذه الكتابة المتأخرة للتاريخ جعلت أبو بكر هو أول خليفة للدولة الإسلامية والذي لم يعمر في فترة حكمه إلا سنتين، يليه عمر من سنة 634م لينتهي في سنة 644م، يليه بعد ذلك عثمان الى غاية 656م، يأتي بعده علي ابن أبي طالب. التاريخ الإسلامي الرسمي يقدم لنا، بشكل متأخر، تسلسل هؤلاء الحكام الأربعة ويصفهم "بالخلفاء الراشدين". ولا يزال المسلمون السُّنة يعتبرونهم الخلفاء (لمحمد) الذين طبقوا التعاليم الإلهية التي أتى بها الاسلام بشكل مثالي.

ستعرف فترة علي حربا أهلية سيتمكن من خلالها معاوية من الاستيلاء على الحكم الى حدود 680م. تم تلتها حربا أهلية ثانية سيضع عبد الملك بن مروان حدا لها، وستدوم فترة حكمه 20 سنة (سنة 705م). ستلعب مرحلة عبد الملك دورا محوريا في تطوير ديانة المجموعة اليهودية الناصرية بعد انسحابهم من المشهد السياسي، وسيتشكل الدين الإسلامي تدريجيا طوال قرنين من الزمن.

CC BY ND NC

عمر (634- 644) وعثمان (644-656م)
طمس معالم وآثار المجموعة اليهودية الناصرية

عدم مجيء المسيح، واستحالة عودته وتأزم الوضع السياسي والاجتماعي الذي نجم عنه، دفع عمر الى التخلص من حلفائه الأولين حيث تمت تصفية زعماء اليهود الناصريين وطرد أسرهم[83]، وما تبقى من أفراد هذه المجموعة في سوريا تم احتقارهم بشكل مهين جدا[84]. فتحولت الأمة المخضرمة العربية اليهودية الى أمة عربية خالصة. انقلب العرب على حلفاء الأمس وحلُّوا محلهم ليرثوا لقب "الشعب المختار"، بعد أن أصبحوا الأسياد الجدد للشرق الأوسط بكامله. لكن هذه الوضعية الجديدة خلقت إشكاليات جديدة من بينها كيف يمكن تبرير هذه السلطة الجديدة في ظل الوعود المسيانية التي تنطوي عليها. لقد أصبح من الضروري تبرير تهميش حلفاء الأمس: اليهود الناصريين، وابعادهم من المشهد السياسي بصفة نهائية. ولكن كيف يمكن إزالة ومحو آثارهم، ومعالم علاقاتهم بالخلفاء الأولين من الذاكرة؟ وكيف يمكن تملك المشروع المسياني الأولي والاستحواذ عليه لصالح الأمراء العرب الجدد؟ كل هذه التساؤلات لها ارتباط وثيق بتبرير التسيير السياسي والعقائدي اعتمادا على الدين الابراهيمي. لقد عرفت مرحلة عمر وعثمان محاولات حثيثة ومتعثرة لتبرير كل ذلك في فترة زمنية جد مضطربة، كانت فيها الفوضى هي سيدة الموقف. الرواة غير المسلمين، وعلماء الحفريات ثم المؤرخون المحايدون[85] لاحظوا أن "المسلمين" بدأوا في البحث عن قبلة جديدة لأماكن عباداتهم ابتداء من سنة 640م، عن وجهة جديدة يتوجهون اليها أثناء أداء صلواتهم، قبلة جديدة غير أورشليم ولا

---

[83] الرواية الإسلامية الرسمية تورد عمليات قتل وذبح وطرد القبائل اليهودية من المدينة. التاريخ الرسمي حذف كل ما يشير الى هذه المجموعة، وسنعرف لماذا فيما بعد. اللعنة والادانة التي أصابت هذه المجموعة سيتم تعميمها على اليهود برمتهم بما في ذلك اليهود الحاخاميين، حيث سيتم طرد اليهود من مدينة أورشليم، لكي لا يعودوا اليها فيما بعد.

[84] سينصهر حفدة اليهود الناصريين مع السلمين شيئا فشيئا ابتداء من القرن 8 و 9م. وتظهر الأبحاث التي قام بها جوزيف عزي في كتابه "النصيريين العلويين: تاريخ، عقيدة وعادات" أن هاتين الطائفتين يكونان الطائفة العلوية الحاكمة في سوريا. كما أن الحقد الذي يكنه لهم المسلمون السُّنة نجد فيه التبرير التاريخي لما سبق.

[85] ندكر على وجه الخصوص طالي ايركسون،سير كيبل أركبالدكامر ونكريسويل، تم باترسيا كرون ومايكل كوك.

مكة. ويظهر ذلك من خلال المساجد القديمة كمسجد الحجاج في البسيط قرب مدينة البصرة، ومسجد عمر بن العاص في الفسطاط (القاهرة). في حين أن المساجد الأولى (كمسجد المدينة) كانت توجه محرابها نحو مدينة أورشليم. كما أن هناك مساجد قديمة كانت قبلتها تتجه نحو سوريا حيث يوجد مكان مقدس لإبراهيم، كان على شكل مكعب بناه اليهود الناصريون بصفة مؤقتة (كان يعوض مكعب الهيكل الأصلي) في بداية القرن الأول الميلادي، كان عرب قريش الذين اعتنقوا عقيدتهم[86] يتوجون اليه في صلواتهم. لذلك كان عمر ومستشاروه (ثم عثمان فيما بعد) يعملون على طمس ومحو مفهوم "**مكعب أورشليم**" الذي كان يشكل جوهر العقيدة اليهودية الناصرية وسبب وجودهم، وكذلك محو أسماء أولئك الذين ساهموا في بنائه. كانت البداية هي محاولة تجاوز فشل المشروع اليهودي الناصري وتقديم بديل له، لأنه لا جدوى في ممارسة العقيدة الابراهيمية والدعوة اليها بالشكل القديم الموروث عن الطائفة الناصرية.

للاستئثار بهذا الدين وتملك المشروع الذي ينبني عليه، سيقوم عمر ثم من بعده عثمان[87]،بتقديم العرب باعتبارهم الممثلون الحقيقيون للدين الابراهيمي عبر سلالة اسماعيل، فهي السلالة التي فضلها الله على سلالة اسحاق. هذا هو الطابع الرسمي الذي سيأخذه الإسلام فيما بعد، وهو ما تنبه اليه الباحثون في الإسلاميات دون أن يحيطوا بجميع ملابساته.

هذا المنعطف الكبير، كان يتطلب ضرورة **ضبط ومراقبة جميع النصوص** التي خلفها اليهود الناصريون وراءهم، تلك النصوص التي تم بلورتها للدعاية "للدين الابراهيمي". ستحاول السلطات استعادة جميع الوثائق وجمعها بكل الوسائل. كان يجب ضبط هذه النصوص لأنها مفتاح لفهم ديانة وذاكرة المجموعة اليهودية الناصرية. كان العرب خلال غزواتهم قد تعرفوا على ديانات أخرى كالمسيحية واليهودية، وهي ديانات لها كتب مقدسة ذات نسق لاهوتي منظم ومُهَيكل بشكل كبير، وكانت توجه إلى الدين الجديد الكثير من الأسئلة والانتقادات المقلقة[88]. لقد أصبح من الضروري جمع كل النصوص والوثائق سواء تعلق الأمر بكتب العبادات أو مذكرات

---

[86]كثيرة هي الكتب الإسلامية التي تشير الى "مسجد ابراهيم" وهو مسجد كان في قمة إحدى التلال التي تسمى "أبو قبيس" في سوريا بالقرب من حماة/حمص. سنرى فيما بعد الظروف التي جعلت أحد الجبال القريبة من مكة يحمل نفس الاسم: "أبو قبيس".

[87]في ظل الظروف الغامضة التي عرفتها هذه الفترة يصعب الفصل بشكل واضح عن دور كل من هذين الرجلين.

[88] على سبيل المثال الجدال المثير الذي دار في سنة 644م بين البطريرك اليعقوبي في سوريا يوحنا الأول والأمير سعد ابن عمر حاكم حمص، سنورده بالتفصيل في الهامش رقم 114

الوعاظ، أو بتلك الصحف التي تشرح وتفسر طرق التعبد وشعائر التدين (كتيبات العبادة، شروحات التوراة وانجيلهم المترجمة باللغة العربية) وكذلك صحف المهاجرين أو النصوص التي بقيت في سوريا قبل الهجرة. وبدأت عملية اختيار النصوص التي يمكن اعتمادها لتعزيز **الهوية الجديدة للعرب** باعتبارهم أبناء ابراهيم من اسماعيل، والسلالة التي اختارها الله لتحقيق مشروعه الالهي. في نفس الوقت يجب اتلاف كل النصوص التي يمكن أن تشوش على التوجه الجديد للسلطة. على سبيل المثال تم تدمير كل شيء يشير الى التحالف الأولي والى الأمة العربية اليهودية الأولى. وبهذه الطريقة بدأت تتكون شيئا فشيئا المصاحف الأولى التي ستعطي فيما بعد كتاب "القرآن". كل القلاقل والاضطرابات والصراعات السياسية حول السلطة من طرف الحكام الجدد للشرق الأوسط التي عرفتها الأمة الناشئة خلال هذه الفترة كان لها ارتباط وثيق بأسس الديانة الجديدة.

قام عمر، ومن بعده عثمان بشكل كبير، باستغلال الدين لتبرير استمرار هيمنة الغزو العربي وكذلك لتبرير الشرعية السياسية للعرب. ولكن كيف يمكن تبرير الوضعية الجديدة لحلفاء الأمس اليهود الناصريين، وتحولهم من حلفاء بالأمس الى جماعة منبوذة، الى مارقين وخاضعين؟ لقد اعتمد الخلفاء على أسلوب التحوير والتأويل للنصوص الأولى في محاولة منهم لإقبار آثار التحالف الماضي بين المجموعتين. في البداية لجأ العرب الى طريقة سهلة (من حيث الشكل) وهي ببساطة **محو اسم المجموعة بذاتها وإلصاق كلمة نصارى للمسيحيين والاشارة إليهم في النصوص بهذا النعت، ودمجهما في تسمية واحدة وتشويه سمعتيهما معا.** من الممكن أن تكون المحاولة الأولى قد أخذت طابعا انذاريا للعرب في التعامل مع اليهود الناصريين كما هو الأمر في الآية 51 من سورة المائدة: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء"، حيث يمكن اعتبار كلمة "نصارى" قد أضيفت لاحقا في النص، وذلك للحد من بقايا التأثير الذي لا زال لهذه الطائفة على العرب في تلك الفترة. هناك إضافات كثيرة من هذا النوع تم القيام بها لنفس الغرض[89]. ويبقى المجال مفتوحا للدراسات المستقبلية لكي تلقي المزيد من الضوء على مسلسل التحوير والتزوير والاضافات للنصوص والمصاحف الأولى.

عمل الخلفاء الأولون على إنتاج مجموعة جديدة من الصحف تتماشى مع طبيعة السلطة وتوجهاتها الجديدة. كما تم ابتكار تقنية جديدة ستؤدي الى تكوين الديانة

[89] عمليات التزوير لم تقتصر على النصوص بل طالت كذلك الأماكن المقدسة كما سنرى ذلك فيما بعد.

الإسلامية بالتدريج وذلك عن طريق **الاستنتاج أو الاستدلال العكسي** حيث أن النتيجة هي التي تحدد طريقة الاستنباط والاستنتاج. النتيجة تكون معروفة سلفا، وتصبح هي الأساس الذي تقوم عليه عمليات التزوير والتحريف للأسس التاريخية والدينية. كيف يمكن للغزاة تبرير هيمنتهم وفتوحاتهم (هيمنة بدون اليهود الناصريين)؟ وعلى هذا النحو بدأت عملية تحريف المبادئ المؤسسة للدين وللنصوص والأماكن المقدسة[90]، لكي تتلاءم مع النتائج المقدمة بصفة قبلية. لكن هذه العملية لم تكن بالسهولة التي كان يعتقدها الحكام العرب، لأنه ليس من السهل المساس بأجزاء معينة من نسق نظري ورؤية محكمة كعقيدة اليهود الناصريين دون أن تتخلخل بنية النسق العام بكامله. وبالفعل لقد خلقت عمليات التحريف عدة مشاكل على المستوى العقدي للحكام العرب (كما سنرى فيما بعد)، وإنْ كانت الاكراهات في البداية تبدو فقط ذات طابع تقني وسياسي وبعيدة عن الشأن الديني. إن عمليات التحريف (الاضافات والنقصان...) تتطلب معرفة جيدة للبنية الفكرية والروحية، وكذلك العناصر المادية المؤسسة للدين، وهذه المهمة في غاية الصعوبة والتعقيد كما سنرى فيما بعد. فمن الناحية التقنية لا يكفي مثلا **إخفاء معنى "هيكل أورشليم"**، ولكن يجب تجميع كل النصوص التي لها علاقة بذلك تم تدمير ما لا يتوافق مع الرؤية الرسمية، وهي نصوص متفرقة مشتتة، ومنتشرة لدى أفراد الأمة، كما تشير الى ذلك المصادر الإسلامية نفسها. كما ان التوسع العسكري للدولة الاسلامية زاد من تعقيد هذه العملية بشكل غير متوقع، خاصة بعد غزو مصر (مفخرة بيزنطة) في سنتي 640 – 642م، ثم هزيمة الفرس سنة 641م. كما ان التخلص من اليهود الناصريين الحلفاء الأولون وتنحيتهم جسديا ليس أمرا هينا ولا مقبولا. كل هذه المعطيات الجديدة، المتشابكة والمعقدة، بدأت تهدد الوحدة الأيديولوجية للدولة، حيث أشعلت نار الخلافات السياسية، وبدأت في تقويض التراتبية داخل هياكل الدولة، وأصبحت وحدة الأمة أكثر هشاشة على ما كانت عليه قبل غزو فلسطين. ومن الطبيعي جدا أن يبدأ تمرد الجنرالات والأمراء بحيث بدأوا في معاكسة السلطة العربية المركزية، خاصة وأن قوتهم العسكرية ازدادت مع الفتوحات والانتصارات المتتالية التي حققوها في امصار بعيدة.

من أين سيأتي العرب بما يبرر فتوحاتهم وسلطتهم بعد تهميش اليهود الناصريين وأيديولوجيتهم؟ طمس معالم هذه الطائفة والتخلي عن فكرة الهيكل، تجميع النصوص وإضافة أخرى، ثم إعادة كتابة هذه النصوص من جديد لمحو كل ما تبقى من آثار

[90] يعتبر الأستاذ أنطوان موسالي من بين أهم الباحثين الذين أماطوا اللثام عن هذه الإضافات (انظر لائحة المراجع).

هذه الطائفة هو في العمق تحريف للعناصر المؤسسة للدين الابراهيمي. لقد حاولت الدعاية الرسمية تجاوز هذه الصعوبات النظرية عبر عدة عقود. كان ذلك بمثابة تدنيس الفكرة الجوهرية التي كانت تدعو الى "تحرير أورشليم". إنها إهانة للذاكرة الجمعية التي جمعتهم بالماضي وربما كان مساسا بالإرادة الالهية التي كانت تبشر بها الديانة الابراهيمية. ومن الطبيعي جدا أن تخلّف هذه العملية ردود فعل معارضة وأخرى مقاومة، واستنكار لدى العموم. وهذا ما يفسر عدم تقبل سلطة عمر حيث نعتوه بالمنافق والخائن للعهد... كل هذه العناصر كانت سببا في إشعال نيران الفتن المتعددة والمتكررة، والحروب الأهلية الطاحنة التي فتكت بالأمة لعدة قرون، ولا زالت تتكرر الى يومنا هذا. اغتيال عمر سنة 644م لم يكن حدثا عرضيا أو غريبا في ضل هذه الأوضاع، لقد قُتل في أقل من أربع سنوات فقط بعد دخولهم مدينة أورشليم.

عثمان بن عفان: قائد عسكري من المجموعة القرشية التي هاجرت الى يثرب، كان من كبار الفاتحين، فرض نفسه كحاكم للمدينة، على حساب علي. لكن على الرغم من الاعتراض عليه، وعلى الرغم من الحرب الأهلية آنذاك، نتيجة عمليات التزوير المستمرة، تمكَّن عثمان من السيطرة على الأمور لكي يصبح القائد والخليفة من الناحية الدينية والسياسية على حد سواء. واستمر في عملية طمس معالم المجموعة اليهودية الناصرية خلال فتوحاته حيث أخرجهم من سوريا، ليتمكن من إحكام سيطرته السياسية والأيديولوجية على الأمة. لم يكن أمام عثمان خيارا آخرا غير هذا. بالإضافة الى ظروف الفتنة، فإن دعوته للدين الابراهيمي بالثوب الجديد كانت تجد اعتراضات من طرف اليهود والمسيحيين الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة للإمبراطورية الجديدة، وكانوا على وعْي بعمليات التحريف التي يقوم بها العرب لتبرير غزواتهم وسيطرتهم على العالم. اليهود والمسيحيون لهم كتب دينية مقدسة مهيكلة، تؤسس لعقيدتهم، الشيء الذي لا يتوفر عليه عثمان. من هنا جاءت الحاجة الملحة لكتاب عربي "مقدس" يبرر به سلطته ومزاعم الانتماء الى الدين الابراهيمي، والاعتماد عليه في مسلسل السيطرة على العالم باسم هذا الدين. أصبح عثمان ملزما لإيجاد أفكارا جديدة "منطقية" يمكن بواسطتها تبرير تنحية الطائفة اليهودية الناصرية صاحبة الفكرة الأصلية، وتمكّنه من قيادة "خير أمة" أُخرجت للناس للسيطرة على العالم وقيادته نحو الخلاص. كانت أهم محطة في مسلسل عودة المسيح

وخلاص العالم هي تحرير مدينة أورشليم، ثم بناء الهيكل وإقامة العبادات وتقديم القرابين ليستجيب المسيح ويعود الى الأرض. إلاّ انه على الرغم من كل هذه العمليات فإن المسيح لم يعد، وفشلت العملية برمتها. لكن المشروع الالهي الكامل الذي يسعى الى الفتوحات والسيطرة على العالم وخلاصه لايزال قائما، وهذا هو ما يبرر الاستمرار في المشروع، والعرب لهم كامل الشرعية للاستمرار فيه وتحقيقه بالكامل. الطريقتين متكاملتين، وتخدم المصلحة السياسية والدينية لعثمان. فاللجنة التي كونها من الكَتبة والمدونين كانت تقوم بتعديل النصوص الدينية وتحويرها، وفي نفس الوقت كانت تعمل على خلق تناغم وتناسق بين هذه النصوص وسلطته السياسية، باعتبارها تخدم الارادة الالهية في نهاية المطاف. هذا هو **العمل الأساسي الذي قام به عثمان: إعادة بناء نص ديني "جديد" انطلاقا من عملية تدمير وحرق بقايا النصوص القديمة**. يجب إعادة بناء الدين الابراهيمي الحق وإبراز المعنى الصحيح للإرادة الالهية، وهو ما تطلب الرجوع الى الأصول المؤسسة لهذا الدين. ومن أساسياته، طبعا، عودة المسيح في آخر الزمان، ولا أحد ينكر ذلك: إنه الخلاص النهائي. وعدم عودته في هذا الزمان فهو راجع لسبب بسيط هو أن الطائفة اليهودية الناصرية قد أخطأت الميعاد (فخدعوا بذلك العرب، الذين انتقموا منهم شر انتقام) فخطتهم لم تكن جيدة ولا مناسبة، ولذلك يجب تغييرها واستبدالها بخطة أخرى أفضل منها. فالشعب المختار يجب أن يستعيد مدينة أورشليم، وإقامة الدين الحق في انتظار عودة المسيح لقيادة هذه الجيوش للقضاء على الشر في العالم. ولكن في ضل هذه الظروف فإن استعادة أورشليم تبدو غير كافية لعودته، وبالتالي فإن أصفياء الله سيقومون بالسيطرة على العالم بأسره وتخليصه من الشر باسم الله، ونشر الدين الابراهيمي الصحيح. إن السيطرة على العالم بأكمله هي اللحظة التي تتوفر فيها جميع الشروط لعودة المسيح وستكون في "آخر الزمان". وطبعا العرب أبناء ابراهيم من سلالة اسماعيل هم الأصفياء الذين اختارهم الله "وفضلهم على العالمين" للقيام بهذه المهمة. هذه هي الخطة التي حبكها العرب انطلاقا من بقايا أيدولوجية المجموعة اليهودية الناصرية لتبرير الغزوات و "الفتوحات" ومشروع السيطرة على العالم. والدليل على ذلك هو لقب الخليفة الذي حمله عثمان (المؤرخون ليسوا على يقين بأن عمر قد حمل هذا اللقب من قبل). هذا اللقب يتماشى مع أسس الدين العربي الابراهيمي الجديد: القائد

العربي سيحمل لقب "خليفة الله في الأرض"[91]. هذا اللقب من أدبيات فكر الطائفة اليهودية الناصرية، كانت تعطيه للمسيح استعدادا لعودته الى الأرض. تمكّن القائد العربي من الاستيلاء على هذا اللقب وتحريف معناه الأصلي لكي يأخذ في نهاية المطاف مكان المسيح وكذلك وظيفته التي أصبحت شاغرة. أصبح الخليفة العربي- **المسلم يرى أن واجبه الأسمى هو تحرير الأرض من الشر ومن الأشرار**. بهذه العناصر أسس عثمان كل مقتضيات الحكم المطلق وعمل على تطبيقها. فجمع السلطة السياسية والعسكرية والدينية في آن واحد، فكانت له الصلاحية المطلقة للسيطرة على جميع الرعايا، خاصة الحق في جمع وانتقاء واختيار الصحف التي تؤسس الدين (وإحراق كل ما من شأنه أن يشوش عليه أو يتناقض مع الطرح الذي يريده الخليفة). اعتمد عثمان في عملية التأسيس على التحريف، ووظّف في ذلك الشخصيات البارزة من بين صفوف المهاجرين، وعلى رأسهم "زيد" (كما تشير الى ذلك الرواية الإسلامية). لكن على الرغم من ذلك فإن المعارضة الداخلية لم تهدأ، والنزاعات السياسية بين الفرق الموالية له و"المنافقون" لم تخمد، وبدأت حروب الردة تتسع مع اتساع رقعة الفتوحات والغزوات منذ فترة حكم عمر.

طاحونة الغزو والتوسع العربي لم تستثني أحدا، لقد تمكنت من سحق الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية اللتين أنهكتهما الحروب المتتالية. فبعد اغتيال عمر استمر عثمان في نفس الخطة التوسعية التي بدأها سلفه. هذه الخطة كانت تعتمد بالأساس على **"اللّامركز"** في الفتوحات، حيث كان الأمراء يقومون بالعمليات العسكرية التوسعية في استقلال تام عن السلطة المركزية للدولة. وكان الخليفة لا يسند الأمصار المفتوحة إلا للقريشيين وبصفة حصرية (باعتبارهم أكثر إخلاصا). كان عثمان يقوم ببناء الأمصار في كل بلدة يتم غزوها، وهي ثكنات عسكرية لحماية الجيوش العربية وأسرهم وخدَمِهم. وكانت هذه الثكنات تلعب دورا آخر حيث كانت تحميهم من الناحية الأيديولوجية وكذلك من الناحية الاثنية[92]، لأنها كانت تعزلهم عن الثقافات والشعوب التي تم غزوها والسيطرة عليها. وبنفس هذه العملية، وبنفس الخطوات العسكرية تم

[91] ينطوي لقب "خليفة الله في الأرض" (مع ابتكار فكرة النبوءة في القرن السابع الميلادي) على فكرة بسيطة مفادها أن الشخص الذي يلي النبي سيكمل العمل الذي بدأه، وهذا يتماشى مع النمط الجديد الذي يحرف الماضي لتبرير الأوضاع الراهنة. القرآن يشير الى فكرة "خليفة الله" في سورة "ص" آية 26: "يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض" [إلا أن داوود في العهد القديم ليس سوى ملكا من الملوك، في حين أن الإسلام يعطيه صفة نبي و رسول]

[92] تماما كما كان يفعله اليهود للحفاظ على نقاء العرق اليهودي [المترجم].

تشييد مدينتي البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر. وعلى ما يبدو فإن مكة هي الأخرى تم بناؤها بنفس الخطة ولنفس الغرض.
أسّس عثمان نظاما اقتصاديا قائما على السبي والنهب لتمويل الأمصار وجيوشها، فعمل على تقنين اقتسام الغنائم والأراضي والثروات والعبيد بناء على نظام الشرف والأسياد، ثم فرض ضريبة الجزية على الشعوب التي تم غزوها.
لم تكن الغاية في تلك الظروف هي هداية الناس ودعوتهم الى اعتناق دين معين، خصوصا وأن ما يطلق عليه "اسلام" لم يكن قد تشكل بعد بصفة كاملة، ولم تتبناه الدولة بصفة رسمية. كان الدين آنذاك مرتبطا بالانتماء العرقي وبمنطق الغزوات. فالمحارب العربي هو عضو من شعب الله المختار، وهو خلال الغزوات التي كان يشارك فيها كان فقط مُهَيَّجا ببعض القناعات والأفكار من الدين الابراهيمي التي تمت "تنقيتها" من بقايا اليهودية. كان الأمر مرتبط بالأساس باعتقاد مسياني لتحقيق غاية إلهية. كان المحارب-المؤمن على يقين بأن الله قد اختاره لتحقيق الإرادة الهية في الأرض وتحريرها من الشر ومن الأشرار. كانت دولة الخلافة تحتاج الى إيمان المحارب، لأن هذا العامل النفسي – العقدي هو الذي يحمس الجيوش ويقوي قدراتهم المعنوية والنفسية في القتال، كما أنه يؤجج العزائم لجمع الغنائم والثروات والسبايا: **إنه السعي في سبيل الله**، أي الايمان الذي يجمع الديني والدنيوي، المادي والمعنوي في نفس الوقت ولنفس الهدف. كان الايمان والدين في تلك الفترة محصورا في الشعب المختار، في حين كانت الشعوب المغلوبة تتمتع بحرية دينية جد نسبية، مادامت تؤدي الجزية[93].
ولتجنب الانتقادات الفكرية، خاصة من طرف اليهود والمسيحيين، كان **ممنوعا منعا كليا، في جميع أطراف الدولة، على هؤلاء الاطلاع على الصحف التي تم تجميعها ولا على النصوص التي تم اعتمادها من طرف الدين الجديد**. فالنصوص التي تشير إليها الرواية الإسلامية (النسخ الأربعة لمصحف عثمان التي أرسلها الى الجهات الأربعة للإمبراطورية، باعتبارها النسخة الرسمية المعتمدة من طرف الخلافة) لم تكن تعرف انتشارا يذكر، كما أن الاطلاع عليها كان في غاية الصعوبة (نظرا لضخامة حجمها) وكانت تحت الحراسة المشددة، ولذلك فهي لم تكن معروفة لدى

[93] كَتَبَ القس السوري يوحنا بار بنكاي آنذاك أن العرب في نهاية القرن السابع الميلادي كان لا يشغل بالهم سوى جمع الضرائب، ولا يهتمون بديانة الشعوب التي سيطروا عليها: "كانوا لا يميزون بين المسيحيين واليهود، ولا بين المؤمنين والوثنيين".

cc BY ND NC

الجميع إن لم نقل أن معرفتها كانت شبه منعدمة[94]. **كان دين العرب، خاصة لدى الجنود، ينحصر في الاندفاع من اجل الغنائم والسبايا**، وهذا ما كان يحمسهم لتحقيق الانتصارات. والهدف المسياني الذي يؤسس للهيمنة العربية يبرر كل ذلك. لم تكن الغاية آنذاك هي نشر عقيدة معينة مهيكلة ومنظمة. كان يكفي الاعتقاد بوجود نصوص دينية مقدسة في أماكن محروسة لتضمن الاندفاع القوي نحو الهدف الأسمى.

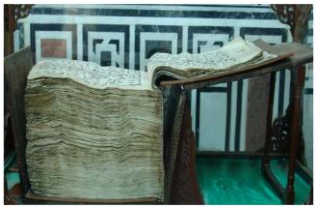

صور لنسختين قديمتين للقرآن على اليمين في مسجد طشقند، الصورة على اليسار لمصحف عثمان بمسجد الحسين[95] .

بهذه العناصر الفكرية والأيديولوجية تكونت الآلة الحربية للعرب والتي لم تصمد أماها أية قوة، حيث تم إخضاع مصر وشمال إفريقيا وبلاد فارس وما وراءها. من الذي يمكن أن يقاوم قوة عسكرية من هذا الحجم وتعتمد على حركية متميزة وقساوة في القتال؟ ثم لماذا المقاومة مادامت هذه القوة كانت في البداية تترك لشعوب البلدان المَغْزُوَّة حرية العقيدة؟ (ومع ذلك فإن هذا لم يمنعهم من ارتكاب مجازر بشعة كما حدث في حق الأقباط في مصر). لقد فضلت أكثرية البلدان الاستسلام بدون مقاومة،

---

[94] حسب إنياشيو أولغي في كتابه "العرب لم يغزوا اسبانيا" فإن العرب حين غزوا اسبانيا في القرن السابع الميلادي قد دخلوا بدون قرآن وبدون نصوص دينية

Ignacio Olagüe (Les Arabes n’ont jamais envahi l’Espagne, Flammarion 1969) citant Euloge de Cordoue (857) et Jean de Séville (858)

[95] يعتقد المسلمون أن هاتين النسختين أصليتين للقرآن الذي أرسله عثمان الى بقاع الامبراطورية الإسلامية، ويعتقدون كذلك أنها من أقدم النسخ الكاملة التي نتوفر عليها. على اليمين نسخ تعود الى القرن 8م وهي محفوظة في مسجد طشقند بأوزبكستان (وهي نسخ غير كاملة ولا تحتوي إلا على ثلث القرآن) وليس عليها إجماع من طرف المسلمين. فمنهم من يعتبر أنها لعثمان، ومنهم من يردها لعلي. كما أنها تطرح مشكلة تتعلق بتاريخيتها، (بعض المتخصصين في المخطوطات يؤرخ لها في نهاية القرن الثامن الميلادي). والصورة على اليسار هي لمصحف يعود تاريخه الى القرنين 8 و 9م، يوجد في مسجد الحسين بالقاهرة في مصر، وهو ذو حجم كبير جدا. وللإشارة فإن قناة آرتي الفرنسية قد قدمت وثائقيا حول هذا المصحف يمكن مشاهدته عبر الأنترنيت عبر هذا الرابط

(©Arte – 13Productions - Bruno Ulmer

خاصة في شمال إفريقيا التي كانت شعوبها لا ترغب في التواجد الروماني ببلادها. وهكذا اتسعت رقعة الامبراطورية العربية وأصبحت قوة عسكرية عظمى، لكنها لم تتجاوز ما وراء البحار. امتنع البحر على العرب لأنه كان من اختصاص بيزنطة، ففي سنة 654م نظَّم معاوية حاكم سوريا آنذاك، حملة بحرية ضد بيزنطة، لكن هذه الأخيرة دمرت بالكامل كل السفن الحربية العربية، وانتهت هذه الحملة باتفاقية هدنة. والحقيقة أن بيزنطة لم تدرك حينها الخطر الذي كانت تمثله الحملات العسكرية العربية وبالخصوص المشروع السياسي الديني التوسعي الذي كان يحرك العرب.
كانت هذه الهدنة مناسبة مهمة بالنسبة للدولة الإسلامية للتصدي لتدهور الأوضاع الداخلية، خاصة وأن عملية طمس ومحو آثار الطائفة اليهودية الناصرية وتحريف مقومات دين الأمة الأولى لم تمر بسلام. لقد عرفت فترة حكم عثمان الكثير من الانتفاضات والفتن، كما أن التوسع الجغرافي للدولة قد خلق طبقة أرستقراطية عمقت حدة الخلافات وعقدت بشكل أكبر عمليات الوحدة الأيديولوجية التي كان يسعى اليها. عمليات الحرق والتدمير التي طالت النصوص الأصلية لهذه الطائفة (التوراة والانجيل المكتوبين باللغة السريانية والعبرية) وكذلك النصوص العربية التي اعتمدت في الدعاية الأولى، كلها محاولات لم تكن كافية، لا لخلق نصوص دينية متكاملة ولا في تكوين "أمة" منسجمة. إن الفجوات والاختلالات السردية تطفو على السطح بمجرد ما نبدأ في عملية إعادة كتابة التاريخ بصفة بعْدية وبهدف آخر غير التوثيق التاريخي، كما أن كل تغيير في مجريات الأحداث والأشخاص كان يستدعي تغييرات موازية لكي تكتمل الرواية، وهكذا إلى ما لانهاية.
إزاحة المكون اليهودي الناصري من الأمة الأصلية الأولى، كان يستدعي تقوية العنصر العربي للأمة الجديدة التي ستعوضها. والتخلي عن فكرة مكعب الهيكل لأورشليم يتطلب حذف وتحريف كل إشارة له في النصوص الأصلية الأولى. وعلى الرغم من الاعتماد على خيرة الكتبة في عملية إعادة كتابة النصوص الدينية وتمحيصها، وترتيبها، وإدخال تعديلات عليها، فإن المهمة كانت ضخمة جدا، وكانت تمثل تحديا كبيرا. فالبنية الداخلية للنص الأصلي كانت جد قوية ومتماسكة تجعل عمليات التحريف مستعصية، فتغيير الكلمات أو تحميلها لمعاني أخرى لم تكن عملية سهلة ولا مستساغة. ومن جهة ثانية فإن النصوص الأصلية لاتزال موجودة ومتداولة بشكل متفرق داخل الأمة، بالإضافة الى تواجدها محفوظة بشكل شفوي لا تستطيع أن تلحقه عمليات التحريف أو التدمير. طبعا حين يتم الاعتماد على القوة في الحكم

وتسيير شؤون الدولة، يمكن تدمير هذه الوثائق عدة مرات وإرسال أخرى لتعويضها، لكن مع ذلك فالأمور لا تمر بدون اعتراضات أو استنكار المعنيين بالأمر، الشيء الذي كان يؤدي الى تفاقم الوضع وإشعال فتيل الحروب الأهلية بين المهاجرين. كان مقتل عثمان سنة 656م بالمدينة بداية هذه الحروب التي تسميها الرواية الإسلامية بالفتنة الأولى. الاغتيال السياسي لعثمان كان نتيجة حتمية ومنطقية لهذه الأوضاع.

علي بن ابي طالب (656 – 661م)
الحرب الأهلية الأولى

علي بن ابي طالب هو أحد المهاجرين القريشيين الأوائل. تقلد السلطة بعد مقتل عثمان وحاول أن يفرض نفسه كخليفة منذ سنة 656م. في المراحل اللاحقة لفترة حكمه أضفى التقليد الإسلامي على شخصية علي هالة من الصفاء والخلق الحسن والاخلاص للدين. ويمكن تصور إخلاصه للدين الابراهيمي كما كان في البداية مع الطائفة اليهودية الناصرية التي انصهر معها لمدة طويلة. تضاف الى ذلك مشاركته في "الملحمة القرشية" سواء في فترة الهجرة أو في زمن الفتوحات وهو ما أعطاه مكانة معنوية وتأثيرا أيديولوجيا في صفوف أتباعه. لكن التاريخ يشهد بمساهمته في عملية تصفية الطائفة اليهودية الناصرية وطمس معالمها، وكذلك في تحريف النصوص الدينية واستغلالها لأغراض سياسية (وقد يكون علي من إحدى الشخصيات الأولى التي ساهمت فعليا في الدعاية لمشروع المجموعة اليهودية الناصرية[96]).

كان علي، عكس الخلفاء الذين سبقوه، يصر على الآراء والمواقف اللاهوتية التي تعتمد على فكرة "نهاية العالم"، وعودة المسيح والصراع مع الدجال. شخصية

[96] بخصوص هذا الموضوع يجب البحث وإعادة النظر في مصداقية ما تقدمه الرواية الإسلامية حول "مجلس الشورى للخلافة"، فمفهوم الخلافة لا أثر له في فترة حكم عمر خلال سنة 640م. هذا المجلس، تقول الرواية، كان يتكون من أصحاب محمد من بينهم ثلاثة من قادة الأمة (عمر وعثمان وعلي) وشخصيات أخرى (كزيد و"أبي" وآخرون). كل هؤلاء كانوا متورطون في عملية تحريف النصوص الدينية، وكانوا "خبراء في القرآن" كأبي الذي كانت له نسخة من القرآن خاصة به، ظلت متداولة لمدة طويلة على الرغم من المحاولات المتكررة لتدميرها من طرف الأمويين (خاصة من طرف معاوية وعبد الملك بن مروان). ومع ذلك وصلتنا بعض الآثار لهذه النسخة والتي تمثل تباينا كبيرا مع النسخة الرسمية للقرآن.

الدجال شخصية محورية في فكر الطائفة اليهودية الناصرية، وكذلك لدى المسيحيين. سيحاول أتباع علي، في اللاحق من الزمن، أن يقدموه كمعارض لعمليات تحريف النصوص الدينية التي قام بها عمر وعثمان[97]. لكن هذا يبرز لنا فقط حدة الصراعات والطموحات الشخصية للقادة العرب الأوائل والتي جعلت من علي وأتباعه مصدر الفتنة وسبب تشتت الأمة. هذه الفتن والظروف المحيطة بها حاولنا أن نقدم رؤية جديدة وقراءة مخالفة تماما لما تقدمه الرواية الإسلامية الرسمية التبسيطية.

ستؤثث الحرب الأهلية الأولى والاقتتال الداخلي (الفتنة حسب التقليد الإسلامي) كل سنوات حكم علي، وسيتوقف على إثرها التوسع العربي. كان الصراع بين علي ومعاوية من أقوى الصراعات السياسية والدينية في تلك الفترة. كان معاوية من قبيلة عثمان وكانت له طموحات كبيرة للسيطرة على الحكم منذ أن كان واليا على سوريا، وكان قد تمكَّن من بسط سيطرته على الشرق برمته (سوريا، فلسطين، الأردن ومصر). خلال فترة ولايته على سوريا سيجبر علي بالاكتفاء بجنوب العراق، في الكوفة عاصمة حكمه حيث سيتقوى أتباعه فيما بعد. وبصفة عامة عرفت هذ الفترة كثرة الفساد، وتزايد الصراعات الطاحنة بين الفرق، وتكاثر أعداد المعارضين، وتشابك التحالفات، وتمزق الأمة، كان من نتائجها أن وضعت حدا لحكم علي، الذي تم اغتياله من طرف أحد الخوارج الذين كانوا في البداية من أتباعه.

معاوية من 661 الى 680م:
الهيمنة من أجل الحكم

تمكن معاوية من القضاء على جميع معارضيه وأتباعهم، وأسس دولة الخلافة بالقوة سنة 661 م حين انتصر على علي وجيوشه، ثم تصفية أبنائه الحسن والحسين. أتباع علي سيؤسسون المذهب الشيعي ويطالبون بأحقيتهم في الخلافة بعد موت علي

[97] سنرى فيما بعد كيف ستتعقد عملية البحث عن الحقيقة التاريخية من جراء عمليات التحريف للنصوص الدينية، وخاصة فيما يتعلق بشخصية علي وقناعاته العقدية والتي قد لا تتنافى مع ما كان يعتقده عثمان. الدراسة المتأنية للصراع السني الشيعي يمكن أن تساعد في فهم أعمق لشخصية علي (مع الحدر من مواقف الشيعة) خاصة وأن الشيعة ينسبون أشياء كثيرة لعلي على الرغم من أن التشيع كمذهب سياسي معارض للخلافة سيتكون بعد مقتل علي بفترة كبيرة جدا.

وأبنائه. سيقوم معاوية بنقل عاصمة الخلافة من المدينة الى دمشق معقل حكمه حين كان واليا عليها، وسيصبح أول خليفة أموي ومؤسس الخلافة الأموية، وسيعمل كل ما في وسعه لتقوية حكم الخلافة وتوحيد الأمة والحد من تبعات الفتنة التي تفتك بها. ولهذه الغاية قام بوضع نظام إداري مركزي اعتمد فيه على خبرة المسيحيين واليهود. ولذلك فإن الشعوب المغلوبة لم تتأثر كثيرا في فترة حكمه ولكن بشكل عرضي.

حين استتب له الأمر واستقرت الأوضاع اتبع نفس الأيديولوجية المسيانية واستغلها لصالحه وذلك باللجوء الى التبرير الديني الشرعي لحكمه. فسار على خطى عثمان للحد من الفتنة وتوحيد الأمة وذلك من خلال إرساء نسق ديني منسجم يخدم بالأساس السلطة والحكم الأموي. لقد استمر في العمل الذي بدأه عثمان أي إتلاف النصوص المزعجة والمتناقضة ثم اختيار نصوص أخرى يمكن الاعتماد عليها لتأسيس نسق لاهوتي واحد عوض تجميع الصحف المتناثرة هنا وهناك، وسيطلق عليه اسم "قرآن" في إشارة الى "قريان" التي تشير إليه تلك الصحف. سيجعل من القرآن الجديد كتابا يتحدث عن الإرادة الالهية وعن العرب كأحسن أمة، وتُنَصِّب خلفاءهم لكي يسودوا العالم بأسره باسم الدين الإبراهيمي. وبهذه الخطوة يكون معاوية قد وضع آلية عملية تخدم السلطة الأموية بشكل أكثر فعالية. وستختفي شيئا فشيئا الإحالة الى المعنى الأصلي لكلمة "قرآن": قريانا". كانت الطائفة اليهودية الناصرية هي التي تستعمل كلمة "قريان" للدلالة على مجموعة صحف دينية تحتوي على نصوص من التوراة وإنجيلهم التي كانوا يستعملونها في صلواتهم وإقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية، كما كانوا يستعملونها للتعريف بدينهم واستقطاب الناس اليه. لم يكن اليهود الناصريون يتصورون أن قرآنهم سيصبح كتابا مقدسا جديدا يحمل في طياته الإرادة الإلهية. لكن هذا التحريف والاستعمال الجديد لهذه النصوص سيتحول الى مصدر المشاكل المنطقية الخطيرة واللامتناهية: فكيف يمكن لكتاب لازال في طور الانجاز (استمرار نزول الوحي) أن يشير الى نفسه وهو لم يكتمل بعد؟ وفي نفس الوقت يشير الى نفسه من خارج النص[98]. سنرى فيما بعد كيف سيحاول رجال الدين معالجة هذه الاشكاليات.

من العوامل الكثيرة التي ساعدت معاوية على بناء الدين الجديد، تلك الأحداث التي وقعت في فترة حكمه ومكنته من تبرير سلطته وأيديولوجيته. ففي بداية حكمه وقع زلزال عنيف في فلسطين دمر أجزاء كبيرة من المكعب الذي بنته الطائفة اليهودية

[98] هناك آيات قرآنية كثيرة تشير الى ذلك من بينها "ذلك الكتاب لا ريب فيه" "قد نزلنا القرآن... والسبع المثاني..."[المترجم].

الناصرية في أورشليم[99] (في فترة حكم عمر) وكانت عمليات ترميمه وإعادة بنائه لم تتم بشكل احترافي ولا ترقى الى ما كانت عليه البناية فيما قبل[100]. كان العرب لا يزالوا يقدسونه ويحجون إليه على الرغم من أن السلطات قد وضعت في سوريا أماكن مقدسة أخرى لتعويضه[101]. بالإضافة الى العرب، كان اليهود (غير المرغوب فيهم) لازالوا يقدسونه باسم دينهم، ولكن دينهم محرف (حسب التوجه الجديد) ومزيف لأنهم يعتقدون أنه المكان الذي حاول فيه ابراهيم نحر ابنه اسحاق.

وهكذا بدأ الشك والضبابية تحوم حول الغاية والجدوى من هذا الهيكل: لماذا كل هذه الهالة والتقديس لهذا المكان؟ سيما وأن الطائفة اليهودية الناصرية قد أصبحت في خبر كان، وزاد في نسيانها كثرة الحروب والفتن، والظروف السياسية المتقلبة، ولم تعد الذاكرة تحتفظ بشيء يذكر عنهم مع مرور الزمن.

إعادة كتابة التاريخ والغزوات والانتصارات العربية في تلك الفترة كانت تستلزم في نفس الوقت الإجابة على أسئلة جديدة ومتعددة. مثلا ما علاقة اليهود بالدين الابراهيمي الحق؟ وما علاقتهم بالعرب: شعب الله المختار؟ كيف يمكن تفسير أن الدين الابراهيمي العربي هو أسمى من الدين الابراهيمي اليهودي مادام الأصل واحد؟ وكيف يمكن تبرير أن العرب هم الأبناء الحقيقيون لإبراهيم، وأن الله قد كلفهم بالسيطرة على العالم باسمه؟ وبالتالي كيف يمكن تبرير الأحقية والشرعية للعرب على الرغم من أن الدين اليهودي قد سبقهم من حيث الزمن؟ وكيف أن الله قد فضل دينهم على بقية الأديان؟ من هنا جاءت فكرة معاوية التي مفادها أن هناك في بلاد العرب مكان مقدس بناه ابراهيم، بناء سابق في الزمن على بناء هيكل أورشليم. هذا المكان العربي، الصافي والخالص، يبعد ب 400كلم جنوب المدينة (يثرب)، في مكان صحراوي، إنها **مكة** المدينة العربية "العتيقة".

---

[99]وقع ذلك في سنة 661 حسب القصاصات السريانية.

[100]خلال زيارته لأورشليم كتب الأسقف آركولف في مذكراته التي تحكي عن حجه للمدينة سنة 670م، واصفا عملية الترميم والإصلاح الذي قام به معاوية كما يلي: "في هذا المكان الشهير حيث كان في الماضي يرتفع الهيكل الرائع أصبح السرسريون [وهو لقب كان يطلق على العرب وكان يعني أولئك الذين يسكنون الخيام] يحجون اليوم الى بيت مربع الشكل بنوه بشكل قبيح وبشع، بواسطة أخشاب وحجارة وأعمدة، ويقال إن هذا المكان يمكن أن يستوعب أكثر من 3000 شخص في آن واحد". في حين يشير مقطع عبري لسفر القيامة (يهودي-عربي) ذكره الكاتب "اسرائيل ليفي" سنة 1914 يشير الى أن معاوية "أعاد بناء جدران هيكل (أورشليم)". وعلى ما يبدو فإن هذا الكاتب يخلط بين عملية بناء الهيكل الذي قام به الامبراطور البيزنطي وعملية إعادة الترميم لهذا البناء.

[101]وهو ما يسمح بالافتراض أن عملية تغيير قبلة المساجد قد وقعت في تلك الفترة [وأن الآيات التي تشير الى ذلك أضيفت في تلك الفترة كذلك: "وإذ نرى تقلب وجهك في السماء.. أين ما تولوا وجوهكم قتمة وجه الله" (المترجم)]

من الواضح أن معاوية ومستشاروه وكتابه قد راودتهم نفس الأسئلة وبنفس الطرح. كما أن معارضيه المسيحيين واليهود واجهوه بنفس الأسئلة. ومن هنا جاءت الضرورة لخلق مكان مقدس خاص بإبراهيم في مجال جغرافي عربي خالص باعتباره أقدم وأقدس مكان له. والأذكى من هذا هو أن إبراهيم نفسه هو من قام ببنائه إن لم يكن آدم والملائكة هم من بنوه. من هذا المنطلق يجب فرضه على العرب باعتباره مكانا مقدسا يجب الحج اليه وإقامة المناسك به بدل هيكل أورشليم. هذا المكان الصحراوي النقي، والصافي من النجاسات، يوجد في الأرض العربية وبالضبط في الحجاز، وهو بكل هذه المواصفات يستطيع أن يجيب عن كل الأسئلة المحرجة ويضع حدا للشكوك. لماذا تم اختيار هذا المكان الصحراوي القاحل؟ هذا السؤال يبقى مفتوحا أمام الباحثين، لم يتم الحسم فيه، سيما وأن العربية السعودية لا زالت تمنع أي بحث أو تنقيب أركيولوجي في أراضيها (على الرغم من أن نتائج الأبحاث لأماكن أخرى تتناقض مع الرواية الإسلامية). فالعرب تواجدوا في أماكن مختلفة أخرى بالقرب من واحة "مينا" التي توجد بالقرب من الطائف العتيقة على بعد 60 كلم من مكة. والملاحظ هو أن هذه الأماكن تبعد عن البحر الأحمر بنفس المسافة. ومع ذلك **اختار معاوية ذلك المكان وبنى به بناء مقدسا لإبراهيم ووضع بداخله الحجر الأسود**، وهو بالمناسبة حجر كان مقدسا فيما قبل[102]، **ثم أمر بتوجيه قبلة جميع مساجد الأمة نحوه**، كان ذلك في سنة 670م[103]. ومن المحتمل أن هذا المكان الجديد لم يكن يحمل اسم مكة في البداية وإنما كان يطلق عليه اسم "مسجد إبراهيم". كان معاوية يعتقد أنه بهذا العمل (اختيار هذا المكان البعيد وبناء مسجد ابراهيم) قد أتمم ما قد بدأه أسلافه في عملية إعادة كتابة التاريخ ومحو كل معالم الطائفة اليهودية الناصرية على الرغم من مقاومة معارضيه. سيشكل هذا البناء في ذلك المكان، الحجر الاساس في مسلسل بناء النسق والعقيدة الإسلامية فيما بعد، ولكنه في نفس الوقت أصبح مصدر الصراعات والحروب الطاحنة في صفوف الأمة. ذلك أن كل تغيير في الدين أو في الأحداث التاريخية كان يتحول في وقت وجيز الى وقود فتاك يشعل نار الفتن الداخلية.

---

[102] كان العرب المتواجدين في سوريا وكذلك بعض الشعوب الرحل يقدسون منذ قرون الحجارة ذات اللون الأسود التي تتساقط من السماء "نزك". وهناك روايات قديمة تعود لسنة 219م تحكي عن مراسيم نقل هذه الحجارة السوداء في حفل ضخم من حمص الى روما من طرف الامبراطور الروماني مرقص ماريلوس أنطونيوس (وهو من مواليد سوريا) وكان يقدم له قدَّاس وصفه المؤرخون بالسخيف والبذيء.

[103] وهي الفترة التي تتطابق مع تغيير القبلة لدى المسلمين.

الصراعات والفتن والحروب الأهلية التي نتجت عن ابتداع هذا المكان، طمست الوقائع التاريخية مما عرقل البحث العلمي عن الحقيقة التاريخية. فاختيار هذا المكان في مجال صحراوي قاحل وجاف خلق عدة مصاعب نظرية وعملية: كيف يمكن زرع الأشجار والنباتات في هذه الصحراء؟ وكيف يمكن للإنسان والحيوان، على حد سواء، الاستقرار بها؟ فبالأحرى تأسيس مدينة بكاملها يمكن أن تزدهر لعدة سنين. إن طبيعة هذا المكان وتضاريسه هو عبارة عن وعاء أو حفرة كبيرة محاطة بالجبال والتلال، تجعل الأمطار حين تتهاطل عليها بكثرة تحوّل المكان الى مستنقع خطير جدا. وهذه الظروف ليست نادرة، حيث عرف هذا المكان فيضانات ضخمة ومتكررة حملت معها الأوحال والحجارة والأتربة المتسربة من الجبال والتلال المحيطة بها. وتروي قصاصات القرون الأولى للإسلام سلسلة من الفيضانات التي عرفتها المدينة في السنوات التالية: 699م، 703، 738، 800، 817، 823، 840، 855، 867، 876، و892م. كان من ضحايا هذه الفيضانات قافلة الحجاج المصريين الذين قضوا نحبهم تحت الأوحال الناجمة عن تهاطل الأمطار الكثيرة سنة 960م. كما ان الكعبة كادت أن تتحطم من جراء الزلزال الذي سبق ذكره. ونتيجة لكل ذلك فالكعبة كانت دائما موضع إصلاح أو ترميم، كما هو الأمر في عهد السلطان مراد الذي حاول تقوية بنيانها، الى أن تمكن السعوديون معالجة هذه المشاكل بشكل فعال، وإن كانت الكعبة تبقى دائما مهددة باستمرار بسبب الفيضانات من حين لآخر، كما هو الحال في محيط مكة.

على ضوء ما تقدم بخصوص الطبيعة الجغرافية والمناخية لهذا المكان، يصعب تصوّر كيف تمكّن هذا المكان أن يعبر كل هذه الأزمنة الغابرة منذ ابراهيم[104] في هذه الظروف ذات الصعوبات الاستثنائية؟ كيف يمكن الحديث عن مكة كمدينة تزدهر فيها التجارة؟ الى حدود القرن 7م لا نجد اية إشارة لمدينة مكة[105]، لدى الجغرافيين ولا لدى المغامرين القدامى ولافي قصاصات الأخبار ولا الى هذا المكان المقدس، ولا عن تجارتها ولا عن مواسم الحج اليها. الرواية الإسلامية هي الوحيدة التي تحكي

---

[104] حسب التقليد الإسلامي فإن ابراهيم عاش ما بين 1900 و 1600 قبل الميلاد.

[105] مكة لا توجد في طريق البخور، ولا في ملتقى الطرق التجارية المهمة في ذلك الزمان. التقليد الإسلامي يتحدث عن عطور اليمن والجلد والجمال وكذلك عن الحمير وعن زبدة وجبن الحجاز. فمن يا ترى من الأمم الأخرى كان يشتري كل هذه المنتوجات دون أن يكتب عنها ولو الشيء القليل؟ لقد كانت صناعة العطور والجلد متطورة في الامبراطورية البيزنطية، والمواد الغذائية وتربية المواشي كانت متواجدة بكثرة في سوريا. حسب الرواية الإسلامية فإن تجارة هذه المواد كانت تقع فقط بين سكان مكة وأن الحجاج كانوا يأتون فقط لقضاء مناسك الحج وليس للتجارة.

هذه الأمور وبالشكل الذي تريده[106]. كما أن ميثاق صحيفة المدينة، وهي أقدم وثيقة يعترف بها المسلمون لا تذكر مكة إطلاقا[107]. بالإضافة الى هذا فإن مكة تبعد عن الطرق التي كانت تستعملها القوافل التجارية الموثَّقة بشكل مفصل في الوثائق القديمة. وبالعكس تماما فان مدينة يثرب أشار اليها المؤرخون القدامى في كتبهم، كما أننا نتوفر على بقايا أركيولوجية بها، الشيء الذي يتعذر تماما فيما يخص مكة وما حولها، على الرغم من الأشغال الضخمة التي قامت بها السعودية في مكة (الأنفاق والعمارات الشاهقة التي تطلبت الحفر في أعماق مهمة في الأرض). كما أن الرسومات الحجرية التي عُثر عليها في السعودية والتي يرجع تاريخها الى القرن السابع الميلادي لا تشير إلى مكة ولا الى الكعبة. إن الكتَّاب الذين عاصروا بدايات الإسلام كانوا ينتقدون هذا الادعاء: فيوحنا الدمشقي يشير الى استحالة وجود أخشاب في مكة، كما أن محيطها لا يتوفر على الأخشاب اللازمة لإقامة قداس ابراهيم[108] أو أضحية ابراهيم. كما أن القرآن حين يصف سكان مكة الوثنيين[109] الذين كان يدعوهم محمد الى الإسلام هم سكان كانوا يزاولون الفلاحة ومهنة الصيد، وكانوا يزرعون القمح ويغرسون أشجار العنب والزيتون والرمان والنخيل، ويتوفرون على قطيع الغنم والماعز والبقر والإبل التي كانت ترعى في مزارع خصبة، كما أنهم كانوا يستعملون القوارب الشراعية ويأكلون الأسماك الطرية. كل هذه الأوصاف لا تتطابق مع سكان يعيشون في وسط صحراوي قاحل ومحاط من جميع الجهات بالجبال كمكة[110].

---

[106] المسلمون في الوقت المعاصر يرفضون كل الدلائل والحجج، ويتشبثون بالرواية الإسلامية الرسمية التي تقدم بكة (بالبتراء) باعتبارها مكة أو موكورابا التي تحدث عنها المؤرخ الروماني بطليموس، على الرغم من أنه يتحدث عن ميناء موكورابا. باتريشيا كرون تدحض الرواية الإسلامية برمتها بخصوص مكة في كتابها "تجارة مكة وظهور الإسلام"

[107] الكاتب والمؤرخ الفرنسي بريمار يشير الى أن محمد (صاحب الصحيفة) في هذا الميثاق، الذي كان بين سكان يثرب والمهاجرين، لا يذكر فيها اسم مكة.

[108] يوحنا الدمشقي(746) في كتابه "حول الهرطقات" يشير الى أن ابراهيم حاول التضحية بإسحاق وليس بإسماعيل

[109] سنرى فيما بعد المعنى الذي يعطيه الخطاب الإسلامي لكلمة "الوثنية"

[110] كما تبين ذلك باتريشيا كرون في مقالها "بماذا كان يعيش الوثنيون حسب القرآن" وهي حجج لم يعترض عليها المسلمون الى يومنا هذا

[صور للكعبة غارقة في المياه: شهادات مصورة للفيضانات المتتالية في مكة وحول الكعبة]

لم يكن معاوية آنذاك يهتم بهذه التفاصيل لأن هدفه كان بالأساس سياسيا حين حوَّل هذا البناء المقدس على شكل مكعب[111] ونسبه لإبراهيم. كان هدفه هو تبرير الأصل العربي للدين الابراهيمي، وأنه سابق في الزمن على كل الأديان، وبالتالي فهو أسمى الديانات وسيدها. لكن محاولة معاوية هذه لا تجيب على كل الأسئلة المقلقة الناتجة عن التحريف والتزوير المتتاليين. بعد تنحية الطائفة اليهودية الناصرية ومحو آثارهم، أصبح من الصعب جدا على العرب أن يبرروا لماذا فضلهم الله على العالمين، ولا من أين أتى هذا القرآن وكيف تكونت هذه العقيدة؟

كان الخليفة هو المعني الأول بهذه الأسئلة المقلقة لأن شرعيته كلها مبنية على الدين، وبالتالي فالمعارضة للخليفة كانت هي الأخرى تجد ما يبرر معارضتها له من خلال هذه الأسئلة، وكانت تستغل ظروف الحرب للضغط أكثر. الخليفة كان منشغلا بالحرب ضد بيزنطة ما بين سنة 674 -676م حيث حاصر عاصمتها (اسطنبول حاليا) فقويت الأصوات المعارضة للسلطة، واجتمعت داخل الأمة كل العناصر المؤدية الى الحرب الأهلية. وهذا ما وقع بالفعل، فبعد موت معاوية، الملك المطلق ومؤسس حكم السلالة الأموية، ترك لابنه يزيد أوضاعا اجتماعية وسياسية ودينية جد معقدة وملغومة، على الرغم من أن الهياكل السياسية للدولة كانت **تبدو** متماسكة. عمليات التحريف للوقائع التاريخية والجغرافية والدينية **تبدو** وكأنها قد أدت مهمتها كما يجب في تقوية الحكم المطلق لمعاوية، لكن **الخلافة كانت في العمق ملغومة ومهددة من الداخل بهذه العقيدة**، والفتنة كانت على الأبواب، حيث انفجرت الحرب الأهلية الثانية مباشرة بعد أن تسلم يزيد الحكم: إنها الفتنة الثانية كما تصفها الرواية الإسلامي.

[111] هذا الاسم يذكِّر ب "أبو كعبة" وهو مكان مقدس لدى عرب سوريا (انظر خريطة دوسو)

CC BY ND NC

الحرب الأهلية الثانية
680-685م

عبد الملك ابن مروان
685-705م

تمزق الإسلام الأول

ليس من السهل خلافة ملك كان ذو حكم مطلق، وخاصة في ضل الأوضاع المتأزمة التي تولى فيها زيد بن معاوية السلطة، فهو أول خليفة يتقلد أمور الحكم عن طريق الوراثة. الخلفاء الذين سبقوه فرضوا أنفسهم وسلطتهم إما لاعتبار مكانتهم بالنسبة لمحيط محمد أو بالقوة أو بالانقلاب المسلح. ارتفعت الأصوات المعارضة من طرف الفصائل المتمردة، كلها كانت تشكك في الطريقة التي تسلم بها يزيد السلطة، وترفض شرعيته. كانت الخريطة السياسية والأيديولوجية والعقدية مبعثرة بشكل يصعب فهمه. فمن جهة انقسم القريشيون فيما بينهم (ويزيد واحد منهم)، فمنهم من اصطف في صفه ومنهم من عارضه، خاصة من أتباع علي ابن أبي طالب وابنه الحسين (الذي سيقتل أثناء الفتنة) ثم هناك الخوارج الذين ساندوا علي في الأول ثم انقلبوا عليه، ثم هناك أتباع لعلي لكنهم في نفس الوقت كانوا يعارضون ابنه الحسين. يضاف الى كل هذا الخليط أمراء أمصار الامبراطورية والساخطين على استبداد الحكم الأموي. من جهة ثانية كان من بين العملاء والمأجورين والقواد العسكريين من نصَّب نفسه خليفة في ضل الفوضى السائدة. كانت الأوضاع جد معقدة اختلطت فيها الطموحات السياسية بالمعارضة ذات الطابع الديني. وكما سبقت الاشارة الى ذلك فإن كل هذه الفوضى لها علاقة جوهرية بالديانة الابراهيمية منذ أن تبخرت أسطورة عودة المسيح لأورشليم، وتعقدت الأحداث عبر الزمن مع كثرة التزوير للحقائق وللنصوص. معرفتنا لهذه الظروف العامة بشكل دقيق قد تمكِّن من فهم جيد لظاهرة الحروب الأهلية والفتن التي تكررت باستمرار، وهي ظاهرة لا تزال تتكرر في الدول الاسلامية، وتبدو أنها لا نهائية. كان خطاب المعارضة للخليفة الأموي وللسلطة الأموية مبني على اعتبارات دينية، فمعاوية في نظرهم، كان من أشد المعارضين الأولين لدعوة محمد حين كان يحشد المهاجرين ويدعوهم للدين الابراهيمي.

لكن بعد 50 سنة من موت القائد الأول (محمد) وبعد 60 سنة على محاولة استرجاع أورشليم (منذ 614م) لم يبقى من ذكرى هذا القائد والطائفة اليهودية الناصرية إلا بعض الذكريات. وعامل الزمن والنسيان لعبا دورا أساسيا في تلميع صورته عبر روايات وأقوال مبالغ فيها تمكنت من عبور الأجيال، وبدأت تمجد ذكراه[112] وتضفي

[112] لقد شكلت هذه الأقوال المادة الخام التي سيتألف منها "الحديث".

عليه صفة رسول الله[113]. ومن هنا نبعت **فكرة النبوءة** التي تم اختراعها لتأسيس النص القرآني باعتباره وحيا الهيا جديدا. من الناحية التاريخية وحسب الوثائق التاريخية الأجنبية لم يكن محمد يدعو الى دين جديد، وكانت علاقته بنصوص الطائفة اليهودية الناصرية (أي تلك الصحف التي ستصبح فيما بعد المادة الأصلية للقرآن) علاقة غير مباشرة. ويمكن اعتبار العمل الذي قام به القس ورقة ابن نوفل صديق ومؤطر محمد هو فقط إحالة لهذه الصحف، في صيغة مجازية (ورقة/صحيفة). الرواية الإسلامية والسيرة النبوية لا تزال تحتفظ بذكرى شبه مقدسة لورقة.

خلال سنة 680 بدأ اسم محمد يظهر كشخص له صفة رسول[114] لدى أتباع علي بن أبي طالب وأبناؤه المعارضين لسلطة الخليفة الأموي. وكذلك كان الأمر في صفوف المعارضة غير الشيعية، التي اعتمدت على فكرة "رسول الله" لإضفاء الشرعية على معارضتها للخليفة الذي يحكم باسم الله. وفي ضل هذه الأوضاع تم إقحام شخص علي كشخص مقدس وضم اسمه الى اسم محمد، باعتباره ابن عمه، وزوج ابنته، وأحد أبرز قادته العسكريين. لقد كانت عملية سهلة وغير مكلفة سيما بعد مضي 20 سنة من مقتل علي، ولم تبقى أية إمكانية للتأكد من صحة هذه المعطيات، لأنه إذا كان الأمر كذلك، وكانت لعلي هذه المكانة وهذه الخصال، لماذا لم يستطع أن يفرض سلطته لإخماد الفتن، وإقناع المعارضين له، خاصة معاوية؟ لكن هذه الاعتبارات لم تمنع أتباع علي ولا باقي أطياف المعارضة من المضي قدما في استخدام جميع الوسائل لتوظيف صفة "الرسول" لإضفاء الشرعية على معارضتها للخليفة الأموي (يزيد) وللسلالة الأموية عموما. في المقابل كانت ردود الخليفة أعنف وأقوى، وتجاوزت استعمال الصورة الرمزية للرسول[115]. لم تعمل فكرة "النبوءة" إلا على تأجيج الأمور داخل الأمة عوض أن تحد من الخلافات الداخلية. فكرة "النبوءة" جاءت كنتيجة حتمية للتناقضات البنيوية الداخلية، وكنتيجة لعمليات التزوير والتحريف المتتالية للنصوص الدينية، وللأحداث التاريخية، وأصبحت الوقود الأساسي الذي تقتات منه الفتن والاحتجاجات السياسية المعارضة لسلطة الخليفة.

---

113 صفة "رسول الله" تجعل محمد أكثر من مجرد نبي، فالرسول هو صاحب رسالة الهية مكتوبة اي "كتاب الهي" و ذو مهمة الهية. الذين الابراهيمي في عرف الطائفة اليهودية الناصرية لا تعترف إلا بشخصين بهذه الصفة وهما موسى والمسيح.

114الملاحظ هو أن هناك وثيقة تسرد السجال الذي دار بين البطريرك اليعقوبي السوري يوحنا الأول والأمير سعد بن عمير أحد صحابة محمد وحاكم دمشق في سنة 644م، ولا توجد بهذا السجال كلمة نبي ولا نبوءة ولا حتى كلمة قرآن. كما أن بطريرك أورشليم صوفرون لا يذكر محمد النبي أو الرسول في قصاصاته المفصلة، كما أن الرسومات الحجرية الموجودة بالسعودية، التي تعود لما قبل سنة 687م، لا تذكره بتاتا.

115هذا ما تؤكده رسالة الحجاج بن يوسف حين أصبح حاكما لإيران في عهد عبد الملك بن مروان

نشير هنا الى أنه خلال هذا الغليان الذي عرفته ظروف الفتنة الثانية ظهر بشكل قوي عبد الله بن الزبير[116] الذي تربطه علاقة ما بعلي وابنه الحسين. ابن الزبير عارض وبشكل قطعي سلطة يزيد بن معاوية، وأقام خلافته في مكة "مكان ابراهيم". كان **أول من أعلن انتماءه لمحمد**، واعتمد في معارضته على شخص "محمد رسول الله" وكان يضفي على نفسه صفة "المحمود"، ويلصق كلمة "محمد" ب "رسول الله" وجمعهما في عبارة واحدة ووضعها كشعار للنقود التي صكَّها باسمه. هذه العملة هي الشهادة الأولى في التاريخ الإسلامي التي تشير الى عبارة "محمد رسول الله" (685-686م) (انظر صورة العملة). تمكن عبد الله بن الزبير من إحكام السيطرة على مجموع الحجاز الى اليمن، ثم العراق ومصر وبعض المناطق في سوريا. نشير هنا الى أن بيت ابراهيم "المقدس" الذي بناه معاوية في مكة قد تحطم جراء حريق أصابه سنة 683م (ربما كان ذلك من الآثار الجانبية للحرب الأهلية) فقام عبد الله بن الزبير بإعادة بنائه، لكنه بناه على شكل دائري خلافا لما كان عليه من قبل[117]. وهذا دليل آخر على المكانة والاعتبار النسبي الذي كان يحظى به "مسجد ابراهيم" آنذاك.

الصورة على اليمين لعملة عبد الله بن الزبير (685 -686م). الصورة الثانية لعملة عبد الملك بن مروان (696م) مكتوب عليها "محمد رسول الله".

لم يُعَمِّر الخليفة يزيد بن معاوية في الحكم طويلا، ولم يتمكن من مواصلة التوسع العربي (بالعكس يشير التاريخ الى عودة المحاربين بأعداد كبيرة) نتيجة حروب الفتنة، وكذلك لما كلفته الحرب مع عبد الله بن الزبير. توفي يزيد حسب الرواية الإسلامية سنة 683م خلال إحدى المعارك التي قادها ضد عبد الله بن الزبير. تلته فترة فوضى عارمة يصعب معها الخروج بحقائق تاريخية موثقة وحقيقية أو ذات

---

[116] الزبير حسب القصاصة الإسلامية هو من صغار صحابة الرسول، وقد كلفه عثمان بن عفان بجمع القرآن (مع زيد). ومن الممكن أن يكون الزبير ضمن العرب الأوائل الذين ساهموا في الدعوة الى تبني أفكار الطائفة اليهودية الناصرية، وإن كانت الرواية الإسلامية تشير إلى ولادته في بداية الهجرة.

[117] حسب الدراسة التي قام بها M. Gaudefroy – Demombynes على هذه البناية معتمدا على خبرة عمال من سوريا وإيران. ويشير كذلك الى أن الزخارف التي رصعت بها الممرات وأعمدة المسجد الذي يحيط بالكعبة تم انتزاعها في تلك الفترة من كاتدرائية صنعاء باليمن.

مصداقية. كل الروايات التي حاولت التأريخ لهذه المرحلة كتبت في فترات لاحقة بعيدة عن الوقائع التاريخية، وكانت تحاول تلميع الأحداث التي وقعت آنذاك (وهي الصفة المميزة للتاريخ الإسلامي عموما). خلفه بعد ذلك ابنه "معاوية الثاني" لكنه تخلى عن الحكم في فترة وجيزة لم تتعدى أربعة أشهر، لأنه رفض مواجهة الزبير، وعدم رغبته في إراقة المزيد من الدماء، وسيموت بعد ذلك بقليل موتة عادية[118]. وحسب الرواية الإسلامية فإن مروان، أبن عم معاوية الثاني (وأحد أبناء عمومة عثمان) هو من خلفه في الحكم ليصبح الخليفة الرابع من سلالة الأمويين (وهو كذلك قريشي) فانتقلت بذلك الخلافة لأبناء العمومة وليس لأبناء الملك. لكنه هو الآخر لم يعمر طويلا في الحكم وسيموت في ظروف غامضة كذلك (قتلته زوجته حسب الرواية الإسلامية). المعطيات المتوفرة لدينا من خلال الرواية الإسلامية لا تكفي لرفع اللبس الذي يلف هذه الفترة وظروف حكم هذين الخليفتين. وهذا من المؤشرات القوية على عملية إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في القرون اللاحقة من طرف ما يسمى "بالمؤرخين المسلمين". لقد كان هدف هؤلاء هو إضفاء صبغة هادئة على الظروف الأولى التي تشكل فيها الإسلام، وبالخصوص إخفاء الأسباب الحقيقية التي كانت وراء الفتن المتتالية التي عرفها التاريخ الإسلامي. ولم يبقى من مرحلة مروان والأحداث التي عاشها إلا ذكر ابنه الذي خلفه: عبد الملك ابن مروان، وهي الشخصية التي تركت بصماتها في التاريخ الإسلامي، باعتباره شخصية محورية في عملية توحيد الامبراطورية الإسلامية وتكوين ما بات يعرف فيما بعد بالإسلام.

عبد الملك بن مروان (685-705م):

تأسيس العقيدة الإسلامية

كان لعبد الملك بن مروان موعد مع التاريخ، فهو من الشخصيات التي بصمت تاريخ الفتوحات والغزوات العربية. سيفرض عبد الملك نفسه كخليفة وحيد للإمبراطورية، وسيعمل منذ بداية حكمه على استعادة السيطرة على الأمة: سيبدأ بتقوية معاقله الأولى في كل من مصر وسوريا وفلسطين، ليتفرغ بعد ذلك لتصفية عبد الله ابن الزبير. لبسط سيطرته اعتمد عبد الملك في ذلك على الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي كان في نفس الوقت أقوى وزير وأكبر قائد عسكري. لقد سطع اسم الحجاج خلال حربه ضد مصعب بن الزبير (أخ عبد الله بن الزبير) الذي كان حاكما على بلاد الرافدين،

[118] رواية الطبري تفندها الأحداث التاريخية، ثم إن تاريخ الطبري يعود الى القرن العاشر أي بعد 200 سنة عن هذه الأحداث. كما ان الشيعة والسنة لهما روايات مختلفة بخصوص نهاية حكم "معاوية الثاني".

وعلى إثر ذلك سيرسله عبد الملك ابن مروان عقب انتصاره على مصعب للتخلص من عبد الله ابن الزبير الذي كان قد تحصن مع جنوده في محيط مكة. تمكّن الحجاج من الانتصار عليه في حرب رهيبة ومجازر فظيعة، انتهت بذبح جميع اتباعه وقتله بطريقة وحشية حيث قطع رأسه وصلبه سنة 692م.

بعد القضاء على جميع الأصوات المعارضة تفرغ عبد الملك لحملات الحروب والغزوات موجها جيوشه نحو شمال افريقيا وضد بيزنطة، كما عمل على بناء الوحدة السياسية والعسكرية للأمة وقام بإصلاحات عميقة في دواليب الدولة محتذيا بالنموذج البيزنطي ومعتمدا على خبرة اليهود والمسيحيين في ذلك. نشير هنا بشكل خاص الى إحداث مصلحة البريد، وصك عملة نقدية جديدة (الدرهم الذي يحمل صورته كما تبينه الصورة) كرمز لسيادة وقوة سلطة الدولة، كما فرض اللغة العربية كلغة رسمية للبلاط في نهاية القرن السابع الميلادي. في عهده سيتم تقعيد اللغة العربية لكي تصبح اللغة الرسمية للدولة، ولم تعرف هذه اللغة تطورا ملحوظا منذ تلك الفترة، بحيث لا تختلف عنها لغة الآداب العربية المعاصرة في شيء. سيلعب ترسيم اللغة العربية دورا حاسما من الناحية الدينية بحيث سيمتزج عمل النحاة بعمليات تأويل النص القرآني (مع إضافة التنقيط، والتهميز...). هذه العملية مكنت من نشر النص القرآني وتوزيعه في ربوع الإمبراطورية. ومع ذلك سيبقى النص القرآني محصورا في دائرة جد ضيقة من المتخصصين وبعض رجال الدين، الذين سيعملون على الدعاية للحكم الأموي، وسمو العرق العربي على بقية الأجناس والشعوب، وبالتالي تبرير الغزوات و"الفتوحات" التي تقوم بها **السلطة الأموية، باعتبارها تجسيدا للإرادة الإلهية**. بالمقابل من ذلك، سيعمل عبد الملك على إدخال تعديلات على الدين الابراهيمي الذي ورثه عن المهاجرين لخدمة مصالحه وتقوية سلطته.

كان عبد الله بن الزبير قد استخدم رمزية "محمد رسول الله" كشعار لمعارضة سلطة الخليفة الأموي، إلا أن عبد الملك بعد القضاء عليه سيعتمد على نفس الشعار لتقوية حكمه، ويجعله الأساس الشرعي الذي تقوم عليه سلطته. انطلاقا من سنة 690م سيستعمل عبد الملك رمزية "محمد" ونبوّته: ويظهر ذلك من خلال الكتابات التي زخرف بها جدران قبة الصخرة التي بناها، وكذلك استعمال شعار "محمد رسول الله" على العملة الرسمية للخلافة. سيستغل هذا الشعار ليستمد منه الشرعية السياسية لحكمه، خاصة من رمزية محمد والقيمة القدسية "لرسول الله" (وهو ما يمكن استخلاصه من العملة الرسمية للدولة التي كانت تحمل صورته معززة بعبارة "محمد رسول الله") وسيقوم بإتلاف عملة عبد الله بن الزبير. وبهذه الأفكار سيبرر عبد الملك ابن مروان فتوحاته العسكرية، ونزعته التوسعية، بحيث أصبحت حروبه وغزواته، وسلطته تجسيدا "للإرادة الالهية". كما أنه استأثر بالحقل الديني بحيث كان يعتبر نفسه خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين، وباسم الدين سيتمكن من تلجيم الأصوات المعارضة لحكمه. في فترة حكم عبد الملك ابن مروان سيتم اعتبار محمد نبي جاء

بكتاب مقدس "القرآن": فبعد جمع الصحف "المتناثرة" في أرجاء الامبراطورية وتنقيتها وترتيبها في الصيغة التي بين أيدينا، كان من الضروري البحث عن صاحب الكتاب. وبهذا يكون قد قطع الطريق أمام جميع الأصوات التي تحاول استغلال الدين أو رمزية "محمد" لمعارضة سلطته. لكن يبقى السؤال مطروحا عن كيفية حصول محمد على هذا الكتاب، وهو أمر كان لا يزال ضبابيا ويسوده الغموض في تلك الفترة[119]. كان الأهم في هذه الظروف هو القطيعة النهائية مع الارث الذي خلفته الطائفة اليهودية الناصرية، وتأسيس دين جديد يسمو على الديانات الأخرى كما تظهره بناية "قبة الصخرة".

لكن ماذا تعني بالضبط قبة الصخرة التي بناها عبد الملك في مدينة أورشليم؟ هذا البناء لا يزال يحيّر المؤرخين سيما وأنهم لم يتمكنوا من التحرر من "مسلمات" التاريخ الإسلامي الذي يمنح الأسبقية الدينية لمكة. هذه البناية ترجع الى القرن السابع الميلادي (لم يحسم بعد في تاريخ البناء بشكل مضبوط، فهل سنة 692م كانت سنة بنائها أم سنة نهاية البناء؟). هذه المعلمة ذات المكانة الفريدة في نفوس المسلمين تبدو عالية من حيث البناء على بنايات الديانات الأخرى الموجودة في أورشليم (أو على ما تبقى من آثار الكنائس بعد الدمار الذي عرفه هذا القرن) التي كانت ذات أغلبية مسيحية، كما هو الأمر بالنسبة لفلسطين بشكل عام. لقد كانت هذه المعلمة **إعلانا رسميا للدين الجديد**[120] الذي حاول أن يجمع كل الديانات الأخرى تحت سلطة وحكم الخليفة الأموي. نعرف من خلال التاريخ أن مسجد عمر[121] قد بني في المكان[122] الذي بنت فيه الطائفة اليهودية الناصرية البناية المكعبة الذي تقدسها مكان الهيكل القديم بأورشليم. هذا البناء الذي شُيد في فترة حكم عمر كان لا يزال قائما في عهد معاوية وهو ما تشهد عليه معظم قصاصات المؤرخين وحجاج أورشليم في تلك الفترة[123].

سيعمل عبد الملك بن مروان من خلال اعادة بناء هذا المكان المقدس (قبة الصخرة) على تحريف الارث الابراهيمي للمكان. فاليهود عامة (بما فيهم الطائفة اليهودية

---

[119] بقيت الطريقة التي تلقى بها محمد الوحي غير واضحة لمدة طويلة. القس يوحنا الدمشقي كتب سنة 720م، في كتابه عن الهرطقات، أن حكام مدينة دمشق المسلمين أكدوا له أن محمد كان يتلقى الوحي خلال النوم، وهو ما يعني أن فكرة الملاك "جبريل" لم تكن واردة في تلك الفترة.

[120] كان الدين الجديد لا يزال يحمل اسم "الذين الابراهيمي"، ولم يحمل اسم "الإسلام" الابعد سنة 720م. للمزيد من التعمق في هذا الموضوع يمكن الاطلاع على أعمال مانفريد كروب (انظر ملحق المراجع (Manfred Kropp)

[121] لهذا السبب فإن معظم المؤرخين لا يفهمون لماذا لا يزال المسلمون يطلقون عليه اسم "مسجد"، حيث كتبت المؤرخة مريم روز أيلان Miryame Rose Ayalon "على الرغم من تسميته "مسجد عمر" فهو ليس مسجدا، ولا يمكن نسبه الى عمر" (انظر الفنون والآثار الأركيولوجية في فلسطين) وبالضبط فهذه هي البناية الوحيدة التي يطلق عليها "مسجد" وليس بها محرابا يتوجه نحو قبلة معينة. لكن المؤرخين نسووا البناء المكعب القديم الذي بناه المهاجرون حين دخلوا الى أورشليم، كما أنهم نسوا اسباب بنائه.

[122] وهو ما جعل قبة الصخرة تحمل كذلك اسم مسجد عمر.

[123] ذكريات أركولف Arculfe انظر الهامش رقم 100

الناصرية) يعتبرون هذا المكان "جبل الهيكل" (أي جبل موريا) هو المكان الذي حاول فيه ابراهيم ذبح ابنه اسحاق قربانا لله، ويُرَجح أن يكون في زمن الهيكل ذلك المكان الذي كانت تقام به الأضاحي وتقدم القرابين. لقد وضع عبد الملك بن مروان قمة هذا المرتفع في صلب القبة، وأصبح هو مركز القبة الذي يطوف حوله المؤمنون، وتخلى بذلك عن الفكرة الأولى التي كانت تشكل سبب وجود الطائفة اليهودية الناصرية (أي فكرة نهاية العالم وعودة المسيح) ليعطي معنى آخر لقبة الصخرة، تهدف الى جمع وصهر الديانات الابراهيمية الثلاثة تحت سلطته (وهو ما توحي به الزخرفة التي تزين جدران القبة). هذا المعنى الجديد للمعتقد يبدو كذلك من خلال الشكل الذي بُنيت به القُبة حيث أصبح بناءا دائريا وبدون محراب ولا يتوجه نحو قبلة معينة. لم تدخل مكة في نسق الدين الجديد إلا بعد أن قضى عبد الملك على منافسه عبد الله بن الزبير، آنذاك قام بتشييد بناية تشبه المكعب (محل البناء الدائري القديم الذي بناه عبد الله ابن الزبير) وربط اسم ابراهيم واسماعيل بالكعبة، ويكون بذلك قد **أفرغ قبة الصخرة من معناها القدسي الأصلي** (سنرى فيما بعد كيف سيعمل الخطاب الإسلامي على إدماج هذه الصخرة في منظومة نسق الدين الإسلامي).

تمكن عبد الملك ابن مروان من تدوين وتمحيص القرآن، وإدراج فكرة النبوة، وصهر الديانات الابراهيمية في نسق ديني واحد... وأبدع في ربط هذه العناصر فيما بينها لتشكل مجموع المواد المستقبلية للإسلام. ولأول مرة منذ إزاحة الطائفة اليهودية الناصرية من المشهد العام، بدأ يظهر خطاب ديني متناسق، ذو بنية منطقية داخلية متماسكة. الطريقة التي تمكن بها العرب من تغيير الدين الابراهيمي في العمق وجعله في خدمة مصالحهم بدأت بالتزوير وبالتعديلات المتتالية التي كانت تخلق بعض الاختلالات داخل النسق، وكانت هي الأخرى تتطلب بعض الترميمات، التي خلقت بدورها ارتباكات إضافية أخرى ...وهكذا. علاوة على ذلك كانت الإضافات غالبا ما تثير الاحتجاجات والانتقادات داخل الأمة، وتتضاعف مع تأثير الأوضاع الخارجية المتفاقمة. كل هذه العوامل خلقت حلقة دائرية مفرغة لا متناهية، يمكن تلخيصها على الشكل التالي:

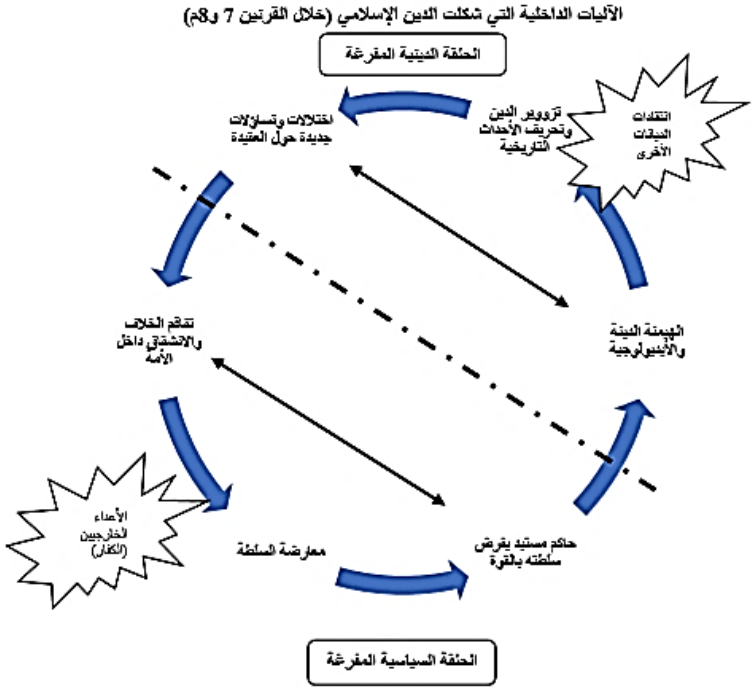

العناصر الخارجية التي أثرت بشكل كبير على الدين الابراهيمي: الاختلالات التي تظهر في الدين الجديد غالبا ما كانت تثير انتقادات خارجية، سيما من طرف اليهود والمسيحيين، الامر الذي أدى بالسلطات الى اتخاذ قرار منع غير المسلمين من الاطلاع على النصوص الإسلامية، ومن جهة أخرى منع المسلمين الاطلاع على نصوص الديانات الأخرى (سواء تعلق الأمر بشرحها أو الدعوة اليها). تواجد ديانات أخرى ذات نسق متماسك، وذات كتب مقدسة وأماكن مقدسة وانبياء متعددون في نفس المجال الجغرافي، كان كفيلا لكي يفرض على الدين الابراهيمي الجديد ان يطور خطابه، وهو ما دفعه لكي يعتبر نفسه أسمى الديانات وخاتمتها، ويبتكر الدلائل والتبريرات التي تخول له هذه المكانة، ولو من حيث الشكل. لكن واقع الحال يبيّن أن هذا التفوق المزعوم كان مبنيا على **الاكراه المُمنهج** على الجميع داخل الأمة، وعلى "الكافرين" والرافضين والمشككين في الخارج. إن

السلطة السياسية للحاكم العربي كانت مرفوضة من القوى الخارجية، خاصة من طرف الامبراطورية البيزنطية.

لقد بدأ مسلسل التغييرات والتعديلات انطلاقا من محاولة طمس وإقبار معالم وآثار الطائفة اليهودية الناصرية سنة 640م، واستمر مسلسل الترميم مع تسلسل الخلفاء. كان كل خليفة يلجأ الى التغيير والتزوير لتبرير شرعية حكمه بإعادة صياغة النصوص وإعادة كتابة التاريخ. ولم تتوقف هذه العملية، حيث كان كل خليفة يضيف طبقة فوق الطبقات السابقة، محتفظا فقط على الهدف الأسمى التي كانت الطائفة اليهودية الناصرية تسعى لتحقيقه، ألا وهو السيطرة على العالم و "القضاء على الشر ومحوه بشكل جذري من على الأرض". العرب غيّروا فقط آليات الاشتغال واحتفظوا بالهدف. ومع مرور الزمن قاموا بعمليات الحرق والتدمير لإعادة البناء النظري من جديد على أنقاض الفكر القديم. من صلب هذا المسلسل (الهدم والحرق والتدمير) بدأت تظهر معالم الدين الجديد الذي خلق الانشقاقات والحروب الأهلية، كما أنه في نفس الوقت كان يقتات من هذه الفتن: **فالدين الإسلامي قبل أن يدخل في الحرب مع العالم كان في حرب مستمرة مع نفسه**، نظرا لطبيعة العناصر المكونة له.

لقد تمكن عبد الملك ابن مروان من إحكام سيطرته على الدولة، وعطّل مرحليا الفخ الذي دخلت فيه الأمة (الحلقة المفرغة) من خلال التوازن الذي أقامه بين ما هو ديني وما هو سياسي، واعتمد في هذا التوازن على سلطة مركزية منظمة ومُهيكلة تقوي سلطة الخليفة وتحد من الخلافات والانشقاقات داخل الأمة، ومن جهة أخرى ساهم في بلورة منظومة دينية متناسقة تستجيب للمتطلبات السياسية والأيديولوجية للدولة. وهكذا أخد الدين الإسلامي في عهد الملك بن مروان صيغته الرسمية كدين قائم الذات، على الرغم من أن مكة لم تأخذ بعد المكانة القدسية التي لها اليوم. ولكن العناصر الأساسية التي وضعها للدين الإسلامي هي التي مكّنت الإسلام من الاستمرار لعدة قرون، وهي نفس العناصر التي سردناها في المقدمة. هذه المنظومة الدينية تتمحور حول مجموعة من التصورات للإرادة الالهية من خلال إرسال الأنبياء والرسل لتصل الى خاتم الرسل ذو كتاب مقدس، ومكان مقدس، ووضع العرب كأسمى أمة، وهي الأمة الحاملة للمشروع الالهي والمكلفة بتحقيقه. مع عبد الملك بن مروان تنتهي مرحلة التحالف العربي اليهودي الناصري بشكل تام: إنها نهاية الإسلام الأول. لقد فتح هذا الخليفة مرحلة جديدة من تاريخ الدين الابراهيمي الجديد.

CC BY ND NC

VI

الإسلام من التأسيس الى التجمد والتحجُّر

يتطرق هذا الفصل الى عملية التأسيس والتشكل الذي عرفه الإسلام انطلاقا من تركة عبد الملك ابن مروان. خلال ثلاثة الى أربعة قرون سيتمكن الإسلام من تكوين وبلورة المنظومة العقائدية والتاريخ المقدس الذي نعرفه اليوم. كما أن الانسجام والتماسك في المذهب جاء نتيجة لعمليات بناء تمت في أزمنة لاحقة ومتأخرة، وكانت في عمومها خاضعة لمسلسل التبريرات المتتالية، من أهمها:

اختراع قصة الإسراء

بعد موت عبد الملك سنة 705م ستنتهي معه مرحلة بكاملها، كانت فيها مدينة أورشليم رمزا لوحدة الديانات التوحيدية الثلاثة، كما كانت تعبيرا عن السلطة والمكانة التي فرضها بالقوة. انتهت هذه المرحلة لتظهر الى الوجود مدينة مكة التي بوأها الخلفاء اللاحقون مكانة خاصة وربطوها بشخص ورمزية محمد. وهذا ما يشهد عليه القرن الثامن الميلادي حيث وجهت جميع المساجد محرابها نحو مكة. وفجأة أصبحت مكة مدينة ذات مكانة قدسية كبيرة للدين الذي لايزال في طور التشكل. لكن مع ذلك لا زالت مدينة أورشليم تحظى هي الأخرى بالقدسية لدى المسلمين. فكيف يمكن تبرير ذلك؟ وما دلالة قبة الصخرة؟ وكيف يمكن تبرير كل الجهود التي بدلها العرب لتحرير أورشليم؟ هل انتهى كل شيء وينبغي التخلي عنها لفائدة اليهود والمسيحيين؟
للإجابة على هذه الأسئلة سيجتهد رجال الدين لتبرير هذا الاشكال باختراع قصة خيالية جديدة تضاف الى المنظومة وتعطيها تماسكا أكثر: إنها قصة الاسراء والمعراج، التي من المحتمل جدا أن تكون من انتاج القرن 9م. القصة في حد ذاتها ليست جديدة بل تكاد تشبه بشكل مثير قصة رحلة موسى الى السماء، وهي رحلة معروفة في التاريخ والفكر اليهودي[124]. اجتهد فقهاء الدين ومستشارو الخلفاء في

[124] التوراة تحكي قصة صعود موسى الى قمة جبل سيناء (ومنها الى السماء) ليلتقي بالله ويأخذ منه الألواح التي كتبت عليها القوانين اليهودية. النصوص الدينية اليهودية تشرح بالتفصيل قصة صعود موسى الى السماوات ليرى بأم عينه "التوراة الإلهية الأزلية". تقول تلك النصوص ما معناه أن الله مكن لموسى أن يصعد الى السماوات ويطلع على ما في التوراة السماوية ليعلِّم بني اسرائيل.

ابداع هذه القصة التي لا يتحدث عنها القرآن بصفة مفصلة على الرغم من أهميتها القصوى والغاية التي كانت ترجى منها. آية قرآنية واحدة فقط هي التي تتحدث عن الإسراء[125]. هذه الآية على الرغم من قصرها مكنت الفقهاء من تعزيز مكانة الكعبة انطلاقا من المسجد الحرام الذي تشير إليه الآية [126]، كما أنها مكنت رجال الدين من تبرير مرور محمد بأورشليم والمكانة التي يعطيها الإسلام لهذه المدينة[127]، كذلك تبرير المكانة القدسية للصخرة الموجودة في قلب القبة التي بنيت عليها. وتقول الرواية الإسلامية أن محمد انطلق من فوق هذه الصخرة نحو السماء. قصة الإسراء تبيّن بشكل واضح عملية البناء **العكسي المتأخر** الذي اعتمده رجال الدين، الذين كانوا ينطلقون من النتائج وإيجاد التبرير اللازم لها. قصة الاسراء التي تم إقحامها لاحقا تبرّر قدسية "الصخرة"، وقدسية أورشليم تبرر وتحافظ في نفس الوقت على تماسك الخطاب الديني. بالإضافة الى ذلك فإن قصة الإسراء حين تجعل محمد يسافر الى السماوات فهي تجعل مهمته ذات بعد إلهي وتمكنه من الاطلاع على القرآن السماوي الخالد أو "أم الكتاب"[128]، وهو ما يعزز مكانة القرآن الذي بين أيدينا الذي كتبه كُتَّاب ومستشارو الخلفاء، وفي نفس الوقت يخفف من حدة تناقض الآيات القرآنية المتعددة التي تشير للقرآن ككتاب كامل، في حين أنه لم يكتمل بعد (استمرار نزول الوحي). وبهذا المعنى يصبح القرآن الذي بين أيدينا، جزءا من القرآن السماوي "الكامل" و"المحفوظ في اللوح"، وبالتالي لا حرج إذا نسي محمد بعضا مما أوحي إليه. الرواية الاسلامية تقول إنه لم ينزل كاملا في دفعة واحدة، بل كان الوحي متقطعا في آيات متفرقة يأتي بها جبريل لمحمد وهذا الأخير يمليها على مستمعيه... وبهذه الطريقة

---

[125] سورة 17 آية 1: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [السورة تحمل عنوانا آخر وهو "بنو اسرائيل" وهذا وحده كفيل للتشكيك في معنى الآية، فهي تتحدث في معظمها عن قصة موسى والخروج ليلا من مصر. الآية تخلق نشازا في السورة وتكسر وحدة النص، بحيث ينتقل القرآن فجأة من الحديث عن الاسراء الى الحديث عن موسى وأتباعه. [واذا أضفنا الى ذلك أن القرآن لم يكن منقطا وبدون تهميز ولا ألف المد التي أضيفت لاحقا الى اللغة العربية، حيث كان، يكفي إضافة ألف المد أو حذفها ليتغير معنى الكلمة بشكل جدري. وعلى ضوء هذا يمكن قراءة هذه السورة قراءة ثانية "سبحان الذي أسرى بعباده ليلا ..." لكي تصبح الآية متناسقة مع بقية السورة التي تتحدث عن خروج بنو اسرائيل من مصر. يمكن الرجوع الى حلقات خاصة في هذا الموضوع للأستاذ أحمد المسيح على اليوتوب.] المترجم

[126] المسجد الحرام بمعنى الممنوع [وهي التسمية الأولى للمكان المقدس الذي كان يتواجد في قلب الهيكل اليهودي القديم. المترجم]

[127] نعرف جيدا من خلا ل التاريخ أن محمد قد زار أورشليم خلال الحملة العسكرية التي قام بها الفرس سنة 614م، لكن التاريخ الإسلامي لا يشير الى هذا الحدث التاريخي بصفة نهائية وذلك نتيجة لعملية محو آثار الطائفة اليهودية الناصرية وتحالفاته معها.

[128] سنرى فيما بعد دلالة "أم الكتاب"

تمكَّن الخلفاء تبرير حديث القرآن عن القرآن كما لو كان كتابا مكتوبا مسبقا[129]. والحقيقة، كما رأينا سابقا، فإن هذه الإحالة الى القرآن ما هي الا إحالة الى "كتب العبادات" الخاصة بالطائفة اليهودية الناصرية. لكن الخرافة الإسلامية، ونظرا لضرورة محو معالم هذه الطائفة والتحالفات الماضية، كانت تبحث عن أشياء أخرى لتبرير اختلالات وتناقضات النصوص والأحداث، فلجأت الى هذه الحجة الخارقة: قرآن سماوي، وسفر محمد عبر السماوات على ظهر حصان رباني "البراق" يطير بسرعة البرق (أي 2400 كلم ذهابا وإيابا في ليلة واحدة بين مكة وأورشليم) والحوار مع الأنبياء الذين سبقوه، ثم زيارة الجنة وجهنم... من المؤكد أن البناء الديني لهذه الخرافة هو اختراع قد تم عبر مراحل وأخذ طابعا فنيا مليئا بالخيال تجمعه قصة أدبية محبوكة. ومع ذلك فالخلل لا زال قائما ولا يمكن تبريره بالخيال الأدبي، فإضافة كلمة "المسجد الأقصى" أي المسجد الذي يوجد غير بعيد عن قبة الصخرة في أورشليم قد تم بناؤه ما بين 710- 715م. فكيف تمكّن محمد من زيارته وقد توفي في سنة 632م، كيف زار مسجدا لم يكن موجودا قيد حياته[130]؟

قام عبد الملك بن مروان بعمل جبار حين قنَّن اللغة العربية وجعلها اللغة الرسمية للدولة، كما عمل على تقنين قرآن واحد رسمي، ووزعه في ربوع الامبراطورية الأموية، وأتلف "كل" الصحف الأخرى. وبهذه الخطوات أصبح من الصعب والمستحيل القيام بتغييرات إضافية على النص القرآني كما كان الأمر في السابق (كتحريف كلمة نصارى مثلا، كما سبق ذكره). تشير الرواية الإسلامية الى العمل الذي قام به الحجاج بن يوسف حين جمع "كل" الصحف القرآنية الموجودة آنذاك ودمرها بالكامل في بداية القرن الثامن الميلادي. الاختلالات والتناقضات والفجوات لازالت موجودة، والنص القرآني أصبح نصا مغلقا "يستحيل" تحريفه. لكن ما دامت التغييرات من داخله من باب المستحيلات فإن الإضافات حوله من الممكنات.

وبهذه الطريقة بدأت تتكون حول القرآن وخارجه، نصوص تدور في فلكه، فتأوله حسب الحاجة، كما هو الأمر بالنسبة لأسطورة الإسراء. وأصبح من الممكن، ودون

---

[129] التقليد الإسلامي يقدم وصفا لكيفية "نزول" الوحي على محمد، تم كيف كان هذا الأخير يمليه على مستمعيه وعلى أصحابه الذين كانوا يكتبونه على الجلود وعلى الأحجار... وكان ذلك ما بين سنة 610-632م.

[130] قبة الصخرة لا تشير في زخرفتها إطلاقا الى "الإسراء": لا توجد أية كتابة ترجع الى عهد عبد الملك بن مروان تحيل الى الإسراء. في حين لا يزال المسلمون الى يومنا هذا يقدسون هذه الصخرة باعتبارها مكان انطلاق محمد الى السماء. وهو دليل آخر على أن خرافة قصة الإسراء قد اخترعت في زمن لاحق ومتأخر عن زمن محمد والخلفاء الأولون.

المساس بالنص القرآني، أن نغيّر فيه ما نشاء، فقط من خلال التنقيط والتهميز[131]، وأحيانا بالاعتماد على تعدد معاني الكلمات، كما هو الأمر بالنسبة لكلمة "الكعبة" التي ألصقت بها كلمة "مكة" (أصل كلمة "مكة" مأخوذة من العهد القديم) والمسجد الحرام (الذي كان يعني في البداية ما تبقى من هيكل أورشليم). فالآية التي تشير الى مكة في سورة الفتح آية 24، وهي الاشارة الوحيدة لمكة في القرآن بكامله، تصف مكانا مقعرا "ببطن مكة"، ومع قليل من التأويل يصبح القرآن يتحدث عن مكان يشبه المحيط الجغرافي لمكة. وانطلاقا من هذا الخلط في معاني الكلمات يمكن الحديث بشكل اعتباطي عن أماكن في محيط مكة، كما هو الأمر بالنسبة لـ "قبيس" أو "تل قبيس" الموجود أصلا في سوريا. وشيئا فشيئا أصبحت الرؤية تتضح، ومع مرور الزمن وكثرة التأويلات والإضافات أصبح الإسلام يكتسي صورة نسق عقائدي منسجم: وهكذا يمكن كتابة التاريخ من جديد وإعادة تسمية الأماكن الجغرافية من جديد لما يخدم الأهداف المرسومة مسبقا.

صناعة التاريخ الاسلامي

خلال القرون التي تلت فترة عبد الملك بن مروان ستزدهر صناعة الحديث، وذلك لخدمة النسق الفكري الذي سيدور في فلك القرآن وسيكون له نفس الحمولة القدسية التي يتمتع بها النص القرآني. كما أن شخص محمد سيصبح النموذج الذي يقترحه الإسلام للإنسان المسلم (الشخص ذو السلوك النموذجي الذي يجب على المسلم أن يقتدي به). لكن هذا النموذج المثالي الذي يقدمه التاريخ الاسلامي لمحمد هو في الحقيقة لا علاقة له بالشخص الذي عرفه التاريخ، كما أن الأحداث التي تُروى عنه لا علاقة لها بالأحداث والوقائع التي عاشها مؤسس الإسلام. إن القراءة المتأنية للتراث الاسلامي تمكّن من الكشف على بعض الحقائق التاريخية المتناثرة داخل هذا الكم الهائل الذي خلفه التراث الاسلامي، كما هو الأمر حين يتحدث البخاري عن

[131] الصحف الأولى التي أعطت كتاب القرآن لم يكن بها تنقيط ولا تهميز كما هو الأمر بالنسبة للغة العبرية والسريانية التي تكتب بالحروف فقط. ولذلك فالكثير من الحروف في اللغة العربية لا يمكن التمييز بينها بدون إضافة النقط والهمزة (فرسم واحد يحتمل 5 حروف مثلا: ـــــ يمكن أن يقرأ: ب ت ن ث يـ. للإشارة فإن تقنية التنقيط لم تكتمل إلا في القرن 10م.)

توقف الوحي الإلهي لما توفي ورقة بن نوفل، أو ما أورده مسلم: "كان الراهب ورقة بن نوفل يكتب الكتاب العبري (التوراة) كان يكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب".

الطريقة التي جُمع بها النص القرآني، مع توالي التغييرات والاضافات جعلته نصا غير مفهوم، وهو ما تطلب شروحات وتأويلات عديدة، مما نتج عنه تضاعف الأحاديث بشكل مبالغ فيه. كما أن الظروف السياسية المتقلبة دفعت السلطات السياسية الى **اختراع الأحاديث النبوية لتبرير شرعيتها الدينية والسياسية**، الى أن وصل عدد الأحاديث الى مليون ونصف المليون حديث، وذلك بمعدل 137 حديث في اليوم الواحد من حياة محمد منذ بداية الدعوة. هناك أحاديث مكررة بصيغ مختلفة، وهناك أحاديث لا تتحدث عن محمد ولا عن سلوكه وإنما عن الظروف التي عاشها في تلك الفترة... الإسلام السُّني يقسم هذه الأحاديث الى أحاديث صحيحة وأخرى ضعيفة اعتمادا على مصداقية الراوي (السَّند). لقد تبوأ البخاري ومسلم قمة الجامعين للأحاديث حيث وصل عدد الأحاديث في "الصحيحين" الى 17000 حديث (أي 7000 حديث حين نزيل الأحاديث المكررة، بمعدل حديث واحد كل يوم). بالإضافة الى صحيحيّ البخاري ومسلم هناك كتب أخرى للحديث كالسنن الصغرى للنسائي، وأبو داوود والترمذي وابن ماجة، التي يعتبرها التقليد الاسلامي مصادر موثوقة يمكن الاعتماد عليها (لكن بدرجة أقل من البخاري ومسلم). كل هؤلاء الكتاب عاشوا وألفوا في القرن 9م وبداية القرن 10م، علاوة على وجود كتب أخرى للحديث قبل وبعد هذه الفترة الزمنية.

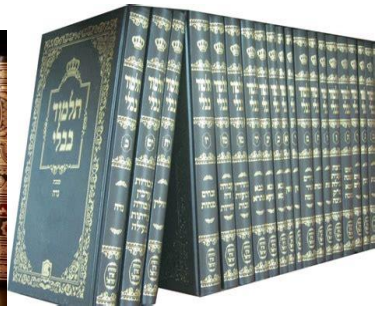

التلمود البابلي

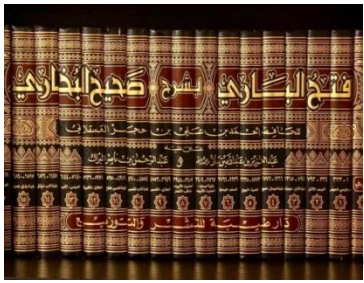

صحيح البخاري

[بالإضافة الى صحيح البخاري تتضمن المكتبة الاسلامية الخاصة بالحديث مجلدات أخرى ضخمة جدا: صحيح مسلم، والسنن لأبي داوود والترمذي والنسائي...]

كانت صناعة الحديث تتم تحت رقابة السلطة السياسية والدينية، وكانت تصاغ حسب الطلب. كتابة الحديث أدت بشكل طبيعي الى الكتابة حول صاحب الحديث، ومصدر الحديث، ومن هنا جاءت ضرورة كتابة السيرة النبوية التي ستتحدث عن ولادة محمد ونشأته، والظروف العامة التي عاش فيها. وهذه الخطوة ستعطي دفعة أخرى للتأويلات بحيث أصبحت قراءة وتأويل القرآن تتم عبر حياة محمد، وهي في عمومها سيرة خيالية للرسول. إنها مفتاح جديد لقراءة القرآن. "السيرة النبوية" تمت كتابتها بطلب من السلطة السياسية التي كلفت أحد الكتاب المتخصصين للقيام بذلك. التاريخ الإسلامي يحتفظ باسم ابن هشام الذي اعتمد على نسخة لابن اسحاق (التي لا نعرف عنها الشيء الكثير إلا من خلال ما كتبه ابن هشام). ونفس الشيء بالنسبة للحديث، فإن الوقائع التي ترويها السيرة النبوية يمكن أن نجد بداخلها بعض الوقائع التاريخية الحقيقية، كما هو الأمر حين تتحدث عن ورقة بن نوفل وتقول: "(...)أنه أصبح نصرانيا، ويتَّبع الكتب، كما تعلم علم الرجال (...) وكان جيد المعرفة بالنصرانية ودرس كتبهم، وكانت معرفته لها تضاهي معرفة أهل الكتاب"[132]. ولا ننسى أن الطبري قد ترك ديانته الأولى المسيحية، وتَمَّ استئجاره من طرف الخلفاء العباسيين كمؤرخ للبلاط، وكان جيد الاطلاع على الحديث. الطبري سيكتب "تاريخ الرسل والملوك" حيث سيعرض صورة مثالية لبدايات تشكل الاسلام (ويعتبر اليوم من المصادر الأساسية للتاريخ الإسلامي الرسمي). أنتج الطبري أول تفسير للقرآن، وهو **تأويل وليس تفسيرا**، لأنه في العمق **خطاب جديد حول القرآن** تم اختراعه لأهداف معينة. ولا زال تفسير الطبري يشكل المرجع الأساسي لشرح القرآن الى يومنا هذا. وعلى هذا الأساس لا يمكن الاعتماد على ما كتبه الطبري فيما يتعلق بالسيرة النبوية والوقائع التاريخية التي تشكل فيها الإسلام، لسبب بسيط هو أن ما كتبه الطبري هو نتاج لبيئة فكرية وثقافية فارسية بعيدة من حيث الزمان والمكان عن البيئة التي عاش فيها محمد، وكل ما كتبه كان تحت طلب السلطة العباسية. فالفارق الزمني الذي يفصله عن الأحداث التي كتب عنها فاصل كبير جدا يناهز القرنين، كما أنه كان يجهل الروافد الثقافية السريانية-الآرامية[133] التي نبت فيها القرآن، وكذلك تأثيرات الطائفة اليهودية الناصرية على المحيط الذي عاش فيه محمد وأصحابه.

---

[132] سنرى فيما بعد ماذا تعني عبارة أهل الكتاب.

[133] كما يبين ذلك كتاب كريستوف لوكسمبورغ "القراءة السريانية الآرامية للقرآن" (غير مترجم)

هناك عامل آخر حاسم في تأسيس الدين الإسلامي كما نعرف اليوم، يتمثل في سقوط الأسرة الأموية سنة 750م حيث سحق ابو العباس السفاح جيوش الخليفة الأموي مروان الثاني. مما يعني أن العمل الجبار الذي قام به عبد الملك بن مروان لم يكن كافيا لإخماد الخلافات الدينية والاقتتال داخل الأمة، حيث بقيت المعارضة جد قوية ومتأججة، كما أن الأوضاع العامة كانت تزداد تعقيدا كلما تمت عمليات التحريف في النصوص الدينية كما رأينا فيما قبل. منذ بداية الحكم الأموي الى سقوطه لم تتوانى الدولة في استعمال القمع والعنف لبسط سيطرتها في جميع الميادين، كما أنها استمرت في مطاردة جميع الصحف القرآنية الأخرى واتلافها، وتابعت حملات التطهير ومطاردة الخصوم والمعارضين "غير المؤمنين". ظهور كلمة "إسلام" حوالي سنة 720م للدلالة على الدين الجديد كان لها معنى "الخضوع" للإرادة الإلهية ولإرادة خليفة الله، وكلمة "مسلم" (الخاضع، ومن أسلم إرادته لـ الله) استعملت للدلالة على المؤمن. هذه الكلمات تعطينا صورة واقعية لقسوة الحكم الأموي وكذلك عن **الدين الإسلامي الذي تم اختراعه من طرف الأمويين لتبرير السيطرة على الحكم تحت ذريعة تطبيق حكم وشرع الله والقضاء على الشر في الأرض**. إنه دين الله في خدمة سلطة خليفة الله في الأرض: فطاعة الله من طاعة الخليفة، كما في سورة النساء آية 59 "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".

في ظل هذه الأوضاع كثرت وتشعبت المعارضة، فبعد علي بن أبي طالب وأبناؤه وأتباعهم ظهرت المعارضة من داخل القريشيين يتزعمها أبو العباس السفاح الذي سيقود العباسيين الى الانتصار على الأمويين سنة 750م وسيؤسس دولة جديدة عاصمتها بغداد. ستسود دولة بنو العباس الى حدود القرن 13م وستتميز بالمساواة بين العرب وبقية المسلمين غير العرب، سيما وأن غالبية أنصارهم كانوا من الفرس. بهذا الانفتاح على غير العرب أعطت الدولة العباسية الطابع الشمولي للإسلام الذي كان ينقصه. **فالإسلام لم يكن في فترة حكم الأمويين سوى أداة لهيمنة العرب على بقية الشعوب**[134].

[134] ليس كل العرب مسلمون فمنهم اليهود ومنهم المسيحيون السريان والكلدانيون.

CC BY ND NC

نهاية التأسيس وتحجُّر الإسلام

كما رأينا فيما سبق، فإن نشأة الإسلام الأول وسيرورة تشكله وتأسيسه بشكل كامل لكي يصبح خطابا دينيا متماسكا، قد تطلب حيزا كبيرا من الزمن منذ القرن السابع الى القرن العاشر الميلادي. الخطاب الإسلامي يتمحور حول: القرآن (وإذا استثنينا كتب المفسرين، فإن القرآن لا يقول إلا الشيء القليل عن الإسلام) والسيرة النبوية، والحديث، وروايات تاريخية اسلامية محضة تحكي بكثير من المبالغة والتبجيل عن الظروف التي ظهر فيها الإسلام وعن وضعية مكة ما قبل الإسلام (الجاهلية والوثنية) ونسب محمد وحياته الخاصة، وتاريخ الخلفاء الأولون... وبالموازاة مع كل هذا، هناك الشريعة أو القانون الإسلامي الذي لم يتغير منذ ذلك الحين[135]. التأسيس الكامل والنهائي للإسلام تم تحت إمرة الخلفاء العباسيين الذين يصفهم التاريخ الإسلامي بالمتنورين من أمثال هارون الرشيد أو المأمون الذين سمحوا بتطور الفنون والعلوم في فترة حكمهم[136]. ففي عهدهم تطورت الفرق الكلامية ذات الخطاب والتأويل العقلاني والمنطقي للدين، خاصة مع المعتزلة التي كانت تدافع عن فكرة "خلق القرآن" والتي واجهتها الأشعرية بقوة. وحين تبنَّى الخليفة المتوكل المذهب الأشعري تم القضاء على فكر المعتزلة، وأصبحت الأشعرية تمثل الخطاب الرسمي للدولة الذي ينبني على ثلاث محاور:

1- **الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق** لأن محمد أُسريَ به الى السماوات ورأى بأم عينه القرآن الأزلي في اللوح المحفوظ.

2- **عقيدة الناسخ والمنسوخ:** وهي عقيدة كان الهدف منها هو وضع حد لأي خلاف محتمل حول السور المتناقضة داخل النص القرآني، والاعتماد أكثر على السور "المتأخرة" للقرآن. عقيدة النسخ ترتكز هي الأخرى على تقسيم القرآن الى آيات مكية (تنتمي للمراحل الاولى لمحمد) وآيات مدنية (معظمها جاءت في مرحلة الحروب والغزوات)... والقرآن نفسه يشير الى عملية النسخ في سورة البقرة آية 106 وسورة

[135] الشريعة هي الأخرى كان لها دور في التغييرات والاضافات التي لحقت بالنص القرآني.
[136] هذه الفترة يصفها التاريخ الإسلامي بالفترة الذهبية.

النحل آية101. هذا الاجتهاد والعناء الفكري لإبراز أهمية الناسخ والمنسوخ، وترتيب السور الى مكية ومدنية لم يكن بالأساس من أجل الدين ولا للهداية إليه، بل كان في خدمة السلطة السياسية للحكام لأن جميع الآيات الناسخة هي **الآيات التي تدعم الجبرية والخضوع والاستسلام لحكم الخليفة العباسي**[137].

3- **إغلاق باب الاجتهاد ونهاية الابداع الفكري** ونهاية التأويل في الأمور الدينية، باعتبار أن ما تم إنتاجه في الحقبة العباسية كاف لمعرفة الدين الإسلامي. وبهذا القرار أُسدل الستار على الفكر الحر، وأصبح نقد الدين من المحرمات التي تجرّ صاحبه الى العقاب أو الموت.
هذه القرارات الثلاثة لا زالت سارية المفعول في الدول الإسلامية الى يومنا هذا.
انطلاقا من هذه القرارات الثلاثة واعتمادا على تقديس شخص محمد كما يفرضه الخطاب الإسلامي (ومعه تقديس الزمن الأول للإسلام والخلفاء الراشدين) تمكَّنت الدولة العباسية من التأسيس النهائي للإسلام ووضعت جميع الشروط لتحجره. لذلك فالإسلام لم يعرف أي تغيير ملحوظ منذ الحقبة العباسية لا من ناحية العقيدة ولا من حيث الخطاب[138]. كل محاولات التجديد كانت تحبط في المهد. اما فيما يخص ممارسة الشعائر الدينية[139] فإن المسلمين لم يغيروا منها شيئا، وكانوا في أغلب الأوقات يتأقلمون مع الظروف السياسية والاجتماعية التي يتواجدون فيها. مثلا في البلدان الليبرالية يتصرف المسلمون بنوع من المسالمة وأحيانا يسلكون اسلوب التقية نظرا لأقلية أعدادهم. لكن على العموم فإن الإسلام لا يترك للمؤمن هامشا آخر غير "الإسلام الوهابي" الأصولي، أو الإسلام كما تمت بلورته في العصر العباسي خلال القرن العاشر الميلادي، مسيّجا بما تمليه المذاهب السنية الأربعة. وهذا ما جعل كل الأجيال المتلاحقة تبقى سجينة هذه الصورة "الخيالية" التي رسمها العباسيون للإسلام، والمسلمون، بشكل أو بآخر، مطالبين بإعادة إنتاجها باعتبارها الصيغة المثالية الأسمى للإسلام.

---

137 هذا لا يعني أن الآيات المنسوخة يتم الاستغناء عنها. فغالبا ما يتم الاستنجاد بها لتبرير موقف معين. فمثلا حين يشكل المسلمون أقلية فالآيات المكية تظهر على السطح ويتم اعتمادها لأنها تدعو الى الاخاء والى التسامح، وحين يكون أعدادهم كبيرة يتم استخدام الآيات المدنية التي تدعو الى القتال والجهاد ضد الكفار....

138 لم يعمل المفكرون ولا رجال الدين في القرن 20 إلا على إعادة إنتاج وتأويل التراث اللاهوتي للحقبة العباسية.

139 سنعود فيما بعد للتمييز بين العقيدة الإسلامية وممارسة الشعائر لدى المسلمين.

cc BY ND NC

الـسُّنـــة والـشـيـــعـة

ينقسم المسلمون الى سنة وشيعة، والشيعة من أهم التيارات المنشقة في الإسلام، والإسلام السني يمثل أغلبية المسلمين بنسبة 85 بالمائة. وعلى الرغم من أنهم من أتباع علي وبنوه، وأنهم كانوا من المعارضين لحكم معاوية، وعلى الرغم من أن التشيع بدأ في بلاد فارس، إلا أن الشيعة تتقاسم نفس النواة الفكرية المؤسِّسة للإسلام: فهي تعتمد على نفس القرآن (على الرغم من اعتقادها أن القرآن قد تعرض للتحريف)، وعلى نفس السيرة النبوية (تقريبا) ونفس الخطاب ونفس المبادئ المؤسسة للشريعة. لكن أهم ما يميز هاذين التيارين، هو أن السنة كانت مرتبطة أساسا بالطبقة العسكرية التي كان هاجسها ومحركها هو الغزو و"الافتراس" والسيطرة السياسية، في حين كانت الشيعة تهتم بالجانب الروحي والصوفي الذي يعزى لعلي، مع الاحتفاظ بالإرث الفكري الذي يتمحور حول القيامة وآخر الزمان. كما أن الفرق بين السنة والشيعة يظهر على مستوى التنظيم الداخلي للطائفتين، حيث يوجد على رأس هرم الطائفة الشيعية إمام يسيِّر الأمور السياسية بشكل مركزي. وهذا التنظيم جاء كنتيجة لمعارضتهم السياسية لحكم معاوية والأمويين. لقد أنتجت الشيعة كذلك خطابا دينيا موازيا وأحاديث نبوية لتبرير مطالبهم السياسية، وأعادت كتابة التاريخ بما يناسبها[140]بنفس الطريقة العكسية التي اتبعتها السُّنة.

الصراع بين السنة والشيعة (في الماضي كما في الحاضر) مبني على نفس الايديولوجية المسيانية، وعلى تصور متشائم بشكل مرضي يعتبر هذه الحياة عالما مليئا بالشر والظلم، ويقسم البشر الى أخيار وأشرار. فمن يتبنى عقيدتهم فهو من الطاهرين وبالتالي فهو يسعى الى محاربة الشر، وانطلاقا من هذه الرؤية فإن أشد الأشرار هو المنافق، أو المؤمن المزيف القليل الايمان بأيديولوجيتهم. كما أن الاعتراض أو التشكيك في مشروعهم المسياني[141] هو بمثابة خيانة عظمى. ينتج عن هذه الرؤية سلوك غريب يتم من خلاله **وزن إيمان الآخرين**، كما أن **التصدي لعدم**

---

[140]يظهر ذلك مثلا من خلال خطابهم المليء بالعداء والكراهية التي يكنها الشيعة للخلفاء الأولين الى درجة اعتبارهم خارجين عن الدين (في حين تعتبرهم السنة "خلفاء راشدين").

[141] انه نفس المنطق الذي يحكم كل النظريات والأيديولوجيات المسيانية: فالشخص الذي يعترض على قيام الشيوعية هو الشيوعي الخائن. كان أكبر عدو لستالين هو تروتسكي "الخائن"، وأكبر عدو للإسلامي المتطرف هو المسلم المنافق أو قليل الإيمان.

إيمان الآخر بالمشروع يعتبر زيادة في الإيمان: وبهذه الطريقة يبدأ مسلسل تطهير الآخر والتطهر من الآخر بقتله وإبادته. وما دام أن هناك أشخاص يعتبرون أنفسهم أكثر إيمانا من الآخرين فإنهم يدخلون في صراع داخلي معهم. هذا هو أساس كل الصراعات التي يعرفها المسلمون (سنة وشيعة)، وهي نفس العناصر التي تجعل الإسلام يدور في حلقة مفرغة وفي صراع دائم مع نفسه، وهي التي تمد الشعوب الاسلامية بالوقود الأساسي للحروب والصراعات الداخلية ومع الآخرين.

هناك اختلاف آخر بين السنة والشيعة قد يعزى الى تواجد التشيع في المحيط الفارسي وكذلك الى المحيط الأول الذي كانت تنشط فيه الطائفة اليهودية الناصرية. فالشيعة والسنة لا تعتمدان على نفس كتب الحديث على الرغم من ممارستهم لنفس الشعائر الإسلامية مع بعض الاختلافات الطفيفة. فالشيعة تعتمد على أحاديث محمد وكذلك على أحاديث الأئمة الاثنا عشر[142] الذين تعتبرهم الخلفاء الحقيقيون للرسول، بدءا من علي وبنوه الحسن والحسين (الذين تقدسهم الشيعة) وصولا الى الإمام الثاني عشر، الإمام محمد الحسن العسكري الملقب ب "محمد المهدي". وتعتقد الشيعة أن هذا الإمام سيعود في نهاية الزمان بعد أن حفظه الله عنده منذ القرن التاسع الميلادي. وبذلك فإن السنة والشيعة يؤمنان بنهاية الزمان، لكن لكل واحد منهما سيناريو خاص به مختلف عن الآخر، وهما في كلتا الحالتين يعيشان في "حالة انتظار": كلاهما يحلم بتحقيق ملك الله على الأرض، وينتظرون يوم القيامة وعودة منقذ لهذا العالم. فالمهدي المنتظر سيأتي في آخر الزمان ليحارب مع المؤمنين كل قوى الشر، ويعيش المؤمنون الأخيار خالدين في مملكة الله. بالنسبة للشيعة سيأتي المسيح في نهاية العالم ليحارب الشر ويمهد الطريق للمهدي لبناء مملكة الله، في حين تعتقد السنة أن المهدي هو آخر خليفة لمحمد، وهو الذي سيقوم بتوحيد الأمة الإسلامية (وقد يكون المهدي هو المسيح نفسه. هناك أحاديث للبخاري ومسلم تتحدث عن الخليفة الذي يخرج في آخر الزمان، وعن علامات خروجه، فعن أنس بن مالك "لا مهدي إلا عيسى بن مريم").

من خلال ما تقدم يظهر لنا أن هناك تاريخا آخرا للإسلام: تاريخ مخفي أو مطموس، لا علاقة له بالتاريخ الرسمي الذي يروج له الخطاب الإسلامي باعتباره يمثل الأحداث التي وقعت في بداية الإسلام. هذا التاريخ المخفي يلتقي مع تاريخ الطائفة

[142] تشكل الشيعة الاثنا عشرية 90 بالمائة من مجموع الشيعة. كذلك هناك الشيعة الاسماعيلية (التي تحد تسلسل الأئمة عند الإمام السابع) و الشيعة اليزيدية .... كما أن هناك أسر ذات أقلية مرتبطة بالشيعة كالدروز والعلويين...

اليهودية الناصرية[143] التي كانت تحلم باسترجاع مدينة أورشليم وإعادة بناء الهيكل. هذا التاريخ هو نتيجة المحاولات النظرية والعملية التي قام بها العرب لطمس وإخفاء كل معالم وبقايا هذه الطائفة انطلاقا من تحريف كتبهم واستغلال أيديولوجيتهم لكي تصبح وسيلة لتبرير غزواتهم وسيطرتهم على العالم، باعتبارهم خير أمة أخرجت للناس.

لكن قبل الختام سنلقي الضوء على الطريقة التي تمت بواسطتها عمليات التحريف والإضافات، وانطلاقا من ذلك سنقترح بعض المفاتيح لقراءة القرآن قراءة جديدة تمكِّن من فك شفرة لغز النص القرآني. هذه المفاتيح ستكشف أيضا عن بعض الآثار المتبقية داخل النص القرآني التي تشير الى بدايات الإسلام وجدوره الحقيقية.

[143] الاتجاه المسيحي الصرف أحدث القطيعة الإبستمولوجية مع أيديولوجيتهم بصفة نهائية

cc BY ND NC

V
مفاتيح لقراءة الخطاب الاسلامي على ضوء أصول نشأته الحقيقية

عرف القرآن تطورات كثيرة عبر التاريخ بدءا من الصحف الأصلية الأولى التي كتبتها وبلورتها الطائفة اليهودية الناصرية، وصولا الى النص النهائي للقرآن الذي بين أيدينا اليوم. لقد تعرض لعمليات طويلة ومعقدة من التغييرات والتحريفات في سيرورة التشكل التي مر بها، ولذلك فهو من النصوص الإسلامية التي عرفت سلسلة من الصياغات المستمرة والمتكررة الى أن أصبح على ما هو عليه الآن: نص يصعب فهمه، وفي غالب الأحيان يستحيل فهمه من دون اللجوء الى التفاسير والشروحات التي نُسجت حوله. وهذه التفاسير والشروحات عرفت هي الأخرى مسلسلا من التغييرات والتنقيحات... وهذا ما جعل الدراسات المتعددة التي حاولت أن تفهم الإسلام كخطاب وكعقيدة وكأحداث تاريخية لا تتمكن من رسم ولو صورة تقريبية عنه. إلا انه مع الاكتشافات العلمية والحفريات الحديثة، وتطور علوم جديدة كالفيلولوجية ودراسة المخطوطات (الكوديكولوجيا) تمكنت الدراسات والأبحاث أن تخطو خطوات جريئة لفهم هذا النسق، من بينها على سبيل المثال الأطروحة التي ناقشها الأستاذ ماري كالي حول الطائفة اليهودية الناصرية والدور المحوري الذي لعبته في نشأة الإسلام. ولا يزال أمام البحث العلمي اشواطا كبيرة لفك رموز الخطاب الإسلامي الشائك وسبر أغواره. وأملا في الوصول الى رؤية واضحة في المستقبل، نتمنى أن تكون هذه الدراسة قد قدمت بعض الأضواء لفهم الأحداث التي أحاطت بنشأة الإسلام وبتشكل الخطاب الإسلامي.

نماذج من تحريف العناصر المؤسسة للعقيدة الإسلامية

سنعرض في البداية الى بعض الآليات التي تم الاعتماد عليها في عمليات تحريف العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ونحدد التاريخ الذي وقعت فيه انطلاقا مما سبق التطرق اليه. وهنا لا بد من الإشارة الى أن هذا التحريف كان يعتمد على تقنيتين كبيرتين:

أ- في الفترات الأولى للإسلام (خاصة فترة الخلفاء الأولون الى عهد عبد الملك بن مروان) حين كانت النصوص محصورة في يد المسلمين، كانت عمليات التغيير

والحذف والإضافة في النصوص الأصلية عملية سهلة نسبيا (مع احتمال قيام قلاقل أو فتن) حيث تم حذف وحرق بعض الأوراق وإضافة أخرى محلها. وفي حالات أخرى كان يتم حذف كلمات أو عبارات "غير ملائمة" وتعويضها بكلمات أو جملا أخرى. كما أن الكتّاب المأجورين من طرف الخلفاء هم الآخرون أضافوا تقنيات أخرى لتنظيم النصوص وهيكلتها (كتنظيم السور، واختيار الآيات الملائمة، وتسلسل الآيات والسور). وفي هذه الحالة فإن التحريف لحق بالنص الأصلي كما يظهر ذلك من خلال الدراسة التي أجريت على مخطوطات صنعاء[144].

ب- لما أصبحت اللغة العربية مكتملة وقائمة الذات في عهد عبد الملك بن مروان، وتم توزيع النسخ القرآنية بشكل واسع في جميع أنحاء الدولة الأموية، بات من الصعب جدا تحريف النص القرآني، فكان اللجوء فقط الى تقنية التنقيط والتهميز[145] التي سهَّلت تغيير المعنى اعتمادا على النصبة أو الرفعة أو الكسرة (وبهذه الطريقة "البسيطة" يصبح مثلا الفاعل مفعولا به... كما سنرى فيما بعد). وحين تتعذر الأمور يتم الاستعانة بعملية ثانية وهي تغيير معاني النصوص، كما رأينا فيما سبق، بتغيير معاني بعض الكلمات، أو إعطاء أسماء جديدة للأشخاص وللأماكن بشكل اعتباطي، لكي يعطي معنى جديدا للنص القرآني. ثم اجتهد الكتاب فاختلقوا وأبدعوا نصوصا أخرى اضافية تشرح النص القرآني وتؤوله حسب الغاية والأهداف التي يراد أن يقولها القرآن، وصناعة أحاديث مغرضة، ثم أعادوا كتابة الأحداث والوقائع التاريخية من جديد ... إن خلق قصة الاسراء والمعراج تبيّن مدى الإبداع الأدبي والفني لدى الكتاب المأجورين من طرف الخلفاء، وقدرتهم على إعادة كتابة التاريخ وإطلاق العنان لمخيلتهم. هذه التقنية تعتمد على "تحريف الخطاب" ككل، وهي عملية لا زالت تمارس الى يومنا هذا من طرف مجموعة من الفقهاء والشيوخ الذين يحاولون تأويل النصوص القرآنية وإعطائها معاني جديدة، كما هو الحال بالنسبة للأعمال التي تحاول أن تجد في القرآن الحقائق العلمية المعاصرة التي يطلق عليها "الإعجاز العلمي في القرآن". الإعجاز العلمي للقرآن هو تجسيد حي للبناء العكسي السالف الذكر، الذي ينطلق في خطابه من النتائج بدلا من المقدمات.

---

144 يتعلق الأمر بإحدى المخطوطات القديمة للقرآن التي تم العثور عليها في مسجد صنعاء باليمن، والتي "نجت" من عمليات التدمير والحرق التي طالت الصحف الأولى التي قام بها الخلفاء الأولون. السيدة اسماء الهلالي قامت بدراسة حول "مصاحف قرآن صنعاء" نشرت سنة 2012. يمكن الاطلاع على مقالها حول مخطوطات صنعاء عن طريق الرابط:
Le Palimpseste de Sanaa et la Canonisation du Coran: Nouveaux Développements

145 للإشارة فإن تطور عملية التهميز والتنقيط استمرت الى حدود القرن العاشر الميلادي.

لقد تم اللجوء الى كل هذه "الآليات" من أجل تكوين العقيدة الإسلامية على مر السنين، نتج عنها مجموعة من التراكمات على شكل طبقات سميكة يصعب معها التعرف على المنطلقات والأسس الأولية التي شكلت الإسلام، وخاصة ذلك المعتقد الذي كانت تؤمن به الطائفة اليهودية الناصرية وتدعو إليه. التفاسير والتأويلات التي أحاطت بالنص القرآني طمست كل معالم هذه الطائفة ومعتقداتها. لكن الأبحاث العلمية المتتالية الأخيرة مكَّنت من كشف المستور وفضح تقنيات التزوير والتحريف والتلفيق الذي كان يلجأ إليه المسلمون في محاولة لتقديم خطاب لا علاقة له بالوقائع والأحداث التاريخية الحقيقية لتشكل الإسلام المبكر. معرفة هذه التقنيات تمكن من فك شفرة الخطاب الإسلامي، والأصول الحقيقية الأولى للإسلام. فالرؤيا تتضح أكثر إذا استعملنا مفاتيح جديدة، وإذا تعاملنا بحذر شديد مع ما يقدمه الخطاب الإسلامي الرسمي.

لكن قبل ذلك سنعرض لأهم المواضيع التي طالها التحريف، كتلك التي تتعلق بالمؤمنين بالديانات التوحيدية الأخرى (أي اليهود والمسيحيون)، وكذلك الوقائع التاريخية والأماكن الجغرافية التي نشأ فيها الإسلام، وهو ما سيمكننا من التعرف على بقايا بعض الحقائق التاريخية التي لازالت عالقة بالموروث الثقافي الإسلامي، على الرغم من كل محاولات التحريف والتأويل والتدمير التي أشرنا اليها.

المسلمون، المسيحيون واليهود حسب العقيدة الإسلامية

حسب الرواية الإسلامية ظهر الإسلام في محيط وثني، لكن تاريخيا نعرف أن المسيحية قد اكتسحت الشرق الأوسط بأكمله منذ 6 قرون، وأن المسيحيين واليهود قد استقروا به منذ عقود طويلة جدا، وأقاموا علاقات تجارية كبيرة في هذه المنطقة. كما أن الرواية الإسلامية تشير الى أن قبائل قريش (ومحمد واحد منهم) كانت تربط علاقات تجارية متينة مع اليهود والمسيحيين. لكن هذه الرواية تنفي أن يكون محمد قد "استلهم" دين الإسلام منهم، وتقول إن الإسلام كان وحيا من السماء. لكن البحث العقلاني لا يعتد كثيرا بهذه الرواية، ويبحث بشكل محايد وموضوعي عن الكيفية التي تمكن بها محمد من تأسيس الإسلام، فكان الطرح الأول هو أن محمد قد تعلم و"أخذ" عن اليهود والمسيحيين ثم كوَّن لوحده "الدين الجديد". لكن هذه البحوث حتى وإن أزالت فكرة "الوحي السماوي/الإلهي" فهي لم تتقدم كثيرا في معرفة جيدة

للإسلام، وبقيت سجينة لما تقدمه الرواية الإسلامية عن الإسلام باعتباره نشأ في بيئة صحراوية مليئة بالوثنيين، لأنها تمكنت من محو آثار الطائفة اليهودية الناصرية والتأثير الجوهري الذي قامت به لاستمالة واستقطاب العرب الى مشروعها الايديولوجي.

السبب، على ما يبدو، في كون هذه المحاولات العقلانية الأولى لم تتمكن من كشف الحجاب عن المستور من آثار هذه الطائفة، يرجع الى دهاء الخلفاء العباسيين الذين جنّدوا وموّلوا كُتَّاب وأدباء و"مؤرخين" أذكياء. فحين تتحدث السيرة عن حياة محمد فهي تذكر اليهود والمسيحيين، لكنها لا تتطرق بتاتا للطائفة اليهودية الناصرية. فما هي الحيلة التي لجأ إليها هؤلاء الكتبة لمحو آثار هذه الطائفة من التاريخ على الرغم من الدور الجوهري الذي لعبته في تأسيس الدين الإسلامي؟

للإجابة على هذا السؤال سنعود الى التاريخ الأول، زمن التحالف اليهودي الناصري مع القبائل القريشية في سوريا، ثم في يثرب-المدينة. فحسب العقيدة التي كانت تؤمن بها هذه الطائفة فإن اليهود الناصريين كانوا يعتبرون أنفسهم هم المؤمنون الحقيقيون، في حين كانت تصنِّف المؤمنين بالديانات الأخرى الى قسمين: فهناك المسيحيين، وتصفهم **بالمشركين**[146] وأغلبهم من العرب، ثم هناك اليهود الحاخاميين وتعتبرهم **كفارا**. اليهود الحاخاميون واليهود الناصريون يشكلون **"أهل الكتاب"**. لكن السؤال هو: عن أي كتاب تتحدث هذه الطائفة في القرن 7م؟ إن الكتاب الذي كان يشكل المرجع الأساسي لها هو التوراة بكل امتياز[147]. وحين كانت تستعمل عبارة "أهل الكتاب" كانت تعني بها اليهود الحاخاميين أبناء عمومتهم، الذين يشاركونهم نفس الإرث الديني، لكن في نفس الوقت كانوا يعتبرونهم "كفارا" بمعنى حرفوا وشوهوا الدين اليهودي الحقيقي وأضافوا نصوصا أخرى إليها. ولذلك فإن اليهود الناصريين كانوا يعتقدون أنهم هم من يمثل الدين اليهودي الحقيقي، ومع حلفائهم العرب يشكلون خير أمة. كلمة أمة ذات أصل عبري ويمكن ترجمتها بالعشيرة أو القبيلة.

---

[146] حوالي 746م كتب يوحنا الدمشقي في كتابه حول الهرطقات أن العرب كانوا يتهمون المسيحيين بإدخال شريك لـ الله، ويعتقدون أن المسيح ابن الله وأنه هو الاله. والعرب في هذا الاتهام كانوا يرددون معتقدات الطائفة اليهودية الناصرية. بالإضافة الى ذلك فان يوحنا الدمشقي يتحدث عن "مشركين" وليس عن "وثنيين" أو عبدة أصنام.

[147] أصل كلمة توراة من الإغريقية Byblos التي تعني كتاب، وكانت تحيل الى مركز لصناعة الكتب. كانت الطائفة اليهودية الناصرية تعترف بكتاب مقدس واحد، في حين أن المسيحيين واليهود الحاخاميين يعتمدون على العهد القديم، وهو مجموعة من الكتب وليس كتابا واحدا، والمسيحيون لهم أربعة أناجيل وليس انجيلا واحدا.

كلمة أمة تمت بلورتها انطلاقا من كلمة "أم" وأصلها من التوراة[148]، وتعني القبائل اليهودية الاثنا عشر التي تشكل إسرائيل: الشعب المختار. وتعتقد الطائفة اليهودية الناصرية أنها تمثل الشعب المختار لوحدها، وأنها اسرائيل الحقيقية. وهذا بالضبط ما يقوله القرآن إذا قرأناه قراءة أخرى، غير القراءة المعتادة. فلما تم استقطاب العرب بالكامل ودخلوا معهم في تحالف قوي أصبحوا جزءا من "الأمة"، باعتبارهم ينحدرون جميعا من "ابراهيم" الأب المؤسس، وأب السلالة العربية كذلك.

في الفترة الزمنية التي تمكن فيها الخلفاء العرب من طمس ومحو كل آثار الطائفة اليهودية الناصرية من المشهد (أي في سنة 640م وما بعدها)، عمل عمر وعثمان والخلفاء اللاحقين على تغييرات مهمة في الأوراق والصحف التي تشكل منها القرآن، حيث أضافوا كلمة "نصارى"، خاصة في الآيات التي كانت موجهة بالأساس لليهود الحاخاميين، وأطلقوا هذه الكلمة بكثير من التعتيم على المسيحيين. وهكذا تم تحريف الكلمة ومعانيها، مما ترتب عنه تحريف الخطاب ككل بحيث أصبح لغزا مشفرا من الصعب فك رموزه[149]. في البداية كان التحريف يهدف الى تبرير الحقد الذي يكنه العرب لحلفائهم الأولين اي الطائفة اليهودية الناصرية، وهو ما دفعهم الى الاستئثار بمفهوم "الأمة"، لكي يصبح العرب هم الشعب المختار الذي يمثل المؤمنين الحقيقيين. وفي النهاية لم تعد كلمة "أمة" تعني شيئا آخر غير المسلمين.

ومع مرور الوقت أُضيفت تحريفات جديدة على أخرى قديمة الى أن تشكلت "ديانة جديدة" انسلخت بشكل جذري عن الوقائع والأحداث التي شكلتها في البداية، وعوضت السردية الاسلامية الظروف التاريخية ب"السماء" و"الوحي"، وتمركز الجهد الفكري حول إثبات أصالة الدين الجديد وعدم تبعيته لأي تأثير فكري أو عقائدي قديم. وانطلاقا من هذا تم تقديم الإسلام والقرآن كنتاج لبيئة خالية من أي فكر مسيحي أو يهودي، وتم اختراع بيئة وثنية مليئة بعبدة الأصنام وتعدد الآلهة. هذه التحريفات جعلت القرآن يتحدث (على الرغم منه) عن تعدد الآلهة وعن بيئة وثنية ظهر بها الإسلام. لكن الاشكال الكبير هو أن الخطاب الذي يدور في فلك القرآن تكوّن وتبلور بعد أن "استقر" النص القرآني وأخذ صورته النهائية وتم توزيعه في عهد عبد الملك بن مروان ومن تبعه. ومن هنا جاءت الصعوبات النظرية التي عرفها الخطاب الديني الإسلامي: كيف يمكن أن نستخرج من النص القرآني معاني ودلالات

[148] العهد القديم سفر التكوين 25 (وتعني قبيلة، شعب)

[149] لقد تطرق لهذا التحريف كل من الباحثين الفرنسيين موسالي وماري كالي : A. Moussali, E.M. Gallez

CC BY ND NC

لا توجد فيه ولا يشير إليها؟ ولذلك تم اللجوء الى تحوير الكلمات نجم عنه تحريف الخطاب بأكمله، الشيء الذي أدى الى انزلاقات لغوية للمفاهيم ولمعاني الكلمات، كما هو مبيَّن في الجدول التالي:

تحريف المصطلحات التي تشير الى المؤسسين الأصليين للإسلام

الطائفة اليهودية الناصرية.	**القرن 6-7م** زمن التحالف العبري العربي	**النموذج الأول للإسلام**	**سنة 640م** فترة التخلص من الطائفة اليهودية الناصرية	**الاسلام المبكّر**	**الاسلام كما نعرفه اليوم**
المعاني الأولى التي كانت تعطيها الطائفة اليهودية الناصرية لمصطلحات الأمة، أهل الكتاب، الكفار (المحرفون)، المشركون... وهي معاني لازالت كامنة في النص القرآني.		**الترجمة العربية للكلمات غير العربية** التي استعملها النموذج الإسلامي الأول للدلالة على هذه المصطلحات			**الخطاب اللاهوتي للإسلام في بداية تشكله ومرحلة التكوين النهائي للعقيدة الإسلامية**
الأمـــة. كلمة عبرية آرامية تشير الى القبيلة (إحدى القبائل الاثنا عشر)		**الأمـــة.** الأمة العربية- العبرية الائتلاف والتحالف الذي يسعى لتحقيق إرادة الله. العرب الذين تم استقطابهم من طرف الطائفة اليهودية الناصرية			**الأمـــة.** الأمة الإسلامية: الجماعة التي اختارها الله وفضلها على الآخرين. انهم المسلمون
أهل الكتاب هم: الطائفة اليهودية الناصرية واليهود الحاخاميون		**أهل الكتاب هم:** النصارى العبريون الناصريون (من الناصرية) الكفار (أي محرفون) = اليهود الحاخاميون.			**أهل الكتاب هم:** النصارى (الناصريون)= المسيحيون. اليهود = الكفار
المشركون هم: المسيحيون		**المشركون هم:** المسيحيون			**المشركون:** (الكلمة أصبحت تعني **الوثنيين وعبدة الأصنام، وتعدد الآلهة**) انزلق المعنى وتوسع لكي يشمل المسيحيين، وأصبحت الكلمة في النهاية تدل على **غير المؤمنين وهم:** الكفار الذين لا يؤمنون بالإسلام

بدأت عمليات التحريف منذ البداية الأولى للخلافة في عهد عمر بن الخطاب الذي كان يبحث من خلال النصوص المتوفرة لديه عن شيء ما ليبرر به القطيعة التي وضعت حدا للتحالف العربي العبري الأول. واستمرت عمليات التحريف مع مرور الزمن الى حدود القرن العاشر حيث فرض المفسرون وفقهاء التأويل معاني جديدة لكلمات القرآن فأنتجوا بذلك خطابا جديدا موازيا للنص القرآني (اعتمدوا فيها على اختلاق الأحاديث، وكتابة سيرة خيالية، وروايات مصطنعة لا علاقة لها بالتوثيق التاريخي للأحداث...). وهكذا تحوَّل مفهوم الأمة ليشير الى المسلمين (الذي كان يعني في البداية المجموعة المكونة من الطائفة اليهودية الناصرية والقبائل العربية المتحالفة تحت مظلة الدين الابراهيمي، تم أصبح يشير الى المسلمين في عهد العباسيين، ليأخذ معنى أوسع مع انفتاح العباسيين على العالم). وأصبحت عبارة "أهل الكتاب" تعني أهل الديانات التوحيدية الثلاثة، وأصبح لكل ديانة كتابها المقدس.

المفهوم الجديد لأهل الكتاب لعب دورا كبيرا في تأسيس الدين الإسلامي لأنه مكّن العرب من امتلاك دين جديد خاص بهم مقابل الديانات الأخرى. وانطلاقا من هذا المعطى تناسلت التبريرات: فكتابهم يضاهي الكتب الأخرى بل هو أفضلهم لأنه يشكل الخلاصة والزبدة، فهو أنقى كتاب في اعتقادهم، ويحتوي على الحقيقة المطلقة. والإسلام في نظرهم هو القمة، لأنه جاء لينهي سلسلة الأديان التوحيدية التي سبقته: فهو خاتمة الوحي. وهذا ما يبرر تكرار وتشابه المعاني والقصص التي يرويها العهد القديم، فالمصدر واحد: الإله السماوي الواحد (والجذر واحد هو الدين الابراهيمي). هذا البناء اللاهوتي للدين الإسلامي يعكس ذكاء ودهاء الكتاب والسياسيين حين استعملوا مفاهيم قديمة وملأوها بمعاني جديدة تبرّر حداثة الإسلام على الرغم من التشابه القوي والصارخ بين الإسلام واليهودية من خلال العادات والتقاليد المشتركة، وكذلك التشابه الحَرْفي أحيانا كثيرة بين نصوص القرآن ونصوص العهد القديم.

لقد تمكَّن البحث العقلاني الحديث من إماطة اللثام، وأظهر السبب الحقيقي لكل هذا، خاصة حين نقارن بين الإسلام واليهودية المسيانية[150]: فكلاهما يمثل نفس العملة،

[150] الإشارة هنا الى تيار اليهودية الذي لايزال يحمل مشروعا مسيانيا. وهي أيديولوجية لم تتخلص منها الديانة اليهودية، وتظهر من خلال الأحداث التاريخية كتلك التي قامت خلال القرن 17م (تسمى فترة صباطي زيفي Sabbatai Zévi) أو تلك التي تظهر من حين لآخر من خلال دعوات اليهود "الصهيونيين" المتطرفين المهووسين بإعادة بناء هيكل أورشليم.

وإن كانا يتجاهلان بعضهما البعض فانهما متقاربين، فالمسلمون واليهود أقارب الى أبعد الحدود.

لقد مكنت عملية تحريف معاني الكلمات والمصطلحات من محو نهائي لآثار الطائفة اليهودية الناصرية، بحيث أن كلمة نصارى التي تشير إليهم، أصبحت تدل على المسيحيين وحدهم. وحين نريد أن نغيّر الواقع والأحداث التاريخية، فإننا غالبا ما نلجأ الى تغيير دلالات ومعاني الكلمات والمصطلحات. لقد تمكن الفقهاء والمفسرون من ليّ عنق الكلمات خاصة كلمة "كفر" (والتي تعني لغويا حجب أو غطّى) التي استعملتها الطائفة اليهودية الناصرية لاتهام اليهود الحاخاميين، ليصبح مدلولها "الذين لا يؤمنون"، والأشرار، والذين يرفضون الدين أو ينكرونه. وبهذا التحريف للمعنى تمكّن الخطاب الإسلامي من تجنب الأسئلة المحرجة، مثلا: كيف نميز بين اليهودي الحقيقي واليهودي المزيف؟ أو من هم اليهود الحقيقيون الذين يمكن للمسلمين التعامل معهم؟ ثم ماذا كان اليهود المزيفون يحرفون أو يخفون حتى تنزل عليهم اللعنة الالهية، ويتم الحقد عليهم بهذا الشكل العنيف؟

وفي الختام تم تحريف كلمة "مشركون" التي كانت تشير الى المسيحيين لكي تدل على بيئة مليئة بالأوثان والأصنام وكثرة الآلهة، وبالموازاة معها تم اختراع أسطورة "الجاهلية"[151] للدلالة على الجهل والفوضى للفترة التي ظهر فيها الإسلام والوحي الالهي. وبهذه الطريقة استطاع الفقهاء المؤولون أن يجدوا منظومة لغوية داخل النص القرآني مَكَّنتهم من تبرير الخطاب الإسلامي ككل.

نماذج من عمليات تحريف الحقائق التاريخية في الخطاب الإسلامي

موازاة مع الاشتغال على مستوى المفاهيم، كانت هناك عمليات تحريف على مستوى المادة التاريخية والجغرافية التي شكلت الأسس الحقيقية للإسلام. وكانت البداية بالطبع هي طمس ومحو الدور المحوري الذي لعبته الطائفة اليهودية الناصرية، ثم ازدادت تخمة التحريفات وتراكمت الى أن أصبح لدينا الخطاب الإسلامي الحالي

[151] لتعزيز هذه الأسطورة اخترع الخطاب الإسلامي قصة خيالية مفادها أن العرب كانوا يعيشون في وسط وثني فج ويعبدون الأصنام ويدفنون بناتهم أحياء (قصة وأد البنات)، وتم تأويل الآية 58 -59 من سورة النحل "واذا بشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ". الخطاب الإسلامي تجاوز المعنى الأولي لكلمة "دس" في التراب التي تعني وضع في التراب أو "تخلى عنه" وهو المعنى المتداول الى يومنا هذا (انظر بداية شرح القرطبي للآية حيث يقول: يتوارى ويختفي من القوم من سوء ما بشر به)

الذي بُنِي على ضرورة التبرير الذاتي للخطاب، وعلى "منطق" تأويل الشهادات والدلائل التاريخية.
لقد أصبح النص القرآني نصا غامضا من كثرة التحريف وتراكماته، وما على القارئ اليوم إلا أن يتحلى بالصبر وقوة الخيال لفهم معنى آية من الآيات. يضاف الى هذا، تحريف الدلائل التاريخية واسماء الأماكن والبنايات والمساجد التي لها قبلة غير القبلة الحالية كما هو الأمر بالنسبة لقبة الصخرة التي لا قبلة لها (والتي يحتفي بها المسلمون اليوم باعتبارها المكان الذي انطلق منه محمد نحو السماء، في حين تم بناؤها لخدمة أغراض أخرى).
هناك كذلك الروايات الشفوية التي تم تجميعها وتأويلها، أعطت فيما بعد ما يسمى مثن "الأحاديث النبوية" ("علم" الحديث)، تم تدوينها في نهاية القرن 8م (ق2هـ). وكلما ابتعدنا عن زمن وقوع الأحداث التاريخية التي نشأ فيها الإسلام، كلما ازداد التضخم في هذه الروايات والشهادات نتيجة لحدة المنافسة والمزايدة بين الرواة لتقديم أكبر قدر من الجزئيات والتفاصيل عن حياة "الرسول"، على الرغم من أن الفترة الزمنية للأحداث تبتعد ب 50 سنة الى 100 سنة على موته، والشهود العيان لما وقع فعلا قد ماتوا منذ زمن طويل. طبعا كان الهدف من وراء هذه التلفيقات والتأويلات هو تقديم صورة مثالية لشخص محمد، وللأحداث التي ظهر وتشكل فيها الإسلام المبكر.
نورد هنا بعض الأمثلة النموذجية للتلفيق والتحريف الذي قام به الخطاب الإسلامي:
- على المستوى الجغرافي: كان أهمها ما يتعلق بالإطار العام الذي تواجدت فيه قبيلة محمد (كانت مستقرة في سوريا قرب اللاذقية كما سلف الذكر) الذي تم تحويله الى مكة، وبالموازاة مع ذلك تمت إعادة تسمية الأماكن، والتلال، والحج (الى مكة بدل أورشليم) وتوجيه المساجد الى قبلة جديدة للصلاة... لكي تتلاءم مع أسماء الأماكن الفعلية. وساد التعتيم على كل ما له علاقة بالمعارك التي مكنت من استرجاع مدينة أورشليم سنة 637م. كل هذه الأحداث تم تحريفها وتلفيق أخرى محلها من طرف الخطاب الإسلامي من خلال اختلاق صراع وهمي بين قبائل وأحزاب مكة والمدينة.
- من خلال الشخصيات المؤثرة فكريا في تشكل الإسلام والتي لم يتمكن الخطاب الإسلامي من محوها أو طمس معالمها كشخصية ورقة بن نوفل اليهودي الناصري الذي تقدمه الرواية الإسلامية باعتباره راهبا مسيحيا. وهناك الراهب بحيرا الذي عزز به التراث الاسلامي نبوءة محمد من خلال علامات النبوة التي لا يعرفها إلا

كهان "أهل الكتاب". وللتذكير فإن شخصية بحيرا جاءت متأخرة في الرواية الإسلامية.

- بالنسبة للعداء الإسلامي لليهود ولليهودية، ما هو في الأصل إلا إرثا للعداء الذي كانت تُكنّه الطائفة اليهودية الناصرية لأبناء عمومتهم أي اليهود الحاخاميين (كما يظهر ذلك حين نفك شفرة النص القرآني). وللتذكير فإن هذا العداء تشهد عليه الأحداث التي نتجت عن غزو أورشليم سنة 614م حين طرد اليهود الحاخاميون أبناء جلدتهم اليهود الناصريين مع حلفائهم العرب من فلسطين. القبائل اليهودية التي كانت مستقرة في يثرب-المدينة اعتبرت هذا الطرد لأبناء عمومتهم، خيانة كبرى للدين وللتاريخ اليهودي. لكن هذه الأحداث أصبح لها فيما بعد معنى آخر داخل الخطاب الإسلامي. هذه الذكريات وقعت في زمن محمد، وبعد ذلك في فترة عمر: ففي سنة 640م حدثت القطيعة النهائية بين العرب والعبريين الناصريين الذي نتج عنه أحداثا دموية وتصفيات جسدية، وطرد قبائل يهودية بكاملها خارج المدينة. العداء لليهودية[152] والأحداث التي ترتبت عنه، تقدمها الرواية الإسلامية في صيغة جديدة مغايرة تماما لما وقع بالفعل، حيث أن السيرة النبوية تجعل محمد يطرد قبيلتين يهوديتين من بين ثلاثة: بنو قينقاع وبنو النضير. لقد تم تحويل تاريخ هذه الأحداث في قصة خيالية حيث يروي التاريخ الاسلامي الرسمي تفاصيل مرعبة لمذبحة قبيلة بني قريظة اليهودية سنة 627م.

- فيما يخص الصراع حول شرعية السلطة السياسية وموضوع خليفة الله في الأرض الذي لم يكن مطروحا في زمن محمد، فإن الخلفاء من بعد موته صنعوا شخصية أسطورية حول شخص محمد تبرر لقب "خليفة" الرسول. استعملت صفة "خليفة الرسول" لتظفي شرعية دينية-سياسية للحكام المسلمين الذين جاؤوا بعد موت محمد. وحين تتحدث الرواية الإسلامية عن محاربة محمد لمعارضيه المنافقين فإن الخلفاء كانوا يؤسسون من خلال هذه الرواية لشرعية الحرب ضد كل أنواع المعارضة لحكمهم في الماضي وفي المستقبل. ومن هذا المنطلق فإن الخلفاء قد وجدوا ما يبرر شرعا حروبهم ضد معارضيهم، خاصة تلك التي أطلقوا عليها "حرب الردة"، ذات الحمولة الدينية، باعتمادهم على سيرة متخيّلة لمحمد.

---

152 نسرد هنا الحديث المحوري الذي رواه البخاري : "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي [من] وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله : هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله، إلا الغرقد فإنه شجر اليهود"

نصل الآن الى أهم العناصر والأحداث الواقعية التي لم تؤثر فيها عمليات التحريف والتزييف، وصناعة الحديث وتأويلات النص القرآني، وتمكَّنت من اختراق الرواية الاسلامية.

سنحاول في الجدول الآتي أن نقدم بعض الأحداث التي وقعت فعلا، والطريقة التي لجأ إليها الخطاب الإسلامي الرسمي في القرن 10م لتأويلها وتزويرها لكي تتلاءم مع الخط الأيديولوجي للدولة، كما سنكشف عن عمليات "تحويل" هذه الأحداث في بعدها الزمكاني:

legrandsecretdelislam.com

التاريخ السري للإسلام

نماذج من تحويل وتحريف الوقائع التاريخية لبداية السلام في الخطاب الإسلامي

محمد التاريخي		محمد كما تقدمه الرواية الإسلامية	
سوريا		**مكة**	**570م**
	-ولادته في قبيلة قريشية في سوريا في نهاية القرن 6م	- عام الفيل (هجوم مسيحيو الحبشة على مكة في القرن 6م	
	-استقطابه من طرف الطائفة العبرية الناصرية	- ميلاد محمد في قبائل قريش في مكة	
	-محمد كحلقة وصل بين عرب قريش والطائفة العبرية الناصرية	- اتصال محمد بالرهبان المسيحيين (ورقة وبحيرا)	
614م	-غزو أورشليم من طرف الفرس (ومشاركة محمد في هذه الغزوة)	- الملك جبريل يأتي بالوحي	**610م**
	-طرد العرب والطائفة اليهودية الناصرية من طرف اليهود	- بداية الدعوة المحمدية: الفترة المكية	
	الحاخاميين من فلسطين.	-الصراع مع القريشيين في مكة	**614م**
	-طرد النشطاء اليهود الناصريين المتطرفين وحلفائهم العرب من	- غزوة الفرس لأورشليم (بدون محمد)	**615م**
622م	طرف القريشيين من سوريا	- هجرة بعض الصحابة الى الحبشة	
المدينة		**المدينة**	
	- الهجرة الى يثرب عند بني عمومة الطائفة اليهودية الناصرية: صحيفة يثرب-المدينة	- طرد محمد من مكة ومنعه من الحج	**622م**
	- التحالف مع بعض عرب الحجاز (بعض المسيحيين): إغراء بالغنائم	- الهجرة من مكة الى يثرب-المدينة وإخضاع اليهود (صحيفة المدينة).	
629م	والسبايا	- الدعوة الى الإسلام بالمدينة (الفترة المدنية)	
	- استرجاع هرقل لأورشليم من سيطرة الفرس ومنع اليهود من	- التحالف مع الأنصار بالمدينة	
	الدخول اليها أجل الحج	- عدم احترام اليهود لبنود صحيفة المدينة	
	- هزيمته محمد أمام بيزنطة: هزيمة مؤتة (629م)	- تغيير وجهة القبلة من أورشليم الى مكة	**623م**
	- موت محمد بالمدينة ما بين سنتي 632-634م	-الحملات العسكرية ضد المكيين	
636م	- غزو سوريا بمساعدة الطائفة اليهودية الناصرية المستقرة بها:	طرد قبيلتين يهوديتين من المدينة (624-625م) وذبح جميع أفراد القبيلة الثالثة	
	حرب اليرموك	-معارضة المنافقين	**627م**
		عزو سوريا بمساعدة الأنصار	
		- محمد يؤدي مناسك الحج الأصغر بمكة	**629م**
أورشليم		**مكة**	
	- استسلام أورشليم بدون قتال وبدون حرب	- استسلام مكة بدون قتال وبدون حرب	
	- وصول عمر الى أورشليم	- الحج الأكبر الى مكة من طرف محمد	
638م	- تنحية قادة الطائفة اليهودية الناصرية وطرد اليهود من أورشليم	موت محمد بالمدينة	**632م**
640م	(اليهود الحاخاميين والناصريين)	- مواجهة حروب الردة بقيادة أبو بكر ثم عمر.	
	- تغيير القبلة نحو سوريا أولا ثم في اتجاه مكة لاحقا (سنة 680م)		
	ا- انشقاق داخل الأمة، وارتفاع أصوات المعارضة	- مقتل عمر وبداية الفتنة الأولى.	
644م	- مقتل عمر والفتنة الأولى		

هذا الجدول لا يدّعي تقديم معلومات شاملة عن كل "التحويلات" التي عرفتها الأحداث التاريخية، ولا عن التعقيدات الشائكة والملتوية التي حبكها الخطاب الإسلامي ليستجيب لمنطق التبريرات المتتالية. لقد تمكن من تقديم صورة *تبدو* كبنية منطقية متناسقة، وصَنَع من خلالها ماضي أسطوري معتمدا على القليل من الأحداث التاريخية، والكثير من الخيال الأدبي للكتاب ورجال الدين. كما أن النص القرآني الذي كان متواجدا بشكل واسع، فرض من جهته، اللجوء الى الخيال في عمليات التأويل لتساهم في عملية بناء "الماضي المجيد". وبهذه الخطوات يعتقد التقليد الإسلامي، بكثير من الوهم، أنه يقدم تاريخا وخطابا واضحين، والمسلمون يستشهدون ببعض الآيات القرآنية للدلالة على وضوح وتماسك هذا الخطاب، في حين أن الحقيقة غير ذلك. هناك نصوص عديدة تشير الى كتب الطائفة اليهودية الناصرية وقرآنهم، لكن كثرة وتضخم التحريف والإضافات والتدليس التي طالت النص الأصلي لهذه الطائفة، نتج عنها نصا آخرا كله غموض، ويفتقد لأبسط شروط الفصاحة والبلاغة. القارئ المتمعن يجد صعوبة كبيرة في قراءة وفهم القرآن، على الرغم من الادعاء بأن نصوصه محكمة، والمسلمون يبالغون بشكل متضخم حين يتحدثون عن "الاعجاز البلاغي" للقرآن[153]، لكن في حقيقة الأمر القرآن نص مبهم ويستعصي على الفهم.

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي بذله الكتاب ورجال الدين المأجورين من طرف الخلفاء فإنهم لم يتمكنوا من إنتاج خطاب متماسك ومنطقي نظرا لحجم التحريفات والتأويلات التي لجأوا إليها لقلب معاني الكلمات والمفاهيم والأحداث. فتغيير معاني الكلمات كانت تلزمهم إجراء تغييرات في كل الكلمات التي تماثلها في 114 سورة للقرآن[154] وكذلك في جميع آياته الـ 6236. وحين تدخل المعاني الجديدة في تناقض مع ما سلف، يتم اللجوء مرات عديدة الى تحريفات لغوية إضافية، أو تأويلات مجازية حتى تتلاءم مع بقية النصوص. كما أن ضرورة إخفاء كل ما يحيل الى المعطيات الجغرافية والتاريخية الحقيقية التي نشأ فيها الإسلام تطلبت الكثير من

[153] هناك آيات عديدة تنوّه ببلاغة القرآن وفصاحة لغته مثلا في سورة المائدة آية 15 "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين"، سورة الشعراء 192-195 "إنه لتنزيل من رب العالمين(...) بلسان عربي مبين"، سورة الزمر آية 28 "قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون"

[154] القرآن مكون من 114 سورة وهذا العدد هو نفس عدد كلمات المسيح حسب إنجيل توماس (غير المعترف به من طرف الكنيسة المسيحية) الذي كان متداولا بشكل كبير لدى الطائفة اليهودية الناصرية في دمشق في القرون الأولى للمسيحية.

الجهد والخيال لكي لا تظهر المعطيات الجغرافية والمجالية الحقيقية لنشأته. فكيف يمكن، في ظل هذه التعقيدات المركبة إنتاج خطاب إسلامي متماسك ومتناغم، كما يحلم به التقليد الإسلامي؟

وعلى الرغم من العناية الفائقة التي أبداها المسلمون لمحو وإتلاف كل ما سبق الإسلام فإننا نجد في ثناياه الكثير من آثار الماضي التي لم يتمكن الخطاب الإسلامي من محوها بالكامل. والمؤمن بالطبع، لا يخضع هذه المعطيات للنقد والتساؤل، ربما عن طواعية، ولكنه في جميع الحالات يكون مجبرا للتسليم بما يُقدَّم له باعتباره الحقيقة المطلقة. ويبقى **الشك من أكبر الذنوب في الدين الإسلامي** الذي يُلَوِّح بأن العذاب الجسدي الأليم في الآخرة ينتظر كل مشكك في مسلماته، أما في الحياة الدنيا فإن المسلمين يتكلفون بكل منتقد أو مشكك، والمرتد حكمه القتل (هناك حديث أورده البخاري: "من بدل دينه فاقتلوه"). والمؤمن مطالب بمراقبة أقرب الناس إليه بما في ذلك أبنائه وبناته وأصدقائه، بل أكثر من ذلك فالمسلم مطالب بتصحيح سلوك الآخر إن رأى فيه اعوجاجا أو انحرافا عن الدين الصحيح [وقد يلجأ أحيانا أخرى الى تأديبه بالعنف وهو ما يعرف بالتعزير أو النهي عن المنكر]. لقد أصبح في عرف الإسلام منذ القرن 10م ونهاية التدوين أن كل ما هو جديد فهو بدعة يجب الحذر منه، "وكل محدثة ضلالة" يجب منعها ومعاقبة من يتبعها أو يعمل بها. وهذه من أهم الميكانيزمات التي تكبل المسلم وتجعله يخضع خضوعا تاما للدين ولا يُبْقي هامشا للفكر النقدي الحر. الإنسان في البلاد الإسلامية يبقى محاصرا بالفكر الديني ومسلماته، وأي حديث عن الاسلام مغاير للخطاب الديني الرسمي يعتبر تدنيسا لمقدساته. ثم إن الدين الاسلامي يحرم بشكل قطعي كل انتقاد لشخص محمد: فالشخصية المحمدية من المقدسات الإسلامية الأولى. ومع ذلك فإن قراءة بسيطة للنص القرآني تثير العديد من التساؤلات كما سنرى فيما بعد.

ماذا يقول القرآن عن "السر الخفي لتاريخ الإسلام"؟

النسخة الحالية للقرآن هي نتاج مجموع التراكمات من التغييرات والإضافات والتحريف المتوالي، والبحث في النص القرآني لا زال يستحق الدراسة والتحليل سيما حين نتوفر على بعض المفاتيح التي تمكِّن من معرفة حجم التحريف الذي لحقه، كما تمكن من التعرف على التعسف الذي يفرضه الخطاب الإسلامي عليه.

لقد تم التطرق الى بعض أنواع التحريف كاختراع نبوءة محمد (ربما كان هذا أكبر تحريف عرفه الإسلام) ثم تغيير المصطلحات التي تدل على بقية المؤمنين من الديانات الأخرى (اليهود والمسيحيون) ثم التحويلات التاريخية والجغرافية للبيئة التي نشأ فيها الإسلام، واختراع مكة، ثم الادعاء بأن القرآن كلام الله المقدس الذي نزل من السماء بشكل متفرق (وفي نفس الوقت كان يتحدث عن القرآن ككتاب جاهز وكامل) ثم إعادة الاعتبار لأورشليم كمدينة مقدسة في عهد عبد الملك بن مروان بعدما تمت إزاحتها (كقبلة) سنة 640م ... هذه فقط بعض الامثلة وبإيجاز كبير.

ثم لا ننسى أن النص القرآني عرف تغييرات جذرية وعميقة خلال عمليات الجمع في القرنين 7 و 8م في ظروف سياسية واجتماعية جد مضطربة سبق ذكرها، حيث قام الكتاب ورجال الدين المأجورين من طرف الخلفاء بتغييرات عميقة كسرت التسلسل المنطقي للآيات والسور، واخفاء مقاطع بأكملها من القرآن لأنها تضر بالعقيدة الجديدة، ثم إضافة جمل كاملة إليه، وأحيانا أضيفت آيات بأكملها زادت من غموضه وعمقت من تناقضاته المنطقية ومن تضارب معانيه. بالإضافة الى هذا عمد المكلفون بجمع القرآن الى تقسيم نصه بشكل اعتباطي يتنافى مع الحس العام، حين قسموه ورتبوه انطلاقا من أكبر سورة الى أصغر سورة. هذا الارتباك في ترتيب السور والآيات دفع فقهاء الإسلام الى اختراع متن آخر أطلقوا عليه "أسباب النزول" في محاولة لإيجاد مخرج لارتباك الآيات والسور وعدم انسجامها وتناسقها، والتخفيف من حدة التناقضات التي يعج بها. وانطلاقا من هذا تم تقسيم القرآن الى سور مكية وأخرى مدنية (أو سور ما قبل الهجرة وسور ما بعد الهجرة). لكن هذا التمييز الاعتباطي لا يعمل إلا على إخفاء الحيثيات التاريخية والتناقضات الكثيرة للنص القرآني، كما أن اللجوء الى "عقيدة" الناسخ والمنسوخ بقدر ما خففت من حدة التناقضات بقدر ما مكنت المتطرفين من استعمال آيات الجهاد والقتال والحقد على الديانات الأخرى.

فيما يلي نقدم للقارئ الفطن بعض الآيات التي تُمكِّن من إعادة قراءة النص القرآني قراءة مغايرة عما يقدمه التقليد الإسلامي. ولقد تم تقسيمها في الجداول الآتية حسب أهمية المواضيع المحورية لدى الطائفة اليهودية الناصرية، فهي تَظهر بشكل جلي في النص القرآني حين نعرف كيف نفك لغزها وشفرتها باستعمال المفاتيح اللازمة لإعادة قراءتها. وسيظهر على ضوء القراءة الجديدة الفرق الشاسع بين التاريخ الإسلامي المقدس الذي يقدمه الإسلام والتاريخ الحقيقي للوقائع كما تم تفكيكها. ويبقى

للقارئ الحذر أن يختار بين القراءتين أيهما أقرب الى الحقيقة والى الحس العام وأيهما أجدر بالاهتمام والتصديق.
الجداول تنقسم الى ثلاث خانات: الآيات القرآنية توجد في الخانة الأولى[155] وفي الخانة الثانية نقدم المعنى والتأويل الإسلامي[156] لها وفي الثالثة سنبيّن التحريف والاضافات والتدليس الخفي في النص القرآني.

كتاب العبادات والشعائر للطائفة اليهودية الناصرية وترجمته الى اللغة العربية

للتذكير فإن الاشارات الأصلية لكلمة "قرآن" في النص القرآني تحيل بكل وضوح الى كتاب العبادات والشعائر التي كانت تمارس في تلك الفترة. وهو تجميع لنصوص من التوراة ومن الإنجيل، كانت الطائفة تعتمدها في ممارسة الطقوس والشعائر، وكان مكتوبا باللغة الآرامية للعبرانيين، ثم تمت ترجمته الى اللغة العربية لفائدة حلفائهم العرب في محاولة لاستقطابهم واستمالتهم لاعتناق عقيدتهم. وكلمة "قرآن" في حد ذاتها تشير الى "كتاب العبادات" وهو نفس المعنى المتداول الى اليوم لدى المسيحيين في الشرق الأوسط، السريان والآراميون الذين ينطقونها "قُرْيَانا".
لقد أنتجت الطائفة اليهودية الناصرية عدة نسخ ل"كتاب العبادات" باللغة العربية، ووضعت معها عدة صحف توضيحية مقتضبة تفسر فيها التعاليم الموجودة في الكتاب. كانت هذه الصحف التوضيحية مكتوبة على شكل رؤوس أقلام لفائدة العرب الذين اعتنقوا عقيدتهم، وكانت تحتوي على المادة الفكرية الخام التي كان يعتمد عليها محمد وأصحابه لاستقطاب العرب من خلال حملات الوعظ والارشاد.
ولتعزيز عمليات الوعظ والاستقطاب أعدت الطائفة اليهودية الناصرية عدة صحف إضافية للدعوة لتعاليمها، وهي صحف أقرب الى "مذكرات" منها الى كتب، لأنها كانت تكتفي بالإشارة الى قوائم مرجعية وبعض الاستشهادات مقتضبة من العهد القديم ولم تكن كتبا مؤلفة بالدقة والمنهجية التي تتطلبها الكتب، وهذا ما تظهره أقدم المخطوطات التي تم الاعتماد عليها في عمليات جمع القرآن (وهو ما يفسر الكتابة

[155] الجمل الموجودة بين القوسين [ ] هي إضافات للمساعدة على فهم أحسن للنص القرآني.
[156] توجد عدة مواقع الكترونية لشرح القرآن كشرح الطبري أو ابن كثير (وهي التي اعتمدنا عليها في هذه الترجمة العربية: المترجم)

الأولى البدائية والبسيطة التي لا تحتوي لا على التنقيط ولا على التهميز). كان الوعاظ والخطباء يحملون هذه الملخصات والصحف التبسيطية معهم لتساعدهم أثناء لقاءات الوعظ والخطابة والارشاد والاستقطاب. لم تكن هاته الملخصات تتطابق فيما بينها (كما هو الأمر اليوم بالنسبة لاستنساخ الوثائق) بل كانت تختلف بشكل كبير فيما بينها. هذه الصحف والكراسات المختلفة التي اعتمدها الوعاظ هي التي كونت المادة الخام لكتابة ما يسمى اليوم "القرآن": انها **الصحف الأولى** التي جمعها الخلفاء بعد موت محمد (ما بعد 640م) في الظروف التي تم التطرق اليها سابقا. كل الصحف وكتب العبادات الأصلية باللغة الآرامية وتلك التي تُرجمت الى العربية تم حرقها وتدميرها (كتب العبادات باللغة الآرامية) لأنها كانت تعيد الى الذاكرة "المعلمون الأولون"، وأساتذتهم الأوائل في الدين.

مفاتيح لقراءة النص القرآني

النص القرآني	التفسير الإسلامي الرسمي[157]	فك الشفرة (القراءة البديلة)
سورة 41 فصلت آية44 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ. قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ	سورة مكية كانت المعارضة المكية لمحمد قوية ولكن الله بيّن لهم أن القرآن جاء بلغتهم، أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز وأنه اتى للمؤمنين أما الذين لا يؤمنون ففي آذانهم صمم فهم لا يسمعون وهو عليهم كالعمى	من النصائح والركائز الأولى التي قدمتها الطائفة اليهودية الناصرية للعرب الذين اعتنقوا عقيدتهم هو ضرورة التوفر على كتاب العبادات باللغة العربية لتسهيل التواصل معهم والدعاية لعقيدتهم بدل الرجوع كل مرة الى النصوص اليهودية المكتوبة بالآرامية التي لا يفهمونها. كما أن هذه الطائفة تقدم للخطيب والواعظ العربي بعض الحجج لأقناع المستمعين العرب، وتذكره بأنه سيجد دائما أناس لن يصدقوه، ولذلك فهو موجه بالدرجة الأولى للمؤمنين.

[157] اعتمدتُ على تفاسير القرطبي والطبري في الخانة الوسطى، عبر هذا الرابط:
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura20-aya85.html

س يونس 10 آية 37 وَمَا كَانَ هذا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ ولكن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين	سورة مكية (قبل الهجرة) الله يؤكد أن القرآن من عنده لا يمكن الشك في ذلك ولا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله. وأن القرآن جاء ليفصّل ما جاء في الكتب السابقة له أي الكتب المقدسة لليهود والمسيحيين	الأستاذ والمعلم اليهودي الناصري[158] يشرح للعرب الذين اعتنقوا عقيدتهم أن كتاب العبادات والشروحات المفصلة لا تتعارض مع الكتب المقدسة بل بالعكس هي مأخوذة من التوراة: كتاب الله المنزل.
س يوسف 12 آية 1-3 الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغافلين	سورة مكية نزلت الآية حين طلب اليهود من محمد أن يقص عليهم قصة يوسف الذي نبده أهله وطردوه	محمد يشرح للقبائل العربية بعض القصص في التوراة والانجيل، لتعزيز التعاليم الواردة في كتاب العبادات، ويقص عليهم معاناة يوسف مع أهله (ويمكن أن نرى في هذا معاناة محمد مع القبائل العربية الذين رفضوا دعوته والانخراط في المشروع اليهودي). وتبقى الآية غير مفهومة إلا للذين لديهم دراية بالتوراة أو الانجيل (ونلاحظ هنا أن القرآن يتحدث عن كتاب القرآن وهو لم يجمع بعد)
س 43 الزخرف آية 2-4 حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم	مكية حم: قسم. الله يقسم (بما يشاء) أنه أنزل هذا القرآن على محمد باللغة العربية لكي تفهم أحكامه ومعانيه. وأن القرآن في أم الكتاب أي	الأساتذة العبريون الناصريون يذكرون العرب المكلفين بنشر تعاليمهم أن كل هذه التعاليم مترجمة الى العربية من أجل الفهم وأنها مأخوذة بأمانة من أم الكتاب اي من التوراة الذي من عند الله (أم الكتاب بالعبرية تعني الكتاب الديني

[158] يمكن تصور الصحف الأولى التي جمعها الخلفاء وألفوا منها القرآن، أنها مأخوذة من دروس بيداغوجية كان يلقنها الأساتذة اليهود الناصريون للعرب ويعلمونهم كيف يواجهوا معارضة وانتقادات القبائل العربية. فالقرآن بكل بساطة خطاب بشر موجه لإقناع بشر، ولا دخل لإله في كل هذا [يمكن تصور ورقة بن نوفل يعلم محمد وآخرون كيفية التعامل مع المستمعين] هناك آية قرآنية تصف الدروس التي كان يلقنها الناصريون للعرب المكلفين بالدعاية لأيديولوجيتهم في سورة النحل: آية 103"ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر".

cc BY ND NC

	أنه موجود في اللوح المحفوظ، ولا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض ولا نقصان ولا تغيير...	المقدس) ويقول لهم لو كان لديكم إمكانية الاطلاع عليه لتبيّن لكم أنها الحقيقة
س يونس 10 آية 94 فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك...	مكية الله يقول لمحمد أن يقول للكافر الذي يشك في القرآن أن يسأل اليهود الذين أسلموا. لأن عبدة الأوثان كانوا يقرون أن اليهود أعلم منهم لأنهم أهل الكتاب وهي عبرة للمسلم الذي يساوره الشك في القرآن. (تفسير القرطبي)	الاستاذ اليهودي الناصري ينصح محمد والذين معه، في حال ما إذا واجهته القبائل العربية بالشك أن يدعوهم الى قراءة النصوص المقدسة للتوراة أو يسأل من يقرأها من أهل الكتاب: اليهود والمسيحيين، لكي يتأكدوا من صحة أقوال محمد.
س القيامة 75 آية 16-19 "لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه.	مكية كان محمد يحرك لسانه حين كان يأتيه الوحي في محاولة منه لكي يحفظه ولذلك نزلت الآية لتطمئنه وتقول له أن الله سيجمعه في قلبه وما عليه إلا أن يقرأه كما يوحى إليه، إن الله سيتكلف ببيانه وتأويله، فالله هو الوحيد الذي يعلم تأويله (وهو نفس المعنى في سورة آل عمران آية 7 "(...) وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم..." كذلك الآية 114 "سنقرئك فلا تنسى"	الاستاذ اليهودي الناصري يحث محمد وأصحابه أن يتَّبعوا ما يُقرأ عليهم وأن يحفظوا ما في كتب العبادات، وأن الأساتذة العبريين سيتكلفون بشرحه وتأويل معانيه خاصة فيما يتعلق بيوم الحساب الذي هو عنوان السورة والذي لا يعني شيئا آخر سوى اليوم الذي ستتحقق فيه دولة الله والمجتمع المثالي الذي تدعو إليه الطائفة اليهودية الناصرية. ولا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم أي العبريون الناصريون الذين درسوا التوراة ويفقهون معانيه الحقيقية كما وردت في أم الكتاب

س البقرة 2 آية 1 الم وكذلك الأمر في 29 سورة حيث تبدأ السور بحروف متقطعة، مثلا سورة مريم 29 آية1 كهيعص...	سورة مدنية لم يجد المفسرون المسلمون معنى لهذه الحروف المتقطعة التي تبدأ بها مجموعة كبيرة من السور، ويقولون أن الرسول نفسه لم يكن يعرفها. ومع ذلك فإن مجموعة من المفسرين يرون فيها إعجازا لغويا للقرآن.	"أ" "ل" "م" هي حروف تعني في اللغة العبرية باختصار "الله المنقذ" أو "الله المخلص" وينطق بها اليهود الناصريون كمدخل وفاتحة حين يقرأون كتبهم المقدسة وكافتتاح لصلواتهم. وهذا دليل على الأصل العبري للقرآن، ودليل على بقايا وآثار الطائفة اليهودية الناصرية التي لا تزال عالقة في النص القرآني على الرغم من كل محاولات الإتلاف والحرق للصحف الأولى، ومحاولات التحريف والإضافات المتعددة. بعد قرنين من موت محمد تلاشت هذه المعاني والدلالات مع انقراض الطائفة اليهودية، واعتمد المفسرون المسلمون على تأويلها بدل فهمها

حشد العرب واستقطابهم من أجل تحقيق المشروع المسياني اليهودي الناصري

كان الهدف من استقطاب العرب من طرف الطائفة اليهودية العبرية هو حشدهم وتجنيدهم من أجل تحقيق هدفهم الأسمى وهو تحرير مدينة أورشليم، وإعادة بناء الهيكل كخطوة ضرورية لعودة "المسيح". وهذا المشروع ما هو إلا عنصر من التصور المسياني العام لهذه الطائفة: فالمِؤمن الحقيقي (الطاهر والعادل) يؤمن بالدِّين الحقيقي ويعمل روحا وجسدا في سبيل عودة المسيح الى الأرض من أجل خلق عالم مثالي أي "مملكة الله في الأرض"، حيث سيقضي المسيح على جميع أشكال الشر وعلى كل الأشرار، ولن يبقى في مملكة الله الا الطيبون الأخيار، ويعيش المؤمنون في سلام وأمن وسعادة أبدية:

CC BY ND NC

النص القرآني	التفسير الإسلامي الرسمي	فك الشفرة (القراءة البديلة)
سورة التين رقم 95 وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينِ وهذا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثم رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينِ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون	سورة مدنية الله يقسم بالتين والزيتون، طور سنين هو الجبل الذي نادى فيه الله على موسى (أي جبل سيناء) والبلد الأمين هو مكة. ويرى الطبري "أنه أراد بالتين دمشق، وبالزيتون "بيت المقدس". وقال مفسرون آخرون: إنهما جبلان بالشام أقسم الله بهما. لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا: أي أن المسلمين الذين آمنوا بمحمد هم الأخيار والأحب عند الله الذين سيجازيهم أحسن الجزاء.	التين[159] والزيتون وسيناء كلها أسماء جبال. التين: هناك "جبل التين" أو "تل التين" في سوريا، الزيتون جبل الزيتون بأورشليم، وسيناء الجبل الذي تلقى فيه موسى ألواح الوصايا العشر مباشرة من الله. البلد الأمين: الأرض المقدسة أي اسرائيل (التأويل الإسلامي المتأخر يقول إنها مكة). السورة في عمومها وكأنها ترسم المحطات الأساسية التي سوف تقطعها الطائفة اليهودية الناصرية نحو تحقيق المشروع المسياني وتحقيق الإرادة الإلهية. والمؤمن بهذا المشروع (حسب رأيهم) سوف يجازى في النهاية بسعادة أبدية لأنه سيعيش في مملكة الله التي سيحققها المسيح.
سورة البقرة (2) آية 127 وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم	مدنية يورد القرطبي صفحتين لشرح هذه الآية الصغيرة، ومفادها حسب التأويل الإسلامي أن ابراهيم واسماعيل بَنَيَا "البيت" على أنقاض البيت الأول الذي بناه آدم. ولقد بنياه من بقايا أحجار جبل سيناء وجبل "طور زيتا" وجبال لبنان ومن حراء ... فلما أمر الله ابراهيم بعمارة البيت خرج من الشام الى أن وصل الى مكة فبنى البيت مع اسماعيل وأصبح هذا المكان هو الكعبة التي يطوف حولها المؤمنون ... وهذا ما فعلته قريش...	المبشّر والخطيب اليهودي الناصري يذكّر بمشروع إعادة بناء الهيكل بأورشليم، فبفضل تحالف أبناء ابراهيم (اليهود الناصريون) وأبناء اسماعيل (العرب) سيتم بناؤه وذلك اعتمادا على بقايا الهيكل القديم الذي حطمته الامبراطورية الرومانية.
سورة مريم (19) ،الآيات 34- 38-40 ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه (...) فاختلف الأحزاب	مكية أسباب النزول: خرج بعض المسلمين من مكة حيث طردهم المكيون ولجأوا الى الحبشة المسيحية...	الطائفة اليهودية الناصرية كانت توظف شخصية المسيح لتحقيق مشروعها المسياني (وكان موضوع انتقاد المسيحيين) فكان رد المُبَشر

[159] جبل التين (تل التين) هو تل مرتفع يوجد قرب بحيرة اصطناعية في حمص بسوريا. وهذه المنطقة كانت من أهم معاقل الطائفة اليهودية الناصرية. وكان جبل التين في تلك الفترة معروفا لدى الجميع نظرا لكثرة ثرواته الطبيعية.

من بينهم (...) إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون.	تفسيرها: الآية تتحدث عن اختلاف اليهود والنصارى بخصوص طبيعة المسيح، فقالت النسطورية أن الله هبط الى الأرض فأحيا ما أحيا وأمات ما أمات ثم صعد الى السماء، وقالت فرقة أخرى أنه ابن الله، وقالت ثالثة أنه كلمة الله وقال المسلمون أنه عبد الله ورسوله[160]... إن الله سيرث الأرض ومن عليها في نهاية الزمن، وسيجازي كل حسب عمله يوم القيامة	والخطيب العبري أن المسيح ليس ابن الله وأنه عبده أرسله الله لطريق الحق. لكن الانتقال من الآية 36 الى الآية 37 غيْرُ مفهوم "إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا سراط مستقيم" فهي آية تقطع أوصال وحدة النص، فإذا حذفناها يظهر تسلسل الأفكار حول عيسى. وهو ما يثير الشكوك حول حذف آية أو آيات من النص الأصلي وإضافة أخرى في محلها. وقد تكون الآية المحذوفة تتطرق لوجهة نظر الطائفة اليهودية الناصرية بخصوص شخص المسيح باعتبارهم الممثلون له وحدهم دون غيرهم. ثم إن الطائفة تُذكِّر الجميع (بما فيهم الحاخاميين) بأن الاختلاف حول المسيح قد أدى الى الصراع، وأنهم كلهم ليسوا على صواب، وأن الطائفة اليهودية الناصرية هي التي تملك الحقيقة التي مفادها أن المسيح سيعود في نهاية الزمن ويقضي على الشر والأشرار وسيرث الأرض ومن عليها ويكافئ المؤمنين بما كانوا يفعلون من أجل تحقيق مملكة الله.

التمييز بين اليهود الحقيقيين واليهود المزيفين

العرب الذين تحالفوا مع الطائفة اليهودية الناصرية لا يفهمون ما سر العداء الذي يُكِنُّه هؤلاء لأبناء عمومتهم اليهود الحاخاميين، فكلاهما ينحدر من نفس سلالة إسحاق بن ابراهيم، ويؤمنون بنفس الكتاب أي التوراة، إلا أن الناصريين يعتقدون أنهم متميزين عن اليهود الحاخاميين. ولذلك قام الناصريون بشرح الفرق بينهما: فاليهود الناصريون هم المؤمنون الحقيقيون وهم الذين يمثلون الدين الابراهيمي الحقيقي

160 الملاحظ هو أن القرطبي والطبري لا يتفقان على تفسير هذه الآيات المتعلقة بطبيعة المسيح، مما يدل على عدم معرفتهما للمسيحية ومذاهبها. فالقرطبي مثلا يقول: المسيحيون منهم من يقول "هو الله هبط الى الأرض فأحيا ما أحيا وأمات ما أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية" ومنهم من يقول "أنه ابن الله" وهم "النسطورية" والفئة الثالثة تقول "ثالث ثلاثة: الله اله وهو اله، وأمه إله وهم الإسرائيليون ملوك النصارى".
في حين يروى الطبري رواية أخرى: فقال الفريق الأول "هو الله هبط الى الأرض فأحيا ما أحيا وأمات ما أمات ثم صعد الى السماء وهم النسطورية" (القرطبي يرى أنهم اليعقوبية) ثم هناك فريق ثاني يقول "هو ثالث ثلاثة : الله اله وهو اله، وأمه إله وهم الإسرائيليون ملوك النصارى". [المترجم]

CC BY ND NC

ويؤمنون بعودة المسيح، في حين أن اليهود الحاخاميين قد حرَّفوا الكتب المقدسة حيث أضافوا إليها كتابات أخرى (كالتلمود) وهم بذلك كفار ولا يمثلون الدين الحق. وهذا ما تدل عليه آيات كثيرة من القرآن، نورد بعضا منها في الجدول التالي:

النص القرآني	التفسير الإسلامي الرسمي	فك الشفرة (القراءة البديلة)
سورة **العنكبوت** (29) آية 46-47 وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. وكذلك أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هؤلاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ	سورة مكية يبين الله للمسلمين كيف يدعون أهل الكتاب اليهود والمسيحيين الى الإسلام لأنهم تلقوا نفس التعاليم من أنبيائهم لكنهم حرفوها. فمن آمن بدعوة محمد لا خوف عليهم ومن ظلم أي تنكَّر للدعوة فهو كافر وجب قتاله. ويرى بعض المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية القتال: وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله.	الاستاذ اليهودي الناصري يشرح للعرب المكلفين بنشر أيديولوجيتهم كيف يميزون في أهل الكتاب بين اليهود الحقيقين من المزيفين: فاليهود الحقيقيون هم الذين يؤمنون بالتوراة خاصة اليهود الناصريين. وهناك اليهود المزيفين وهم اليهود الحاخاميين ومن آمن بتأويلاتهم. أما العرب الذين آمنوا باليهودية الناصرية وتحالفوا معهم، فانهم يكوّنون جماعة واحدة (أمة واحدة) يوحدهم الإيمان بالتوراة الكتاب المقدس. فاليهود الحاخاميون هم الكفار لأنهم يجحدون ويتنكرون للدين الابراهيمي الصحيح ويحرفون آياته.
سورة العنكبوت (29) آية -61 "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر، ليقولون الله. فأنى يوفكون"	مكية وإن سالت يا محمد هؤلاء الكفار من الذي خلق السماوات والأرض فسيقولون إنه الله، ومع ذلك فهم يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي.	فإن سألتهم أي لو سألت أهل الكتاب اليهود الحاخاميين (وكذلك المسيحيين) من خلق السماوات والأرض فإنهم سيجيبون أنه الله، ومع ذلك فهم لا يتبعون الدين الابراهيمي الحقيقي [التفسير الإسلامي لا يتطرق لهؤلاء الذين يؤمنون بأن الله هو الذي خلق الكون ولكنهم في نفس الوقت يتهمهم بالكفر. أي يؤمنون ولا يؤمنون]

هذه الإدانة الثقيلة بالتكفير المستمر لليهود الحاخاميين، واستعمال كلمتي اليهود وأهل الكتاب هي من أهم المواضيع التي يفصِّل فيها القرآن ويسهب. وهذا لوحده كفيل لإثارة الانتباه وطرح السؤال الكبير: لماذا يعطي القرآن كل هذا الاهتمام لليهود أهل الكتاب إذا كان في الأصل قد جاء لهداية الوثنيين وعبدة الأصنام؟ إذا كان الإسلام قد جاء في مكة، وهو وسط صحراوي وجاهلي، فما محل اليهود من الإعراب؟

CC BY ND NC

فما هو المسكوت عنه في الخطاب الإسلامي بخصوص اليهود؟

النص القرآني	التفسير الإسلامي الرسمي	فك الشفرة (القراءة البديلة)
سورة آل عمران (3)، آية 78 وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	مدنية (بعد الهجرة) هناك طائفة من اليهود يلوون ألسنتهم بالكتاب أي يحرفون آياته، ويحاولون إيهامكم بأنه كلام الله. كما أنهم يحاولون انتقاد القرآن من خلال كتبهم المحرفة. ولذلك يجب على المسلمين أن يحذروا منهم لأنهم يفترون على الله الكذب.	الخطيب العربي (هنا محمد أو أحد اصدقائه) يحذر القبائل العربية من اليهود الحاخاميين الذين كانوا يواجهونهم بآيات من كتبهم (وخاصة التلمود) ويقولون إنها من كتاب التوراة المقدسة. ولكنهم يكذبون لأنهم حرفوها بتأويلاتهم وأضافوا إليها أشياء كثيرة لا توجد في التوراة الإلهية.
سورة آل عمران (3)، آية 113-114 لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ	مدنية يَرْوي القرطبي عن ابن اسحاق أن الآية تصف اليهود الذين اعتنقوا الدين الإسلامي فصدقوا ورسخوا فيه وأن الله يؤكد ذلك في هذه الآية ولذلك يجب على المسلمين التمييز بينهم وبين اليهود المنافقين.	الخطيب العربي يحاول أن يقنع العرب بأن هناك يهود حقيقيين يتلون الآيات الحقيقية للكتاب المقدس وهم اليهود الناصريون الذين يطبقون تعاليم التوراة ويتلون آياته في الليل ويسجدون لـ الله [آية للدعاية لليهود الناصريين وأرضية للتحالف مع العرب.]
سورة الصف (61)، آية 14 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ	مدنية يرى القرطبي أن الآية هي أمر بالجهاد، حيث أن الله يأمر الذين آمنوا بمحمد أن يكونوا أنصارا ويجاهدوا معه من أجل نشر دعوته كما فعل الحواريون أصحاب عيسى. ظاهرين أي غالبين بالحجة والبرهان على اليهود الذين كفروا بنبوة عيسى لأن الله يؤيد الذين آمنوا.	الآية 14 وسورة الصف بأكملها تقوم بالتمييز بين اليهود الحقيقيين واليهود المزيفين. وهناك شك بأن تكون الآية 14 من الآيات التي أضيفت في فترات لاحقة بعد موت محمد. أضيفت لغرض القتال في الفترة التي يسميها التقليد الإسلامي "فترة جمع القرآن". ومعنى الآية غريب عن المعتقد المسيحي: فالمسيح لم يدعو الى الجهاد والقتال، كما أنه لم يدعو الى حشد المؤمنين بدعوته لقتال خصومه وأعدائه

CC BY ND NC

الرد على الانتقادات اليهودية والمسيحية

لم تكن دعوات الطائفة اليهودية الناصرية غريبة عن اليهود الحاخاميين ولا عن المسيحيين العرب. لقد كانوا جيرانهم خلال القرن الخامس الميلادي في سوريا الحالية، وكانت الطائفة الناصرية تناضل بأقصى ما لديها من الحجج والبراهين من أجل الرد على الانتقادات الموجهة لها من طرف أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين). فكانت أجوبتهم كالتالي:

النص القرآني	التفسير الإسلامي الرسمي	فك الشفرة (القراءة البديلة)
سورة الفرقان (25)، آية 4-5 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا	مكية يقول القرطبي: الذين كفروا أي مشركي قريش، وقال ابن العباس منهم النظر بن الحارث. قالوا هذا كذب وافتراء أعانه عليه قوم آخرون أي اليهود، وجاؤوا به ظلما وزورا. وقالوا أساطير (جمع أسطورة) أي أحاديث وأقاويل تلقى صباح مساء على محمد لكي يحفظها ويلقيها على مستمعيه. وهذا في رأي القرطبي كذب وافتراء على النبي.	اليهود الحاخاميون يعرفون جيّدا مصدر أقاويل محمد لأنها مأخوذة من الكتب اليهودية المقدسة القديمة. وكانون يعرفون أن هناك طائفة (قوم آخرون من اليهود) تساعده على كتابتها وحفظها. الآية تسرد بالضبط موقف اليهود الحاخاميين من مزاعم محمد ومن الطائفة اليهودية التي تُسخِّره لذلك. ورد القرآن على الحاخاميين هو: الوعد والسعير ونار جهنم... فالقرآن لا يرد بالبرهان والحجة وإنما بالتهديد بجهنم.
سورة النحل (16)، آية 103 وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِين	مكية القرطبي: ان الله يعلم أن المشركين يقولون أن محمدا كان يعلمه بشر، ربما كان هو ابن المغيرة، وأورد ابن اسحاق اسما آخرا وهو ابن جبر: كان النبي يجلس الى المروة عند غلام نصراني يقال له جبر كان يُعلم محمد لأنه يقرأ كتب النصارى. ولكن الله يرد عليهم ويعجزهم لأن القرآن مكتوب باللغة العربية، ولغة هؤلاء الأشخاص أعجمية، فكيف يعلمونه بلغة غير لغته، بالإضافة الى أن النبي كان أميا. (تفسير القرطبي)	المنتقدون لدعوة محمد وعدم اقتناعهم بما يقول كانوا يعرفون أن هناك أشخاصا يعلمونه، ويعرفون من أين يأتي بهذه الأفكار، ويقولون له أن الذي يعلمك ليس عربيا. كما أن الآية تكشف كيف كان محمد يحاول إقناع محاوريه بلغتهم العربية التي يفهمونها، ويقول لهم إنها لغة عربية واضحة. وهذا ما يجعل فكرة "الملاك جبريل" "وكتاب ينزل من السماء" هي أفكار جاءت في فترات لاحقة بعد موت محمد.
سورة المائدة (5) ، آية 82 لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا	مَدنية إن الله في هذه الآية يحذر محمد من اليهود والذين أشركوا أي عبدة الأوثان، في حين أن هناك أشخاص أقرب الى المؤمنين وهم النصارى وهؤلاء في نظر الطبري هم نفر من النصارى	الخطيب العربي (محمد أو غيره) يحذر أبناء عمومته من اليهود والمسيحيين (المشركين) حين ينتقدون الهرطقة التي تدعو إليها طائفة اليهود الناصريون. ولكن أفراد هذه الطائفة (في رأي محمد) هم من أقرب الناس إلى المؤمنين العرب، لأنهم يتبعون الدين الحق،

CC BY ND NC

إِنَّا نَصَارَىٰ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ	أتووا من الحبشة حين سمعوا بدعوة محمد وبالقرآن... إلا أن هناك آيات أخرى تحدر محمد منهم جميعا كما هو الأمر بالنسبة للآيات 51 و 72 من سورة المائدة: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح..." و "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء...."	ويشكلون بسلوكهم وتواضعهم القدوة الحسنة، وبالتالي يمكن للعرب التعامل معهم.

كيفية تنزيل المشروع الديني-السياسي على أرض الواقع

لا يزال القرآن يحتفظ بالكثير من النصوص التي تشهد على محاولات "الأمة العربية- اليهودية الناصرية" لاسترجاع أورشليم وإعادة بناء الهيكل استعدادا لعودة المسيح. القارئ المحايد والمتمعن يجد في الآيات القرآنية الكثير من التفاصيل للمحاولة العسكرية الأولى بجانب الفرس بقيادة الجنرال روميزانس سنة 614م كما تشهد عليه سورة الفتح، وسورة الروم التي تؤرخ لمعركة مؤتة سنة 629م :

النص القرآني	التفسير الإسلامي الرسمي	فك الشفرة (القراءة البديلة)
سورة الفتح (48) آية 20 وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا	مدنية أسباب النزول: المشركون يمنعون دخول محمد الى مكة لأداء مناسك الحج. يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في هذه الآية بخصوص المغانم. فقال بعضهم هي كل مغنم غنم الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك وهي أموال قبيلة خيبر، وجعل فتح خيبر فتحا أولا وبداية للفتح الكبير الذي وعد الله به المؤمنين، وهي غنائم بقية المشركين.	في سنة 614 م تَمكَّن الفرس من استرجاع مدينة أورشليم بمساعدة قوات عربية ويهودية من الطائفة الناصرية. لكن الفرس كلفوا اليهود الحاخاميين بتسيير المدينة، الشيء الذي همش الطائفة اليهودية الناصرية وحلفائهم العرب وهو ما تبينه الآيات الآتية
سورة الفتح 48 آية 21-22 وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا	مدنية لتحفيز المسلمين ورفع معنوياتهم فإن الله وعدهم بفتوحات أخرى. يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في شأن هذه البلدة الأخرى والقرية الأخرى التي وعدهم بفتحها والتي	لرفع معنويات أفراد الطائفة اليهودية الناصرية وحلفائهم العرب يعدهم محمد بغنائم أخرى وفتح آخر لأورشليم، لأن الكفار (أي اليهود الحاخاميين) هم الآن تحت حماية الجيش الفارسي، ويقول لهم: لكن لو حاربتموهم بمعزل عن الفرس فإنهم

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرً	أخبرهم أنه محيط بها، فقال بعضهم هي أرض فارس والروم وما يفتحه المسلمون من البلاد الى قيام الساعة.	لن يقدروا عليكم ولن يجدوا وليا ولا نصيرا. وبذلك يشجعهم لمعاودة الكرة مرة أخرى لسحق الكفار، وهو ما وعد الله به المؤمنين، استعدادا لعودة المسيح، وهذا هو المغنم الكبير.
س الفتح 48 آية 24 وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا	أسباب النزول: أهل مكة المشركون يمنعون دخول محمد وأصحابه الى مكة لأداء مناسك الحج، حيث حاول بعض المشركين أن يقتلوهم ولم يتمكنوا من ذلك لأن الله كف أيديهم عنهم[161]. وعلى الرغم من أن المسلمين قد غلبوهم فإن الله قد كف أيديهم عنهم، ونتج عن هذا "صلح الحديبية". فالله يعلم بما سيأتي من فتوحات حيث أن فتح مكة تم بدون قتال (الفتح آية 27)	النص القرآني يشير الى الظروف التي تلت دخول الفرس واليهود بمساعدة الحلف العربي اليهودي لمدينة أورشليم حيث كان أملهم هو إعادة بناء الهيكل القديم في نفس المكان الذي كان فيه سابقا، وذلك لممارسة الطقوس العتيقة. إلا أن اليهود الحاخاميين قد منعوهم من ذلك. ويبدو من خلال هذا النص أن فصول هذا الصراع دارت في إحدى الأودية المؤدية الى مدينة أورشليم (وقد يكون وادي البكاء القريب جدا من هذه المدينة. انظر "سورة آل عمران أية 96") الخطاب الإسلامي يحاول دائما تبرير وجود مكة في القرآن بالاستشهاد بهاتين الآيتين، على الرغم من عدم وجودها في الخرائط القديمة، ولا في الكتابات التاريخية القديمة...
سورة الفتح آية 25 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	يقول الطبري: هؤلاء المشركين من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله وصدوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا المسلمين من بلوغ محل نحر الهدي بالمسجد الحرام وحينها تم صلح الحديبية الذي أوجب تجنب القتال لأنه كان بين المشركين رجال ونساء مؤمنين "مسلمين".	النص القرآني يصف كيف منع اليهود الحاخاميين (الكافرون) اليهود الناصريين من أداء طقوسهم القديمة المتمثلة في ذبح القرابين بالهيكل كخطوة أولى تمهد لعودة المسيح. هنا الخطيب العربي (محمد) يحاول تبرير عدم المواجهة العسكرية للحاخاميين تجنبا لإراقة الدماء لأن بيْن اليهود الحاخاميين يهود يؤمنون بنفس عقيدتهم ولا يجوز قتالهم، ويقول لهم: لو تم عزل هؤلاء المؤمنين لسحقنا الحاخاميين الكفار.

[161] كيف للمغلوب أن يكف أيديه؟ كيف أن الله تدخل ليكف أيدي المغلوب على الغالب؟ التناقضات من هذا النوع كثيرة جدا لدى المفسرين المسلمين، ومع ذلك لا يزال المسلمون يتمسكون بهذه تأويلات، ويعتبرونها صحيحة.

		كما أن تجنب القتال مع الحاخاميين يمكن أن يكون بسبب تواجد القوات العسكرية الفارسية التي كانت تحميهم.
س الفتح آية 27-28 لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا	مدنية يقول الطبري: لقد صدق الله رسوله محمد رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله آمنين لا يخافون أهل الشرك، مقصرا بعضهم شعر رأسه، وبعضهم محلقا إياه. وهذه مكافأة من الله للمؤمنين الذين صدقوا دعوة محمد بأنهم سيدخلون البيت الحرام آمنين [المسلمون يحلقون رؤوسهم اليوم، عند ادائهم مناسك الحج]	وفجأة تظهر فكرة "الرؤيا" التي لا توجد في بداية النص. لم يكن الأمر يتعلق برؤيا دخول محمد الى البيت الحرام، وإنما بقتال ومعارك... مما يوحي بأن الآية قد أضيفت لاحقا لتمهد الطريق للآيتين 28-29 حيث يظهر اسم محمد فجأة وهي من الآيات القليلة جدا التي تذكر اسم نبي الإسلام بالاسم. كما أن قافية هذه الآيات غير متشابهة، وطول الآية 29 لا يتلاءم مع بقية النص مما يدل على أنها أضيفت لاحقا. الآية 27 تُطَمْئِن العرب ومعهم اليهود الناصريين الذين تم طردهم من طرف الحاخاميين بأنهم سيعودون إليها في فتح قريب. كما أن الآية تذكّر بطقوس حلق الرؤوس واللحية عند دخول الهيكل. وهي طقوس مذكورة بالتفصيل في كتب اليهود خاصة في "سفر العدد"[162]، الفصل 6 الذي يحدد كيف تتم طقوس الطهارة، كحلق الرأس قبل تقديم القرابين، وما يجب على اليهودي الناصري أن يفعله أو يقدمه عند دخول "البيت الحرام"...
سورة الروم (30)، الآية من 2 الى 6 غُلِبَتِ الروم، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ	مكية الفرس غَلبت الروم في أدنى الأرض أي من أرض الشام الى أرض فارس، ثم هم بعد ذلك سيغلبون الفرس في بضع سنين، وسيفرح المسلمون لهذا الانتصار، لأن الروم أهل كتاب سينتصرون على الفرس المشركين، وفي هذا إعجاز للقرآن	بكل بساطة النص القرآني يصف معركة مؤتة التي انهزم فيها التحالف العربي اليهودي الناصري، التي وقعت سنة 629م، وهي المحاولة الأولى لاسترجاع مدينة أورشليم التي فشلت حيث غلبتهم الجيوش الرومانية. ولذلك فهو يرفع معنوياتهم للقتال مرة ثانية، خاصة

[162] سفر العدد للديانة اليهودية موجود على الأنترنيت بجميع تفاصيله (انظر الفصل 6 منه بخصوص هذه الطقوس)

CC BY ND NC

بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	لأنه تنبأ بهزيمة الروم على الرغم من انتصارهم الأول. يشير الطبري في البداية أن هناك اختلاف في القراءة فهناك من يقرأها غُلِبَتِ الرُّومُ وهناك من يقرأها غَلَبَتِ الروم. لكن الصواب في رأيه "والذي لا يجوز غيره " الم غُلِبَتِ الرُّومُ". [الطبري والقرطبي يوردان أكثر من ثلاث صفحات لتأويل هذه الآية الصغيرة]	وأن الانتصار ودخول الأرض المقدسة بات يلوح في الأفق على ضوء المحاولات المتكررة، وبعد ذلك سيفرح المؤمنون بالانتصار عليهم. الآية تستقيم لو غيّرنا التشكيل كالتالي، وهو الأصل: غَلَبَتِ الرُّوم فِي أَدْنَى الْأَرْضِ [في أرض فلسطين المقدسة] وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ **سَيُغْلَبُونَ** فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ...

وعلى هذا النحو بدأ النص القرآني المعقد يتضح شيئا فشيئا، على ضوء المفاتيح التي تقدمت في الخانة الثالثة من الجداول السالفة، كما أنها تفضح حجم التحريف الذي لجأ إليه المؤولون المسلمون والتعسف على النصوص القرآنية من طرف الخطاب الإسلامي الرسمي. **قراءة القرآن من خلال الرؤية التي كانت تحملها الطائفة اليهودية الناصرية** تجعله سهل القراءة والفهم. فمن خلالها تظهر قراءة ثانية للتاريخ، وهي القصة التي تحكي عن استقطاب الطائفة اليهودية الناصرية للمقاتلين العرب من واستدراجهم لتحقيق المشروع المسياني الذي كانت تحلم به: تحفيز المقاتلين بالغنائم والسبايا، ورفع معنوياتهم في ظروف الهزائم، كل ذلك في "سبيل الله" أي طريق أورشليم حيث كان "بيت الله" بالهيكل القديم.

فالقرآن لا يزال يتضمن بقايا من أصوله الأولى الحقيقية التي تحكي بشكل مشَفَّر ومليء بالألغاز والرموز عن التاريخ الخفي للإسلام. والقارئ الفطن الذي يستعمل العقل، ويتخلى عن القراءة التي تقدس النص القرآني يستطيع أن يفك رموزه، ويكتشف الحقيقة والخدعة الكبرى للخطاب الاسلامي.

ورغم كل هذه التعقيدات فالقرآن لا يشكل أهمية قصوى في العقيدة والإيمان الإسلامي: فالخطاب الإسلامي يحاول أن يوهمنا بأن القرآن هو العمود الفقري للعقيدة والوحي الإسلامي (والوحي ينقسم هنا الى قسمين: القرآن من جهة، ومحمد من جهة أخرى "حياته وأقواله وأفعاله" من خلال السيرة والحديث). القرآن لا يمثل في حقيقة الأمر إلا عنصرا من مجموع العناصر التي تُكوّن العقيدة الإسلامية. والمسلمون في غالب الأحيان لا يقرؤون القرآن لفهمه وإنما يرتِّلونه بخشوع. كما أن طباعة القرآن ونشره على نطاق واسع هي عملية حديثة العهد، ولم تغير شيء من عزوف المسلمين

عن قراءته. وللتذكير فقط فالمسلمون الذين قاموا بغزو الأندلس يبدو أنهم كانوا لا يعرفون القرآن كما سبق الإشارة الى ذلك.
وعلى الرغم من تعميم التعليم وانتشار التقنيات الحديثة المتعلقة بالمعارف فإن معظم المسلمين لا يعرفون القرآن، وهم في غالب الأحيان لا يتجرؤون على قراءته، بل أكثر من ذلك فهم يتخوفون من قراءته نظرا لهالة التقديس الضخمة التي تحيط به. **والإسلام في حقيقة الأمر هو قبل كل شيء خطاب عام وفضفاض**. فالنص القرآني وبقية أصول الدين الإسلامي، والأحاديث "النبوية"، والسيرة والتاريخ الإسلامي، وشخصية النبي محمد، كل هذا يمثل خطابا عاما لتبرير أشياء أخرى أعمق بكثير من هذا، أشياء تتجاوز مجرد الايمان. **هذا الشيء الكامن في أعماق الشخصية الإسلامية مفاده أن الله قد اختار المسلمين على بقية البشر لكي ينشروا حكم الله في الأرض. وهذا هو صلب العقيدة المسيانية التي تعتقد أن الإسلام هو خلاص العالم وأن العالم يجب أن يصبح مسلما**، وأن نهاية العالم، أي في نهاية الزمن، سيعود المسيح قبل القيامة لتخليصه من الشر، والعيش مع المؤمنين في حياة سعيدة أبدية. موضوع نهاية العالم عند المسلمين يوجد في صيغتين: في الصيغة الشيعية سيأتي الإمام الأخير، وعند السنة سينزل المهدي المنتظر الى الأرض... وفي كلتا الصيغتين فإن الله سيرث الأرض ومن عليها وسيخلفها للمؤمنين به في حياة خالدة وأبدية.
هذه هي **نهاية التاريخ عند المسلمين** سواء عند الشيعة أو عند السنة، إنها لحظة إلهية: **يوم القيامة** (اليوم الآخر) حيث سيسود العدل بشكل أزلي في مملكة الله.
وعلى ضوء ما تقدم من معطيات نقترح خاتمة أخرى.

الخـــاتـــمـــة

عناصر اللغز الإسلامي متشابكة، أطروحة الأستاذ الفرنسي ماري كالي، المتخصص في تاريخ الأفكار والديانات، تحاول إبراز أهم العناصر المسكوت عنها في الإسلام، وتقدم بعض المفاتيح لفهم أفضل للتاريخ المخفي للإسلام، وذلك انطلاقا من: تسليط الضوء على الطائفة اليهودية الناصرية، والمشروع المسياني الذي كانت تحلم به، ثم الظروف السياسية والدينية التي ظهر فيها، وكيف تطور المشروع وتم تلقينه للعرب الى أن أصبح مشروعا خاصا بالعرب. كما أن الاكتشافات الحديثة للنصوص والمخطوطات القديمة التي "تألف منها القرآن"، وكذلك الشهادات الأركيولوجية، بالإضافة الى مخطوطات قديمة غير عربية، معاصرة لنشأة وتكون الإسلام، كل هذا ساعد في إماطة اللثام عن السر الخفي للإسلام، والخدعة الكبرى التي حبكها الخلفاء المتعاقبون عبر قرنين من الزمن.

كذلك تم التطرق الى الوسائل المختلفة التي استعملت في عمليات التزوير والتحريف للحقائق والأحداث التاريخية والمواقع الجغرافية التي تشكل فيها الإسلام، ومكنت الخطاب الإسلامي من إعادة كتابة التاريخ كما يناسب الحكام ويتطابق مع مصالحهم.

وعلى ضوء هذا يظهر الإسلام في صورة أخرى وبوجه آخر يمكن فهمه ببساطة أكبر على الرغم من التعقيدات التي يضعها التاريخ الإسلامي أمام القارئ والباحث.

ويبدو أن الطرح الذي يقدمه هذا الكتاب هو الأقرب الى الحقيقة، الى حقيقة الدين الإسلامي.

بالطبع هناك عناصر كثيرة لاتزال مجهولة لفك اللغز الإسلامي. العديد من الدراسات العلمية في نفس الموضوع تلتقي في مجمل نتائجها مع أعمال ماري كالي[163]. فالبحث العلمي مفتوح على مصراعيه من أجل معرفة أفضل وأعمق لظروف نشأة وتشكل الإسلام، كالأبحاث والتنقيبات الأركيولوجية في الأماكن التي كانت تنشط بها الطائفة

[163] على سبيل المثال اعمال روبير كيير، مهدي عزيز، باترسيا كرون، ثم هناك أعمال جدية أخرى تستحق القراءة كتلك التي قام بها وولتر الذي ناقش دكتوراه في مدينة تولوز الفرنسية سنة 2013 وهي دراسة اعتمدت على المناهج المعلوماتية والنسقية للنص القرآني. نشرت هذه الأطروحة سنة 2014 تحت عنوان: Le Coran révélé par la théorie des codes
ومن المنتظر أن تثير هذه الدراسة زوبعة كبرى لأنها أتت بنتائج علمية غير مسبوقة من خلال تطبيق التحليل المعلوماتي واللوغاريتمات الرياضية على النص القرآني. وهو أول استعمال لهذا المنهج على القرآن [للإشارة فإن هذا المنهج قد بيّن نجاعته في عدة مجالات، فقد استُعمِل مؤخرا للحسم في أصل إحدى المقطوعات الموسيقية وتم التعرّف على هوية كاتبها]

اليهودية الناصرية. ومما لا شك فيه هو أن مجموع هذه الدراسات سيضيئ أكثر مدى التحريف والتزوير الذي قام به كل خليفة وكل فترة زمنية على حدة، وقد تكشف، عن الأسباب الحقيقية التي دفعت بالخلفاء الى تغيير القبلة واختيار مكة كمنبت للإسلام، الشيء الذي قد يلقي الضوء أكثر على مواضيع أخرى.

إن الدلائل والدراسات المتوفرة حاليا كفيلة لوحدها لكي تظهر وبشكل واضح وجلي التاريخ الخفي للإسلام، وتكشف حجم الخدعة التاريخية للإسلام وللخطاب الإسلامي، وتعطينا صورة أكثر مصداقية وجدية عن أصول الإسلام الحقيقية: **فالنص القرآني والسيرة النبوية لمحمد كلاهما إنتاج فكري وصناعة إنسانية** استمرت لعدة قرون انطلاقا من غزوات عرب سوريا، كانت فيها ال50 سنة بعد حكم عمر مرحلة حاسمة في الفترة الأولى، ثم 50 سنة التي عقبت فترة عبد الملك بن مروان بالنسبة للفترات اللاحقة للدولة الإسلامية. والخلاصة هي أن محمد لم يتلقى شيئا اسمه الوحي الالهي، والإسلام كنسق فكري لاهوتي هو نتاج سيرورة طويلة استمرت عبر مراحل عديدة، كما انه نتاج عمليات جد معقدة وملتوية من كتابة وإعادة كتابة التاريخ تمتد جذورها من العقيدة المسيحية اليهودية وصولا الى قمة الانحرافات والهرطقات المسيانية.

كل هذه العناصر تداخلت في تفاعل عبر مراحل زمنية متواصلة فأنتجت **الاسلام كدين جديد لا يزال يواصل السير والتخطيط لتحقيق الأهداف المسيانية** التي رسمها المؤسسون الأولون أي الطائفة اليهودية الناصرية. ومن أجل هذا فالدين الجديد (الإسلام) قد فرض على المجتمع المدني الخضوع للنظام السياسي الذي يستغل فيه الدين لخدمة نظام سياسي مستبد وشمولي. وهذا هو ما يحصل بالفعل، **فالإسلام استمر طوال هذه القرون لأنه يعتمد على أنظمة مستبدة** وعلى حكام يحكمون قبضتهم على الشعوب. كل الأنظمة الإسلامية كانت ولا تزال **تعتمد على تخويف الشعوب من المقدس والخوف من جهنم**، وكانت تكرس منظومة اجتماعية لمراقبة الأفراد. وللمزيد من التحكم كانت ولا تزال تلجأ الى منع أي نقاش عمومي للأمور الدينية، فهي تحرم نقد الدين والسياسة. **فالإسلام يعتمد في وجوده واستمراره على مبدأ الخضوع والاستسلام**، وهو ما يظهر من خلال الشعارات التي يعتمدها كعنوان وكمبادئ. لكن هذا الخضوع والاستسلام التام لم يتحقق بالكامل عبر التاريخ لأن سحق الشعوب والأفراد، ومصادرة الأفكار والثقافات لا يؤدي حتما الى خضوع الشعوب ونهايتها، فالإسلام في حاجة إلى هذه الشعوب لكي يتمكن من الاستمرار

والانتشار. الخلاصة هي أن الإسلام قد فشل عبر التاريخ في تحقيق العدالة والرخاء، وفشل في القضاء على "الشر" والظلم (الوعود المسيانية). ومع ذلك فهو لا يزال يعرف انتشارا واسعا. تحقيق غد أفضل ومستقبل زاهر، فكرة لا زالت تراود اذهان المسلمين وتدغدغ مشاعرهم ولكنه حلم لا يمكن أن يتحقق بالصيغة العتيقة للإسلام كما عرفه التاريخ، وانطلاقا من هذا فإن **الإسلام المنشود هو ما يمكن بلورته في المستقبل على ضوء ما أنجزته الانسانية في مجال حقوق الانسان**. ولا ننسى أن الملايير من البشر كانوا الى عهد قريب يعتقدون اعتقادا راسخا في العقيدة الشيوعية، والخلاص عن طريق دكتاتورية الطبقة البروليتارية على الرغم من أنهم كانوا يؤدون ثمنا باهظا لبقاء هذا النظام[164]. خلال الثمانينات من القرن الماضي كان ما يقارب ثلث سكان العالم يعيش في الجحيم الشيوعي.

المجتمع الاستهلاكي المعاصر الذي يتحكم فيه منطق السوق، عرف تطورا تكنولوجيا غير مسبوق، جعلته ينتشي "بانتصاراته" المتلاحقة وبدأ يدعو الجميع للاستفادة من منتجات السوق والانخراط في منطق الاستهلاك، وهي وعود تشبه الى حد كبير الوعود المسيانية. جميع الأيديولوجيات المبنية على رؤية سريالية لمستقبل الانسانية تعتقد في نظرية الخلاص النهائي من الشر ومن الظلم... وتحاول أن تقدم وصفة سحرية لتحقيق السعادة عن طريق أفكار تدغدغ المشاعر الانسانية. المشروع الإسلامي يعتقد أنه بإمكانه تغيير العالم وتحقيق "المجتمع المثالي" الذي يتطابق مع الغاية الالهية، عن طريق أسلمة العالم بأسره، هو مصدر عدم التسامح والتعصب المطلق. في المجتمعات الاسلامية لا يوجد مجال للاختلاف، ولا يسمح بوجود الآخر ولا قبوله كما هو، "الآخر" في منطق هذه المجتمعات دائما خاطئا، كافرا، أو منافقا أو مؤمنا مزيفا أو عدوا خارجيا. **الآخر هو الشر**، يمكن التغاضي عليه الى حين التخلص منه نهائيا. وهناك من يتبنى هذه الحماقة بشكل شمولي ويحلم بالقضاء الجذري على الشر من على وجه البسيطة. وكما يقول سولجنتسين: "إن الخط الفاصل بين الخير والشر لا ينحصر في الدول ولا في الطبقات الاجتماعية، ولا في الأحزاب السياسية، ولكنه يعبر قلوب الناس والانسانية برمتها"[165]. فمن يستطيع ان ينزع جزءا من قلبه؟ إن كل المحاولات التي تدعي القضاء الجذري على الشر، وإنتاج

---

[164] عرف العالم الشيوعي نفس المحاولات المبنية على التحريف والتشويش ومحو الذاكرة التي طبعت العالم الإسلامي. فاستالين محى الإرث الثقافي لتروتسكي لكي يبني خطابا وتاريخا جديدين يمجد فيه الاتحاد السوفياتي، ويلمع من خلاله سلطته، ويتحكم أكثر في المجتمع، وذلك بنفس المنطق العكسي الذي مارسه المسلمون في إعادة كتابة التاريخ.

[165] سولجينيتسين : أرخبيل الكولاك

إنسان جديد ومجتمع مثالي كلها محاولات فاشلة مصيرها هو الزوال، وفي حال بقائها فإنها لن تنتج إلا معسكرات الإبادة الجماعية، وذلك لسبب بسيط هو أن المجتمع لا ينقسم الى أخيار من جهة وأشرار من جهة أخرى، الى طاهرين ونجس، ولا الى صفوة ورعاع، ولا الى فرقة ناجية وأخرى كافرة يجب إرشادها أو محوها وإعدامها. إن الخلاص يبقى شأن شخصي، وكل فرد يبحث عما يمكن أن يسعده دون أن يفرضه على الآخرين، ودون أن يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة التي تسعد الجميع.

طبعا هناك العديد من المسلمين اليوم يحلمون بإسلام مثالي، بإسلام يدعو الى السلام والإخاء بين البشر وبين الثقافات والديانات الأخرى. وفي المقابل هناك العديد من غير المسلمين يأملون ذلك. ثم إن الغالبية العظمى من المسلمين لا يطبقون التعاليم الإسلامية بشكل حرفي خاصة منها "التعاليم" التي تدعو الى العنف والهيمنة السياسية، ولا يقتسمون الرؤية التي تجعل الله عنيفا ومقاتلا ويحب القتال (سورة الصف: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله"). وهناك من لا يعرف هذه الآيات أصلا، وهذا أفضل لهم وللجميع.

هؤلاء المسلمين الذين يحلمون بإسلام مثالي، يجدون في الإسلام الكثير من القيم الانسانية والسمو الأخلاقي كحب الأسرة، والأخلاق الفردية الحميدة... كما انهم يجدون فيه نوعا من الفخر بالانتماء "لخير أمة أخرجت للناس"[166] ويشعرون أنهم يمارسون أو يعتنقون أحسن وأفضل الديانات، وكذلك الشعور بأن الله لن يتخلى عنهم وأنه سيجازيهم أحسن جزاء. لكن هذا **الأمل المسياني الممزوج بالاستسلام للقضاء والقدر الالهي هو السبب الرئيسي في تكوين نفسية الشخص المسلم. إنها نفسية جبرية يهيمن عليها الخضوع والتطبيع مع الاستبداد السياسي** الذي طبع التاريخ السياسي الإسلامي عبر القرون. كما أن الحكمة والمحبة والإخاء التي نجدها عند المتصوفة المسلمين غالبا ما تعبّر عن نتاج تجارب شخصية ومنفردة لكل متصوف على حدة، وغالبا ما تكون هذه التجارب متأثرة بعناصر فكرية خارجة عن المنظومة الإسلامية. ولكن لا التجارب الصوفية ولا إسلام المسلم البسيط هو الذي يحدد ما هو الإسلام. إسلام التعايش والوئام والسلم لا يمكن أن يحدده هؤلاء المسلمون الذين يمارسون اسلاما "شعبيا"، ولا المتصوفة من خلال تصوراتهم الروحانية، لأن الإسلام الذي يعرفه الجميع وكما ترك بصماته عبر التاريخ مبني على العقيدة

[166] يعتقد المسلمون أن هذه الآية تعني أن المسلمين هم خير أمة، في حين أنها في الأصل كانت تعني التحالف العربي مع الطائفة اليهودية الناصرية.

الإسلامية وعلى الخطاب المسياني الذي يعود في الأصل الى النصوص المرجعية المؤسسة للإسلام. كما أن الدعوة الى إسلام معتدل لا يمكنها أن تخفي **حقيقة الإسلام التي تدعو الى الانتشار بالقتال والجهاد في سبيل الله**، والدليل على ذلك هو اندلاع موجات العنف والصراعات اللامتناهية بين المسلمين من نفس البلد وبين البلدان الإسلامية. هذه الصراعات تؤسسها وتؤججها الاتهامات المتبادلة بخصوص التطبيق المثالي الكامل والفعلي للمبادئ الإسلامية. لذلك فالمنادون بالإسلام الشعبي وحكمة المتصوفة والداعون الى الإسلام المعتدل لن يتقدموا الى الأمام. وحده الفكر النقدي للمشروع التوسعي المسياني للإسلام وكذلك التفكيك العقلاني للنصوص القرآنية وللخطاب الإسلامي في شموليته هو وحده الكفيل لتقديم إسلام يتلاءم ويتعايش مع الجميع ويساير تطور الانسانية ومبادئ الفكر الانساني والحقوق الكونية للإنسان.
استبعاد ونبذ الفكر النقدي وتهميشه في البلاد الإسلامية سيُبقي هذه البلاد مرتعا للحروب والصراعات اللامتناهية فيما بينها، وكذلك في حرب دائمة ضد الانسانية.
والملاحظ هو أن نسبة التعليم قد ارتفعت بشكل كبير في البلاد الإسلامية رافقتها سهولة الاطلاع على النصوص الأساسية للخطاب الإسلامي، الشيء الذي مكّن من انتشار المبادئ الإسلامية بشكل غير مسبوق منذ ما يقارب قرنا من الزمن بين الشعوب الإسلامية وخارجها، في الوقت الذي كانت فيه الغالبية العظمى منهم لا تعرف الإسلام إلا عن طريق الموروث الثقافي الشعبي المنقول شفويا. بعد انتهاء فترة الخلفاء الأولين (خاصة بعد عثمان) التي مارست قبضة حديدية لضبط الأمة الناشئة وتنظيمها بنوع من الموازنة والتوفيق بين ما هو ديني وما هو سياسي، حاول الحكام فيما بعد أن يسيروا على نفس النهج على الرغم من أنهم ليسوا سوى حكاما مستبدين، وهذا هو مجمل التاريخ الإسلامي عموما.
كان للحضارة الغربية تأثير كبير في نشأة ظواهر جديدة، فكانت ردة فعل المسلمين تجاه هذه الحضارة عنيفا. كان بمثابة مُنَبه أعاد تشغيل الآلية الداخلية للإسلام (كما حاولت الصفحات السالفة التطرق اليه في الجدول رقم 1)، نتج عنها تكوين تيارات إسلامية عديدة كلها متشددة: كالإخوان المسلمين والسلفيين، والجهاديين والتكفيريين، والداعين لعودة الخلافة، وأنواع اخرى من "الإسلاميين". كل هذه التيارات تسعى الى تحقيق هدف واحد، وهو التطبيق الكامل والشامل لمبادئ الدين الإسلامي وأسلمة الجميع تحت شعار العودة الى الأصول. في نفس الوقت نلاحظ "موجات" من التشكيك بين المسلمين أنفسهم، أساسها الغموض في النصوص الدينية، والتناقضات

الكثيرة التي تحتويها هذه النصوص، خاصة تلك التي تتناقض مع الانسانية وحقوق الانسان كما هو متعارف عليها عالميا. كما أن نقد هذه المنظومة أصبح متوفرا بشكل كبير ومفتوح على أوسع نطاق على شبكة الأنترنيت، وفي متناول الجميع. مع ذلك تبقى هذه الانتقادات ملجمة ومقيدة في العالم الغربي نظرا للضغوطات التي تمارسها السلطات الإسلامية وكذلك المنظمات الإسلامية (كمنظمة التعاون الإسلامي مثلا) كما أن المصالح السياسية والاقتصادية للدول الغربية، جعلت الغرب يتجنب المواجهة والنقد المباشر حفاظا على مصالحه. من جهة أخرى هناك نوعا من الرقابة الذاتية من طرف المثقفين خوفا من أن تشار إليهم أصابع الاتهام ب "الإسلاموفوبيا". وفي مقابل موجات العنف المتتالية في العقود الأخيرة من طرف الشباب الإسلامي، ظهرت حيرة الآباء والأجداد تجاه هذه التصرفات التي لا تعكس الإسلام البسيط الذي يعتقدونه ويمارسونه، الشيء الذي أحدث شرخا كبيرا بين الأجيال، بين متطرف ومتشدد، وبين مشكك وناقد ومعتدل وحائر... وأملنا أن تدخل كل هذه التيارات في نقاش عمومي حر ومتمدن من أجل إصلاح عميق للمنظومة الإسلامية، تبتعد عن تقديس هذه النصوص وتبدأ بالنقد الذاتي لها. لأن البقاء داخل هذه المنظومة والتعامل معها كأنها حقائق مطلقة نهائية ومقدسة تجعل عملية التجديد والاصلاح المنشود أمرا مستحيلا.

ان نهاية الإسلام محسومة، إذا لم يقم الإسلام نفسه بالنقد الذاتي اللازم لمنظومته.

إن الأبحاث العلمية والتاريخية حول الإسلام لا زالت مستمرة ومفتوحة أمام الباحثين، وأعطت نتائج جد إيجابية في الآونة الأخيرة: لقد بدأت الأصول الآرامية السريانية للنصوص القرآنية تظهر بفضل الدراسات اللغوية الحديثة، كما أن الدراسات التاريخية والأركيولوجية أظهرت بشكل واضح وجلي المجال الجغرافي والتاريخي الذي نشأ فيه الإسلام المبكر. الإسلام والدول الإسلامية لا يمكنها أن تمنع من معرفة هذه الحقائق ولا أن توقف البحث العلمي حول أصوله ونشأته وتشكله، وخاصة الكشف عن الخدعة التي لجأ إليها الخلفاء لإخفاء حقيقة الإسلام. ومن الطبيعي جدا أن يرفض المسلم المؤمن هذه الدراسات وهذه الحقائق الجديدة حول دينه، لأن تنشئته تمّت في وسط أُغلِق بإحكام، تجعله غير قادر على استعمال عقله بكل حرية حين يتعلق الأمر بالعقيدة التي يؤمن بها. لكن الواقع والحقيقة تفرض نفسها بقوة ولا يمكن حجبها الى ما لا نهاية، ولا يمكن الاستمرار في وضع الرؤوس في الرمال. فالحقيقة ستظهر له بكل وضوح لأنها لا تعتمد على العنف والاستبداد، وإنما على نور العقل

ولذلك فهي ستستمر بدون هوادة في تحرير العقول وانعتاق الشعوب من الاستبداد، وستكسر الأغلال الإسلامية، "لان الإسلام من أكبر الأغلال التي لم تعرف الانسانية مثيلا لها" كما يقول ارنست رينان.
يبقى السؤال المطروح على الحضارة الغربية التي اعتمدت على نظام الاستهلاك ومنطق السوق والرأسمال والبضائع والتبضيع لكل شيء: ماذا يقترح الغرب في حال انهيار العالم الإسلامي؟ (وهذا متوقع جدا). كيف سيواجه هذه الكارثة التي ستعرف لا محالة مزيدا من الحروب والاقتتال والمآسي الانسانية التي تدفع المسلم الى التشبث أكثر بالوعود المسيانية للإسلام ويدخل في الحلقة المفرغة السالفة الذكر في بداية هذا الكتاب.

cc BY ND NC

خريطة لسوريا أنجزها روني دوسو في سنة 1927
تظهر الأماكن الأصلية لتواجد قبائل قريش والطوائف اليهودية الناصرية
والتي لا زالت الى اليوم تحمل أسماءهم

Syrie en 1927 d'après René Dussaud
Carte extraite du *Messie et son Prophète*, d'E.M. Gallez

cc BY ND NC

تشردم إسرائيل الى عدة مناطق ذات حكم ذاتي في 30م

Situation d'Israël en l'an 30

Hérode Archélaos ayant été déposé et remplacé par un préfet romain ©Antikforever.com

legrandsecretdelislam.com

جينيالوجيا الإسلام

(الجذور الأولى لتشكل الإسلام)

صلب السيد المسيح اعدام يعقوب (أستف أورشليم)

سنة 30م 62م مدينة بيقية 325م حوالي 735 يوحنا الدمشقي يكتب عن الإسماعيليين

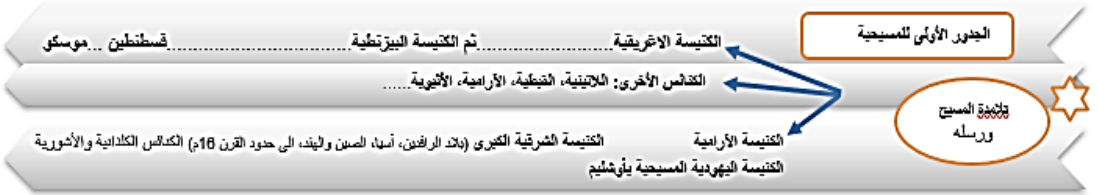

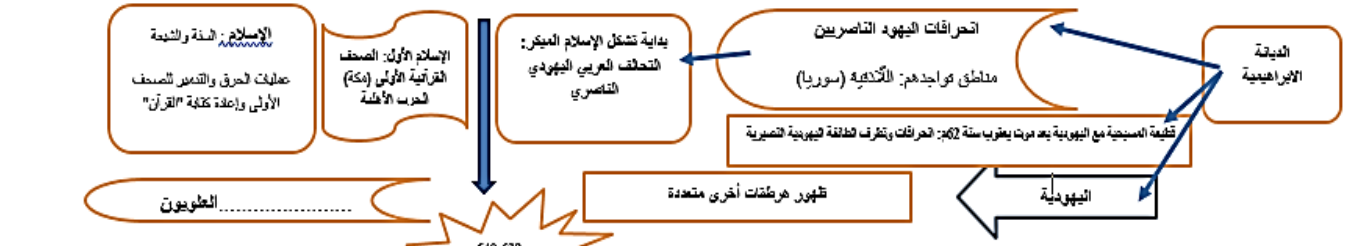

270م مملكة زنوبة بتدمر (سوريا)	حوالي 600م استقطاب وتجنيد العرب من طرف الطائفة اليهودية الناصرية	622 الهجرة من سوريا الى يثرب	638م تصدع التحالف العربي اليهودي الناصري (بعد تحرير أورشليم)	661م موت علي (القتلة)	685 -705م عبد الملك بن مروان	حوالي 720م استعمال كلمة "اسلام- مسلمين" للدلالة على الدين الجديد ومعتقله	750م: العباسيون 830م: كتابة السيرة النبوية لابن هشام

التاريخ الخفي للإسلام

المـراجـع

1- Edouard-Marie Gallez : Le Messie et son Prophète – 2 tomes – (thèse de Doctorat) Editions de Paris, 2005-2010

Le site où E-M. Gallez actualise sa thèse : http://www.lemessieetsonprophete.com (voir en particulier, l'analyse de la racine « kfr / koufar / infidèle » dans le coran et le discours musulman).

2- Robert M. Kerr : « The language of the Koran » : comment le Coran a été écrit en Syrie (article en anglais).

3- Patricia Crone: Meccan trade and the Rise of Islam – Princeton University Press, 1987.

-De quoi vivaient les païens décrits par le Coran ? (« How did the quranic pagans make a living? », article en anglais).

4- Manfred Kropp : « Les Origines du Coran », cycle de conférences donné au Collège de France, en octobre 2005 :

a - L'Arabe pré-islamique :
http://www.youtube.com/watch?v=SQJY1OdHtJc
b -Le fait coranique :
http://www.youtube.com/watch?v=7G1dHK7fbqk
c -Tradition écrite et tradition orale :
http://www.youtube.com/watch?v=SiKd_IsX0Yw
d- Les études coraniques en occident :
http://www.youtube.com/watch?v=kW-o5lW3mjo

5- Guillaume Dye : Entretien libre de Guillaume Dye sur ses recherches avec Abdelwahab Meheb, dans son émission Cultures d'Islam, sur France Culture (14/03/2014).

Participation à l'ouvrage collectif Le Judaïsme entre "théologie de la substitution" et "théologie de la falsification" : actes du colloque tenu à l'Institut d'Études du Judaïsme (ULB) les 23, 24, et 25 septembre 2008.

6-Tom Holland – Documentaire «Islam: the untold story » (en anglais), diffusé en août 2012 sur la BBC, fondé en partie sur les travaux de Patricia Crone.

التفاسير الإسلامية في هذا الكتاب مأخوذة من هذا الرابط:
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura20-aya85.html

cc BY ND NC

الفـــهرس

مقدمـة المترجـم
تمـهيـد
مقدمة
I ما هي الرواية الاسلامية الرسمية للإسلام
(أو كيف يقدم الاسلام نفسه؟)
ما هو التاريخ المقدس للإسلام؟ حسب التاريخ الإسلامي؟
محمد
الاسلام بعد موت محمد
ركائز العقيدة الإسلامية
II التاريخ الخفي للإسلام
الوحي الالهي لفترة ما بعد المسيح
اسرائيل سنة 30م
المسيح، رسالته، تلامذته وانحرافات بعض أتباعه
تحطيم هيكل أورشليم
ما بعد ظهور المسيحية
من هم اليهود النصارى(الناصريون)
محاولات تحرير مدينة أورشليم (القدس حاليا)
استقطاب وتجنيد العرب
المحاولة الفاشلة لاسترجاع مدينة أورشليم
الهجرة
لكن المسيح لم يأت !
III زمن الخلفاء الأولين : كيف يمكن تبرير السلطة التي حصل عليها العرب؟
عمر(634-644) و عثمان(644-656م):
طمس معالم وآثار المجموعة اليهودية الناصرية
علي بن ابي طالب (656 – 661م) والحرب الأهلية الأولى
معاوية (661 الى 680م) : الهيمنة من أجل الحكم

الحرب الأهلية الثانية (680-685م): تمزق الإسلام الأول
عبد الملك بن مروان (685-705م): تأسيس الدين الإسلامي

VI الإسلام من التأسيس الى التحجر والتجمد.

اختراع قصة الاسراء
صناعة التاريخ
نهاية التأسيس وتحجر الإسلام
السُّنة والشيعة

V مفاتيح لقراءة الخطاب الاسلامي على ضوء أصول نشأته الحقيقية.

(مفاتيح لقراءة النص القرآني)
نماذج من تحريف العناصر المؤسسة للعقيدة الإسلامية
المسلمون، المسيحيون واليهود حسب العقيدة الإسلامية، تحريف المصطلحات التي تشير الى المؤسسين الأصليين للإسلام المبكر
نماذج من عمليات تحويل وتحريف الخطاب الإسلامي للوقائع التاريخية لبداية الإسلام
ماذا يقول القرآن عن "السر الخفي لتاريخ الإسلام"؟
كتاب العبادات والشعائر للطائفة اليهودية الناصرية وترجمته الى اللغة العربية
حشد العرب واستقطابهم من أجل تحقيق المشروع المسياني اليهودي الناصري
التمييز بين اليهود الحقيقيين واليهود المزيفين
الرد على الانتقادات اليهودية والمسيحية
كيفية تنزيل المشروع الديني-السياسي على أرض الواقع.

الخاتمة

خريطة دوسو وخريطة اسرائي سنة 30م، جدول بياني لجينيالوجيا الإسلام.

المراجع

CC BY ND NC

هذا الكتاب

إن العالم (بما في ذلك العالم الاسلامي) لا يعرف الإسلام الا من خلال ما تقدمه المنظومة الإسلامية ويعتبر الرواية الإسلامية أنها هي "التاريخ الحقيقي" لنشأة الاسلام المبكر، كأنها حقيقة تاريخية مسلم بها ولا جدال فيها. ولكن في السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من الدراسات الجديدة أحدثت تصدعا كبيرا في هذه المسلمات.

هذا الكتاب يقدم ملخص لأهم عناصر مقاربة جديدة حول نشأة الإسلام، إنه طرح جديد يحاول فهم بدايات تشكل الإسلام، مُبيّنا أصوله الحقيقية، والحيثيات التاريخية التي مكنته من أن يتطور لكي يصبح ديانة متكاملة كما نعرفها اليوم. وبهذا الطرح الجديد يساهم الكاتب في فهم أعمق لهذا الدين وكيفية تشكله عبر التاريخ.

انها محاولة لفهمِ أكْبَرَ لُغْزٍ في تاريخ البشرية، **لغز تاريخ الإسلام المُبكِّر** والذي يختلف تماما عما تقدمه الرواية الإسلامية الرسمية.

الهدف من هذه الترجمة كان بالأساس، هو تقديم كتب أخرى باللغة العربية للأبحاث المعاصرة في مجال التراث الاسلامي، وإغناء رصيد المكتبة العربية بالإنتاجات الفكرية المتجددة حول الدين الإسلامي.

أملنا أن تساهم مثل هذه الدراسات في خلق نقاش عمومي حر ومتمدن من أجل إصلاح عميق للمنظومة الإسلامية، تبتعد عن تقديس النصوص القديمة وتبدأ بالنقد الذاتي لها. لأن البقاء داخل هذه المنظومة والتعامل معها كأنها حقائق مطلقة نهائية ومقدسة تجعل عملية التجديد والاصلاح المنشود للالتحاق بركب الأمم المتقدمة أمرا مستحيلا.